دفاع عن الشعائر الحسينيّة

الشيخ
محمد رضا الساعدي

دار المحجة البيضاء

دفاع
عن الشعائر الحسينية

© جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى
١٤٤٠هـ - ٢٠١٩م

ISBN: 978-614-480-103-1

مؤسسة إصلاح الثقافية
+964 771 981 6150

دار المحجة البيضاء
للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان

الرويس - خلف محفوظ ستورز - بناية رمال

ص.ب: ١٤/ ٥٤٧٩ - هاتف: ٠٣/ ٢٨٧١٧٩ - ٠١/ ٥٤١٢١١ - تلفاكس: ٠١/ ٥٥٢٨٤٧
E-mail: almahajja@terra.net.lb
info@daralmahaja.com
www.daralmahaja.com

دفاع
عن الشعائر الحسينية

تأليف

سماحة الشيخ محمد رضا الساعدي

دار المحجة البيضاء

دفاعٌ عن الشعائر الحسينية

تأليف: سماحة الشيخ محمد رضا الساعدي

إصدار: مؤسسة إصلاح الثقافية

المطبعة: دار المحجة البيضاء

الطبعة: الأولى

سنة الطبع: ٢٠١٩ م - ١٤٤٠هـ

قطع الورق: ١٧×٢٤ وزيري

الإخراج الفني: أحمد الهاشمي

المقدمة:

كانت وما زالت الشعائر الحسينية المقدسة تمثل الاسلوب الناجع للتفاعل مع قضية السبط الشهيد الحسين عليه السلام خصوصا وقضايا مظلومية ال البيت عليهم السلام واحقيتهم بالخلافة والامامة الالهية عموما، وبذلك التفاعل تتصل الجماهير الحسينية بثورة الحسين عليه السلام وتجدد الولاء له والانتهاج بنهج ثورته لتحقق ما رامه عليه السلام من حركته وجهاده وتضحياته في كل زمان ومكان، ويتحقق التواصل مع مذهب ال البيت والإسلام الأصيل ـ فالإسلام حسيني البقاء ـ وبذلك التواصل تحقق اهداف الشريعة لان اهداف الحسين هي اهداف الشريعة وثورة الحسين هي ثورة الله ورسوله ضد الظالمين والمفسدين في كل زمان ومكان، اذ انه اسس بدمه الطاهر منهجا للثائرين لأجل الله، فلذا استحق ان يكون ثأر الله لأنه ثار لله ولدين الله ولإصلاح ما فسد من امة سيد الانبياء محمد صلى الله عليه وآله، وللسير بسيرة جده وابيه عليهما السلام.

وهذه الممارسات الشعيرية تأثرت بزمكانيات وبيئات اجتماعية وثقافات مختلفة واعراف متنوعة، فكانت هناك تساؤلات واستفهامات واحيانا تشكيكات ـ تصدر من دينيين تارة ولا دينيين تارة اخرى ـ حول تلك الممارسات وما يكتنفها من احكام تدخل بعضها في باب الفقه الاسلامي ومعاصرة حوادث الحياة وبعضها في أبواب العقيدة وبعضها في أبواب

الاخلاق او الرجال او غيرها، فتولدت بذلك احكاما خاصة بالشعائر الحسينية تعالج التنظير الفقهي والعقائدي والاخلاقي للشعائر وتدافع عنها وتهذب تلك الممارسات وتقومها وتدعم بعضها وتنهى عن بعض وفقا لقواعد ومقررات الشريعة السمحاء، وهذا الاحكام يمكن ان يطلق عليه (فقه الشعائر الحسينية) مع كون المراد في الفقه ليس الفقه الخاص وهو فقه الفروع بل عموم فهم الشريعة عقيدة واخلاقا وفقها وغيرها من المعارف الدينية.

ولا يخفى ان بعض مسائله مطروحة في التراث الفقهي ولكن بصورة مقتضبة ومجملة او أحيانا بشكل فتاوى فحسب، مما يستدعي طرحها باسلوب جديد وتفصيلي يعالج مسائل الواقع.

من هنا اقترح بعض الاخوة الاعزاء الكتابة بهذا الموضوع للإجابة عن بعض التساؤلات والاشكالات والخروج بنتائج واضحة.

وهذه النتائج تلقي بظلالها على الواقع المعاصر لمسائل الشعائر وتعطي وضوحا لبعض ما التبس من موضوعاتها، كما ويدحض كلام المشككين ويجيب على التساؤلات والاستفهامات التي تكتنفها.

هذه البحوث لم تستوعب مفاصل البحث في كل مسائل الشعائر المعاصرة بل كانت موضوعات مختارة احتمل انها اكثر حساسية وواقعية من باقي المسائل، فكان هذا الكتاب عبارة عن باقة من البحوث المتنوعة جامعها هو الشعائر المعاصرة.

وهي كما يلي:

البحث الاول: موازين التعامل مع روايات الشعائر الحسينية.

البحث الثاني: مشروعية وضوابط التعبير بلسان الحال في أدب الطفّ.

البحث الثالث: مشروعية توسعة الحرم الحسيني بهدم الأملاك الخاصة.

البحث الرابع: حق الولاء في مشي النساء الى كربلاء.

البحث الخامس: دور زيارة الأربعين في الإصلاح.

البحث السادس: الامام العباس مدرسة الايثار.

البحث السابع: دور زيارة الاربعين في صناعة الشخصية المهدوية.

البحث الثامن: اشكالية اخذ الثأر من ذراري قتلة الحسين

البحث التاسع: حضور السيدة الزهراء في مجالس سيد الشهداء

والله ولي التوفيق

محمد رضا الساعدي / النجف الاشرف

١٥ شعبان ١٤٣٨ هـ

البحث الاول:

موازين التعامل مع روايات الشعائر الحسينية

موازين التعامل مع روايات الشعائر الحسينية

مدخل

دأب بنو الإنسان منذ بدء الخليقة على التواصل بين الأجيال المتعاقبة والأقوام المختلفة في الأزمنة السالفة، ومعرفة أخبار هذه الأُمم وما حصل فيها من وقائع وأحداث، بدافع حبّ الاطّلاع المغروس في فطرة الإنسان، وكان هذا التواصل عادةً ما يحصل عبر رواية أخبار الماضين وتناقلها جيلاً عن جيل، أو مشاهدة آثارهم وما تركوه من وثائق ومستندات.

لقد كان لأدوات هذا الارتباط أهمية بالغة في ربط الماضي ـ بكل ما يحمل من قيمة معرفيّة كبيرة ـ بالحاضر والتأثير فيه من أجل صنع مستقبل أفضل؛ وذلك من خلال استيعاب دروس الماضي وتحليلها واستخلاص العِبَر منها، وكذلك فهم رسالات السماء التي جاء بها الأنبياء وأبلغوها للبشرية على مرّ التاريخ، وأمروا بالالتزام بما جاء بها من تعاليم وتوصيات.

مضافاً إلى أنّ الماضي كثيراً ما يضمّ في طياته وقائع وأحداث تاريخية مهمّة تحمل دلالات اجتماعية وإصلاحية قام بأعبائها أشخاص ثوريون ومصلحون أرادوا إنقاذ أممهم ومجتمعاتهم من خطر الانحراف عن جادة الصواب، ولا نكون مجانبين للصواب إذا ما قلنا:

إنّ النهضة الاجتماعية الإصلاحية التي قادها سبط النبي الخاتم ﷺ الإمام الحسين عليه السلام تقف في مقدِّمة النهضات والثورات، بل لا تمتلك أيّ حركة اجتماعية ـ لإصلاح المجتمع وإعادته إلى المسار الصحيح ـ ما تمتلكه النهضة الحسينيّة، بأبعادها ومعطياتها المختلفة، التي لم تستطع البشرية حتى اليوم إدراكها وفهمها؛ فلكي تصل عاشوراء الحسين عليه السلام إلى الأجيال لتنهل منها لابد من نقل أحداثها ووقائعها ورسائلها بطرق وقنوات ممنهجة ومدروسة، تخضع للميزان العلمي والعقلائي والشرعي؛ من هنا انبثقت فكرة التعرُّف على الميزان العلمي الذي يلزم الباحث معرفته في قضية عاشوراء، الذي بموجبه يتم قبول أو طرح روايات وأخبار النهضة الحسينيّة.

إنّ معرفة الميزان الصحيح الذي توزن به المادة والحدث العاشورائي، أمر يحوز أهمّية فائقة على صعيد عرض أحداث عاشوراء الإمام الحسين عليه السلام، وله أثر كبير في إثبات بعض ما يُنقل ويُروى من تاريخ عاشوراء وأحداثها، والذي سيمثّل مادة أولية للنثر أو الشعر أو القصّة أو الإنتاج السينمائي أو المسرحي أو غير ذلك، وأيضاً إثبات ما يمارس من مصاديق الشعائر الحسينيّة ودفع الإشكال عنها..

فإذا أردنا ذكر حدثٍ من أحداث ملحمة عاشوراء، فما هو الميزان الذي يبيح لنا ـ كخطباء أو شعراء أو أدباء ـ أن ننقل ذلك الحدث أو ننسبه إلى فاعله ؟ بحيث لا ينطبق على ناقله عنوان الكذب في النقل، الذي حرّمته الشريعة المقدّسة بصورة مطلقة، وتشتدّ الحرمة فيما لو كان النقل عن المعصوم؛ وذلك لخصوصية العصمة والقداسة الموجودة في بعض أشخاص ملحمة عاشوراء؛ إذ لا يجوز نسبة أي شيء اليهم ما لم يكن هناك دليل وحجّة على ذلك، كما في شخص قائد الملحمة الإمام الحسين وابنه الإمام زين العابدين عليهما السلام؛ إذ إنّ عنوان الإمامة والعصمة يضفي عليهما أحكاماً خاصّة، من حيث نسبة قول أو فعل أو تقرير إليهم، كما هو مقرر في علمي الفقه والكلام.

موازين ومناهج القبول والردّ في العلوم

تفرض طبيعة كل علم ـ وخاصيته وما له من غاية ووظيفة ـ أن يكون له منهج وميزان خاصّ تخضع له عملية الاستدلال في ذلك العلم، وتحكّم قوانينه وموازينه في القبول والردّ. وإنّ هذه الموازين والمناهج العلمية يختلف بعضها عن البعض الآخر ـ بطبيعة الحال ـ من حيث التشدّد أو التساهل، فبعضها يتشدّد كثيراً، كما في المنهج العقدي والكلامي، وبعضها يتساهل قليلاً في قبوله للخبر أو الرواية كالمنهج الفقهي، وبعضها أكثر اتّساعاً في تعامله مع الأخبار والروايات، كما هو الحال في ميزان المنهج التاريخي، وستأتي الإشارة إلى ضوابط وموازين كل واحد من هذه المناهج، وكيفيّة تطبيقها على أحداث عاشوراء؛ لمعرفة ما هو المعيار والميزان في نسبة فعل أو قول أو أيّ شيء آخر لذوات ملحمة كربلاء.

وبعبارة أوضح: ما هو ميزان التعامل في نقل روايات وأحداث عاشوراء ؟ فهل نتعامل مع النقل للوقائع معاملة القضايا أو المسائل العقائدية ؟ أو نتعامل معها معاملة المسائل الفقهية أو التاريخية ؟ أو ماذا ؟

الخلط بين المناهج في التعامل مع أحداث عاشوراء

بعد أن عرفنا أنّ لكل علم منهجه الخاصّ وضوابطه المحددة، فإنّ حصول أيّ خلط بينها سوف يؤدي إلى انحرافات وعواقب وخيمة، تلقي بظلالها على كثير من الأحكام والموضوعات الشرعيّة من جهة، وتؤدي إلى نزاعات علميّة من جهة أُخرى، وهو ما يسمى بـ (الخلط في المنهج) حسب الاصطلاح المعاصر.

وبسبب الخلط بين المناهج الثلاثة ـ العقدي والفقهي والتاريخي ـ وضوابطها أصبح عندنا اتجاهان غير معتدلين في القبول والرفض لوقائع كربلاء وروايتها:

الأول: المنهج المتشدّد

وهو ما ذهب إليه بعض الباحثين من تفنيد أكثر أحداث عاشوراء؛ وذلك بعد أن قاسها بمقياس لم يوضع لأجلها، ووزنها بغير ميزانها؛ إذ إنّه عامل كلّ الأحداث معاملة الرواية في باب العقائد أو الفقه، واشترط ضوابط العِلمين في كلّ الروايات العاشورائية، ولعلنا نجد هذا المنهج متّبعاً في كتاب الملحمة الحسينيّة للشهيد مطهري ﷺ، وكذا لدى بعض الكتّاب المعاصرين.

الثاني: المنهج المتساهل

وهو ما انتهجه بعضٌ آخر من الباحثين، كبعض الخطباء والكتّاب وأرباب المقاتل وبعض المحدِّثين، الذين توسعوا في تلقي ما نُقل في كتُب السير والتأريخ حول واقعة الطفّ بالقبول، ولم يعيروا أهمية واضحة للتفريق بين المناهج المتقدِّمة في تقبُّلهم لتلك الأحداث، فأرسلوها إرسال المسلَّمات من خلال الاعتماد في كلّ المنقولات العاشورائية على ميزان التاريخ فقط، فوزنوا كلّ الأحداث بالميزان الأسهل، وأخذوا كلّ ما ذكره التاريخ؛ وبذلك وقع الفريقان بين إفراط بالقبول أو إفراط بالرفض، والحال أنّ الطريقة المثلى هي الوسطيّة التي سنتعرَّف عليها من خلال البحث؛ حيث إنّنا سنتبنّى التفصيل في روايات عاشوراء.

موازين العلوم والرواية العاشورائية

قبل أن نعطي نتيجة حول الميزان في قبول الروايات العاشورائية لا بدّ أن نستعرض المناهج والموازين في قبول النقل في العلوم الثلاثة: (الكلام والفقه والتاريخ) ونحدّد الميزان الذي يمكن أن نحاكم تلك الروايات العاشورائية على أساسه:

أولاً: المنهج أو الميزان في البحث العقدي (الكلامي)

إنّ المنهج في نقل الرواية في باب الأُمور الاعتقادية المتعلقة بالبحث عن أصول

الدين الإسلامي (التوحيد والعدل والنبوة والإمامة والمعاد) وتفريعاتها ـ مما يمكن إثباتها عن طريق النقل ـ يختلف عن مناهج نقل الرواية في فروع الدين والمسائل الفقهية، كما ويختلف عنه في نقل الرواية التاريخية، فهو المنهج الأكثر تشدداً بالنقل؛ إذ إنّ الرواية في باب العقائد التي تثبت بها أمور عقائدية، لا بدّ أن تكون بدرجة القطع والعلم بصدورها عن المعصومين؛ لأنّ الأُمور العقائدية لا تبنى على الظنّ والتخرُّص، فإنّهما لا يغنيان عن الحقّ شيئاً.

وبعبارة أُخرى: إنّ الذي يُطالب به المكلف في باب العقائد هو عقد القلب القطعي على الاعتقاد بالأصول الخمسة وتفريعاتها، ومن دون أيّ ريب أو شك، وهذا لا يحصل من الظنِّ.

وهذا الرأي ذهب إليه مشهور علماء الإمامية، فقالوا: إنّ مطلق الأُمور العقائدية لا تثبت إلاّ باليقين، واليقين لا يحصل بالخبر الظنّي، كخبر الواحد، وإنّما يحصل بالخبر القطعي كالخبر المتواتر، أو المحفوف بقرائن قطعية[١].

وخالف بعض الأعلام، ففصّلوا بين إثبات العقائد الأساسية والرئيسة وبين إثبات العقائد الثانوية الفرعيّة، فقالوا: إنّ العقائد الأساسية لا تثبت إلاّ بالخبر القطعي واليقيني، وأمّا العقائد الفرعيّة والتفصيليّة فيمكن إثباتها بالخبر الظنّي الحجّة، وهو خبر الثقة أو الخبر الموثوق بصدوره.

وذهب إلى هذا القول جملة من المحققين، منهم: المحقق الطوسي ﷺ، والعلاّمة المجلسي ﷺ، والشيخ البهائي ﷺ، وغيرهم[٢]، وتبنّاه من المعاصرين أستاذ أساتذتنا

---

(١) الهاشمي، محمود، بحوث في علم الأصول (تقريرات بحث السيد محمد باقر الصدر ﷺ): ج٤، ص٣٢٧.

(٢) أُنظر: الموسوي، رياض، الشعائر الحسينية بين الآصالة والتجديد (محاضرات اية الله الشيخ محمد السند): ج١، ص٢٣٩.

السيد المحقق الخوئي ﷺ في كتابه مصباح الأصول، في بحثه حول حجيّة الظنّ في غير الأحكام[١].

وتبنّاه أيضاً بعض مشايخنا المعاصرين، كالشيخ الأستاذ محمد السند في بحثه الأصولي، وفي كتابه الشعائر الحسينية[٢]. وهذا الميزان لا يجري في نقل كلّ الروايات التي تنقل إلينا واقعة كربلاء؛ إذ إنّ تلك الروايات تنقل لنا أحداثاً تاريخيّة في غالبها.

نعم، إذا كانت تلك الروايات تنقل لنا ما يتعلّق بالعقيدة والاعتقاد، كالحديث عمّا يتعلق بعصمة الإمام الحسين عليه السلام، أو العدل الإلهي، وما جرى من محن وابتلاءات على آل البيت عليهم السلام، وربطه بواقعة وأحداث كربلاء، أو ما يخصّ الشفاعة، أو رجعة الإمام الحسين عليه السلام[٣] أو غيرها، فإنّ كل ذلك يوزن بوزان المنهج العقائدي؛ وعليه يكون الميزان العقائدي جارياً في بعض أحداث ووقائع عاشوراء المحتوية على ما يرتبط بالعقيدة والاعتقاد فقط، دون النقول الأُخرى.

وإليك جملة من التطبيقات الكليّة التي لا بدّ من أن توزن بالميزان العقدي:

الأول: كل ما يُنقل عن الإمام الحسين عليه السلام فيما يخصّ العقيدة والاعتقاد، كقضية

---

(١) الحسيني، محمد سرور، مصباح الأصول (تقريرات بحث المحقق السيد الخوئي ﷺ): ج٢، ص٢٣٨.

(٢) أُنظر: الموسوي، رياض، الشعائر الحسينية بين الآصالة والتجديد (محاضرات الشيخ الاستاذ اية الله محمد السند): ج١ ص ٢٤٠.

(٣) فقد وردت مجموعة من الروايات التي تنصّ على رجعة الإمام الحسين عليه السلام، كما أخرج الكليني في الكافي، بسنده عن أبي عبد الله عليه السلام ـ في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ رَدَدنا لَكُمُ الكَرَّةَ عَلَيهِمْ﴾ ـ قال: «خروج الحسين عليه السلام في سبعين من أصحابه، عليهم البيض المذهّب، لكل بيضة وجهان، المؤدّون إلى الناس أنّ هذا الحسين قد خرج، حتى لا يشك المؤمنون فيه، وأنّه ليس بدجّال ولا شيطان، والحجّة القائم بين أظهرهم، فإذا استقرت المعرفة في قلوب المؤمنين أنّه الحسين عليه السلام، جاء الحجّةَ الموتُ، فيكون الذي يغسّله ويكفّنه ويحنّطه ويُلحده في حفرته الحسين بن علي عليهما السلام، ولا يلي الوصي إلاّ الوصي». الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج٨، ص٢٠٦.

الإمامة والوصية، كما في قوله عليه السلام: «**فانسبوني فانظروا مَن أنا، ثمَّ ارجعوا إلى أنفسكم وعاتبوها، فانظروا هل يصلح لكم قتلي وانتهاك حرمتي ؟ ألست ابن بنت نبيكم، وابن وصيه وابن عمّه، وأول المؤمنين المصدِّق لرسول الله بما جاء به من عند ربه ؟ !**»[١].

أو أنّ الخروج عليه كفر؛ باعتباره إمام مفترض الطاعة، كما في قوله عليه السلام: «**ثمّ إنّكم زحفتم إلى ذريته وعترته تريدون قتلهم، لقد استحوذ عليكم الشيطان؛ فأنساكم ذكر الله العظيم، فتباً لكم ولما تريدون، إنّا لله وإنّا إليه راجعون، هؤلاء قوم كفروا بعد إيمانهم، فبعداً للقوم الظالمين**»[٢].

أو أنّ مَن قاتله خالد في النار، كقوله عليه السلام: «**ولبئس ما قدمت لهم أنفسهم في العذاب وهم خالدون**»[٣].

أو وجوب نصرته عليه السلام حين طلب النصرة، كما في الرواية التي يرويها كثير من المؤرخين عن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله: «**إنّ ابني هذا يُقتل بأرض يُقال لها: كربلاء. فمَن شهد ذلك منكم فلينصره**»[٤].

الثاني: كل ما يُنقل عن الإمام السجاد عليه السلام من روايات أو مواقف تندرج تحت القضايا العقدية، ومن أمثلة ذلك: ما نقله صاحب البحار من خطبة الإمام السجاد عليه السلام في مجلس يزيد: «**فإن زعمتَ أنّه جَدُّك؛ فقد كذبتَ وكفرت، وإن زعمتَ أنّه جَدّي؛ فلِمَ قتلتَ عترته**»[٥].

---

(١) المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج٢، ص٩٧.

(٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٥، ص٦.

(٣) الحلي، ابن نما، مثير الأحزان: ص٤٠.

(٤) أُنظر: ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق: ج١٤، ص٢٢٤. والعسقلاني ابن حجر، أُسد الغابة: ج١، ص١٢٣.

(٥) أُنظر: المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٥، ص١٣٩.

الثالث: كلّ ما ينقله الإمام الحسين وأهل بيته عليهم السلام وأصحابه من روايات تُبيِّن مواقف عقدية عن النبي صلى الله عليه وآله أو أمير المؤمنين أو الحسن عليهما السلام، ومن أمثلة ذلك: ما استشهد به الإمام الحسين عليه السلام من قول رسول الله صلى الله عليه وآله: «**أوَ لم يبلغكم قول رسول الله صلى الله عليه وآله لي ولأخي: هذان سيّدا شباب أهل الجنّة ؟ ! فإن صدّقتموني بما أقول وهو الحقّ، والله، ما تعمّدت الكذب منذ علمت أنّ الله يمقت عليه أهله، ويضرّ به مَن اختلقه، وإن كذّبتموني؛ فإنّ فيكم مَن إن سألتموه عن ذلك أخبركم، سلوا جابر بن عبد الله الأنصاري، وأبا سعيد الخدري، وسهل بن سعد الساعدي، وزيد بن أرقم، وأنس بن مالك، يخبرونكم أنّهم سمعوا هذه المقالة من رسول الله صلى الله عليه وآله لي ولأخي، أما في هذا حاجز لكم عن سفك دمي ؟ !**»[1].

الرابع: كلّ ما صدر عن السيدة زينب عليها السلام من نقول أو أفعال تنقلهما عن الإمامين الحسين والسجاد عليهما السلام، ومن أمثلة ذلك: ما نقلته السيدة زينب عن الإمام السجاد عليه السلام أنّه قال لها: «**اسكتي يا عمّة، فأنت بحمد الله عالمة غير معلَّمة، فَهِمَةٌ غير مفهَّمة**»[2].

ومن أمثلة ذلك أيضاً: ما روي عن السيدة زينب من أنّ الإمامة للإمام السجاد بعد أبيه عليهما السلام، وأن الإمام زين العابدين عليه السلام طلب من عمته سيفاً ليقاتل مع أبيه الحسين عليه السلام، فقال الحسين عليه السلام لأُخته: «**يا أُم كلثوم، خذيه لئلا تبقى الأرض خالية من نسل آل محمد صلى الله عليه وآله**»[3].

الخامس: كل ما يُنقل من روايات تمسّ أو تنافي عصمة الإمام الحسين والإمام السجاد عليهما السلام؛ باعتبار دخول مسألة العصمة في مبحث الإمامة.

---

(١) المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج٢، ص٩٧.

(٢) الطبرسي، أحمد بن علي بن أبي طالب، الاحتجاج: ص١٦٦ (ط النجف).

(٣) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٥، ص٤٦.

السادس: ما يُنقل عن السيدة زينب عليها السلام أو بعض أصحاب الإمام الحسين عليه السلام من أُمور عقديّة، بمرأى ومسمع من المعصوم عليه السلام، كما في قولها عليها السلام لشخص أراد أن يأخذ إحدى بنات الإمام الحسين عليه السلام في مجلس يزيد، بعد أن أقرّ بصحّة السبي: «**ما جعل الله لك ذلك، إلاّ أن تخرج من ملّتنا وتدين بغير ديننا...**»[١].

فهذه التطبيقات الكليّة ـ التي يجدها الباحث والمتتبع والسامع لوقائع عاشوراء ـ وما يندرج تحتها من أمثلة كثيرة لا بدّ أن توزن بمعايير وضوابط البحث العقائدي، ولا يصح النقل بشكل قطعي ما لم تخضع لذلك الميزان.

ثانياً: المنهج أو الميزان في البحث الفقهي

وهذا المنهج يُعنى بنقل الرواية في باب الأحكام الشرعيّة الفرعيّة ـ المسطور في كتب الفقه الإسلامي ـ وهو المنهج الأقل تشدداً في النقل من المنهج العقائدي؛ لأنّه يقبل الخبر الظنّي المعتبر، كخبر الواحد الثقة، أو الخبر الموثوق بصدوره من خلال مجموعة عوامل تفيد الاطمئنان أو الوثوق بالصدور[٢].

وبيان ذلك يتوقف على استيضاح مقدمة:

وهي أنّنا نعلم إجمالاً بأن بعض الأخبار الواصلة إلينا مدسوس ومكذوب على رسول الله صلى الله عليه وآله وأهل البيت عليهم السلام، ولهذا التزوير والوضع تاريخ طويل لا يسع ذكره هنا، وقد مورس بأيادٍ خبيثة أكثرها خارجية، وكذا من خلال بعض السلطات الحاكمة وبعض المرتزقة، ويعود زمن هذا الوضع والتزوير إلى بداية الدعوة، حتى أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قد صرّح في غير موطن بذلك، كما قال أمير المؤمنين عليه السلام في خطبة له: «... **وَقَدْ كُذِبَ عَلَى رَسُولِ الله صلى الله عليه وآله عَلَى**

---

(١) المصدر نفسه: ص١٣٦.

(٢) الإيرواني، محمد باقر، دروس تمهيدية في القواعد الفقهية: ص٤٩.

عَهْدِهِ حَتَّى قَامَ خَطِيباً، فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ، قَدْ كَثُرَتْ عَلَيَّ الكَذَّابَةُ؛ فَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّداً؛ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ من النَّارِ. ثُمَّ كُذِبَ عَلَيْهِ من بَعْدِه»[١].

وعليه؛ فإنّ منهج فقهاء أهل البيت في الاستنباط الفقهي والتشريعي لا يعتمد على كلّ الروايات الواصلة إليهم؛ لأنّهم يعلمون إجمالاً أنّ بعض ما وصل من روايات موضوع ومكذوب عليهم؛ لذا فإن منهج البحث في نقل الرواية المتعلقة بإثبات حكم شرعي فرعي يعتمد على أُسس وقوانين مدوَّنة تفصيلاً في علمي (الرجال والحديث)، ونحن نكتفي بذكر ملخَّص من ذلك؛ فنقول: إنّ الروايات تنقسم على أربعة أقسام:

١ ـ **الرواية الصحيحة**: وهي الرواية التي يكون جميع رواتها عدولاً إمامية اثنى عشرية.

٢ ـ **الرواية الموثّقة**: وهي الرواية التي يكون جميع أو بعض رواتها ثقات، وإن لم يكونوا إمامية اثنى عشرية، وكانوا من أبناء العامة الثابتة وثاقتهم، أو زيدية، أو إسماعيلية أو غيرهم، إذا كانوا ثقات.

٣ ـ **الرواية الحسنة**: وهي الرواية التي في سندها راوٍ إمامي، ولكنّه ممدوح ولم يرد فيه توثيق.

٤ ـ **الرواية الضعيفة**: وهي الرواية التي يكون راويها منصوصاً على ضعفه، أو مجهول الحال؛ فيعامل معاملة الضعيف[٢].

والمشهور يرى اعتبار الروايات الثلاث الأُولى دون الأخيرة[٣]، ففي إثبات حكم شرعي لا بدّ من وصول الرواية إلينا بطريق معتبر وحجّة؛ لكي نعتمد عليها في مقام الاستنباط.

---

(١) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج١، ص ٦٢.

(٢) أُنظر: الإيرواني، محمد باقر، دروس تمهيدية في القواعد الرجالية: ص٤٧.

(٣) أُنظر: الحسيني، محمد سرور، مصباح الأصول (تقريرات بحث المحقق السيد الخوئي): ج٢، ص٢٠٠.

والروايات التي تكون حجّة في الأحكام على صنفين:

الصنف الأول: أن يكون الخبر واصلاً إلينا بالعلم والقطع، وهو الخبر المتواتر، ونسبة تلك الأخبار قليلة جداً.

الصنف الثاني: الخبر الواصل إلينا بالظنّ المعتبر الذي جعله الشارع حجّة، وتحصيل ذلك بأحد مبنيين:

الأول: مبنى الوثاقة

وهو ما ذهب إليه بعض الأعلام المعاصرين، كالسيد الخوئي ﷺ وجملة من تلاميذه، وحاصله: أنّ الخبر المعتبر في الفقه ما كان رواته منصوصاً على وثاقتهم، إمّا بالتوثيقات الخاصّة، كنصّ الإمام عليه السلام أو نصّ أحد الرجاليين المتقدمين، كالطوسي أو النجاشي على وثاقة راوٍ معين، أو بالتوثيقات العامّة، ككبرى وثاقة كلّ مَن ورد في إسناد تفسير القمّي، أو في نوادر الحكمة أو غير ذلك، كما هو مفصّل في محله من علم الأصول والرجال[1]. أمّا غير ذلك؛ فلا ثبوت للأحكام الفقهية به.

الثاني: مبنى الوثوق بالصدور

وهو ما ذهب إليه مشهور الفقهاء ـ كالسيد محسن الحكيم والسيد حسين البروجردي والسيد السيستاني وشيخنا الاستاذ السند وبعض أساتذتنا المعاصرين ـ وهو الصحيح ـ من أنّ الوثوق بالصدور يكفي في اعتبار الرواية، ومعنى الوثوق بالصدور هو: تجميع قرائن من داخل الخبر وخارجه تفيد اطمئناناً بأنّ الخبر قد صدر عن المعصوم، وإنّ لم يكن كلّ رواته في سلسلة السند منصوصي الوثاقة؛ فالحجّة هو حصول الاطمئنان والوثوق بأنّ الخبر صادر عنهم؛

(١) المصدر السابق: ج٢، ص٢٢٥.

وتكون حينئذٍ وثاقة الرواة إحدى أمارات تحصيل الوثوق بالصدور[١].

وعلى كلا المبنيين ـ خصوصاً الأول منهما ـ لا يهمل الخبر الضعيف كلياً ويعامل معاملة غير الصادر، بل لعله صادر ولكن لم يثبت لنا طريق لاعتباره. وبعبارة أُخرى: كون الخبر ضعيفاً لا يدلّ على نفي صدوره عن المعصوم بشكل قطعي، بل لعله صدر ولا وسيلة لإثباته.

وهذا يستدعي عدم طرح الأحاديث الضعيفة كلياً؛ للقاعدة التي أسسها علماء الأصول من حرمة ردِّ الخبر الضعيف[٢]؛ إذ يمكن الاستفادة منه في إثبات مستحب أو مكروه؛ طبقاً لقاعدة التسامح في أدلّة السنن، التي يبني عليها بعض الأعلام، كما يمكن إثبات حصول التواتر أو الاستفاضة به.

والروايات العاشورائية لا تخضع لهذا الميزان على نحو كلي، وإنّما يشملها فيما إذا كانت تلك الروايات تؤسس لحكم شرعي، أو تنسب فعلاً أو قولاً لمعصوم كالإمام الحسين أو الإمام السجاد عليهما السلام.

نعم، بعض الروايات الضعيفة التي تنقل أفعال الإمام الحسين عليه السلام لا ينبغي طرحها، بل يُبحث عن قرائن أُخرى لإثباتها، خصوصاً على مبنى الوثوق بالصدور، كما أشرنا سابقاً. فمثلاً: إذا نقل ابن عساكر في تاريخه حدثاً عن كربلاء، وتكرر النقل من مؤرِّخ آخر للحدث نفسه، كما لو نقل الخوارزمي والرازي نفس الحدث، فلا يقال: إنّ أخبارهم ضعيفة ولا يؤخذ

---

(١) أُنظر: الهمداني، مصباح الفقيه: ج١، ص٣٤. والحكيم، محسن، مستمسك العروة الوثقى: ج٩، ص٢٤٨. والسبحاني، جعفر، الرسائل الأربع: ج٣، ص٦٩ (حيث ينقل رأي السيد البروجردي). والإيرواني، محمد باقر، دروس تمهيدية في القواعد الرجالية: ص٢٠٧.

(٢) أُنظر: العاملي، محمد بن مكي(الشهيد الأول)، غاية المراد في شرح نكت الإرشاد: ج١ ص ١٠٣. والسند، محمد، بحوث في مباني علم الرجال: ج١، ص٧٤.

بها؛ لأنّ الخبر الضعيف لا يعني أنّه مدسوس، فلو حصل لنا اطمئنان أو وثوق بالصدور أصبح حجّة، وحصول ذلك الوثوق بسبب قرائن من داخل النصّ، كعلو بلاغته، أو إخباره عن المغيّبات وغيرهما، أو من خارج النصّ، كما هو مبحوث في علم الدراية والرجال.

وخلاصة الكلام في موردنا هذا هو: أنّ روايات عاشوراء إنّما توزن بالميزان الفقهي إذا كانت حاوية على مسائل فقهية.

وإليك بعض التطبيقات الكليّة التي لا بدّ أن توزن بميزان الفقه:

١ـ كلّ ما يتعلّق بالمسائل التي تخصّ الحلال والحرام، كالصلاة التي صلاّها الإمام الحسين عليه السلام حال الحرب (صلاة الخوف)، وطلبه الهدنة المؤقتة من القوم حتى يصلّي؛ فقد روي أنّه عندما ذكّره أحد أصحابه بالصلاة، قال له الإمام عليه السلام: «... **ذكرت الصلاة؛ جعلك الله من المصلين الذاكرين. نعم، هذا أول وقتها. ثمّ قال: سلوهم أن يكفّوا عنّا حتى نصلّي**»[1].

ومن ذلك أيضاً: مسألة خروجه عليه السلام يوم التروية، كما ذكر المؤرخون[2]؛ حيث ذكروا أنّ خروجه كان بسبب الاضطرار، فيبحث في أصل جواز الخروج وعدمه؛ وبناءً على الجواز، هل يجوز الخروج مطلقاً أو بشرط الاضطرار ؟ ونحو ذلك.

ومنه: مسألة مشروعيّة الإذن بترك الجهاد معه عليه السلام والترخيص من قبله بالنجاة ـ حيث يُبحث في صلاحيّة ولي الأمر بترك الجهاد والإذن بالانصراف ـ فروي في ثمرات الأعواد قوله عليه السلام: «**يا أصحابي، إنّ هؤلاء يريدوني دونكم، ولو قتلوني لم يصلوا إليكم،**

---

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٥، ص٢١.

(٢) اُنظر: الأمين، محسن، لواعج الأشجان: ص٧٠. والسيد شرف الدين، المجالس الفاخرة في مصائب العترة الطاهرة: ص٢٠٩.

فالنجاة النجاة ! وأنتم في حِلٍّ منّي؛ فإنّكم إن أصبحتم معي قُتلتم كلّكم»[١].

ومنه: مسألة إصرار الإمام الحسين عليه السلام على عدم بدء الحرب، وإنّما بدأت من جهة جيش العدو[٢].

ومنه: قبول التوبة حتى بعد ارتكاب ما هو سبب لقتل الحسين عليه السلام، كما في التوبة التي سألها الحرّ مخاطباً الإمام عليه السلام: هل لي من توبة ؟ فقال عليه السلام: **«نعم، يتوب الله عليك»**[٣].

٢ـ كلّ ما ينسب للإمام الحسين عليه السلام ـ وإن لم يكن مسألة فقهية ـ من قول أو فعل أو تقرير؛ وذلك لخصوصيّة العصمة.

٣ـ كل ما يرويه أصحاب الإمام الحسين عليه السلام أو أهل بيته أو السيدة زينب عليها السلام، من أقوال أو أفعال عن أبي عبد الله الحسين عليه السلام؛ للخصوصيّة نفسها.

٤ ـ كل ما يُروى عن الإمام السجاد عليه السلام من قول أو فعل ـ سواء كان فقهياً أو غير فقهي[٤] ـ لعدم جواز نسبة شيء إليه بشكل قطعي إلاّ بحجّة شرعيّة؛ لأن الإسناد له إسناد

---

(١) أُنظر: الهاشمي، عليّ بن الحسين، ثمرات الأعواد: ج١ ص ٢٥٨.

(٢) أُنظر: الحلي، ابن نما، مثير الأحزان: ص٥٦.

(٣) أُنظر: المصدر نفسه: ٥٩.

(٤) كما روى أبو مخنف، قال: «حدَّثني الحارث بن كعب وأبو الضحّاك، عن علي بن الحسين بن علي، قال: إنّي جالس في تلك العشيّة التي قُتل أبي صبيحتها، وعمّتي زينب عندي تمرِّضني، إذ اعتزل أبي بأصحابه في خباء له وعنده حوى مولى أبي ذر الغفاري، وهو يعالج سيفه ويصلحه، وأبي يقول:

يا دهر أفٍ لك من خليل ... كم لك بالإشراق والأصيل

من صاحب أو طالب قتيل ... والدهر لا يقنع بالبديل

وإنّما الأمر إلى الجليل ... وكلّ حي سالك السبيل

قال: فأعادها مرتين أو ثلاثاً حتى فهمتها، فعرفت ما أراد؛ فخنقتني عبرتي، فرددت دمعي ولزمت السكون، فعلمت أن البلاء قد نزل...». أبو مخنف، مقتل الحسين: ص١١١.

للشارع المقدّس[١]، ومثال ذلك: ما نقل بعض الكتّاب والمؤرخين كالدربندي في أسرار الشهادة والسيد المقرّم في كتابه زين العابدين[٢]: من أنّ الشهداء دفنوا في حفرة واحدة بتقرير من الإمام السجاد عليه السلام، وهذا النقل يستدعي إثبات ذلك برواية مسندة؛ إذ إنّه حكم فقهي من جهة، وإنّ أكثر الفقهاء بين مانع من الدفن الجماعي في قبر واحد، وبين قائل بالكراهة، ويستفاد ذلك من عبارة صاحب الجواهر؛ حيث قال: «**و (منها) (أي المكروهات) دفن ميتين ابتداءً في قبر واحد بلا خلاف أجده بين مَن تعرَّض له ـ من ابن حمزة والفاضلين والشهيد وغيرهم ـ عدا ابن سعيد في الجامع فنهى، ولعله يريدها للأصل وضعف المرسل عنهم عليهم السلام (لا يُدفن في قبر واحد اثنان) عن إفادة غير الكراهة؛ فلا وجه للحرمة حينئذٍ، كما لا وجه للتوقف في الكراهة بعد ما عرفت، مع إمكان تأيده زيادة على المسامحة فيه بأولويته من كراهة جمعهما في جنازة واحدة المنصوص عليها في الوسيلة والمعتبر، وعن المبسوط والنهاية وغيرهما، المدلول عليها في الجملة بمكاتبة الصفّار لأبي عليه السلام وباحتمال تأذي أحدهما بالآخر، وافتضاحه عنده**»[٣].

٥ـ كلّ ما ينقله شهداء الطفّ من روايات ينسبونها إلى الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، أو أمير المؤمنين عليه السلام، كما في نقل بعض أصحاب الإمام الحسين عليه السلام لأقوال رسول الله صلى الله عليه وآله.

٦ ـ كلّ ما تنقله السيدة زينب من أقوال عن النبي صلى الله عليه وآله، أو أمير المؤمنين أو الزهراء عليهما السلام، كما في نقلها لوصية الزهراء عليها السلام عندما ترى الحسين وحيداً؛ فتشمّه في نحره وتقبّله في صدره[٤].

---

(١) الصدر، محمد باقر، دروس في علم الأصول (الحلقة الثالثة): ص٦٩.

(٢) أُنظر: الدربندي، أسرار الشهادة: ج٣، ص١٧٠. وأيضاً: المقرّم، عبد الرزاق، الإمام زين العابدين: ص ٤٠٢.

(٣) النجفي، محمد حسن، جواهر الكلام: ج٤، ص٣٤١.

(٤) أُنظر: الهاشمي، عليّ بن الحسين، ثمرات الأعواد: ج١، ص٣١.

فهذه الكليّات ـ وما يندرج تحتها من روايات ـ تحكي أحكاماً فقهية لا بدّ أن تخضع لموازين قبول الرواية في الفقه، ولا تصحّ نسبتها بشكل قطعي ما لم تتوفر تلك الموازين.

ثالثاً: المنهج أو الميزان في البحث التاريخي

إنّ الميزان في نقل الرواية والحدث التاريخي أقلّ تشدداً منه في المنهجين والميزانين المتقدّمين؛ حيث يُقبل النقل فيه حتى بالخبر الضعيف ما دام له مصدر، أو منشأ مذكور في كتب التاريخ والتراجم، ولم يعلم أنّه من وضع الوضّاعين، فهو أوسع من المنهجين السابقين في دائرة القبول وعدم الطرح.

فضابطة النقل في هذا العلم هو: أن يكون الحدث المنقول مكتوباً في مصدر تاريخي، وصل إلينا بطريق مشهور ومعتمد عند فئة من الناس، ولم يتعمد كاتبُه تزييف الحقائق.

وعادةً ما تكون الكتب التاريخية ـ بل الأصل فيها ـ خالية من طرق الإسناد، والمعول عندهم هو اعتبار كونها قديمة ومشتهرة، وكاتبها متخصص وموضوعي في النقل[١].

فالمؤرّخ يصوّر الحدث من خلال روايات ومشاهدات وقرائن وتحليل؛ فيرسم صورة للحدث التاريخي بمنظاره.

وفي الحقيقة هناك أُسلوبان أساسيان في النقل التاريخي:

الأُسلوب الأول: هو الأُسلوب (السردي)، وهو ما يغلب على الكتب التاريخية القديمة، فهي سردية نقلية فقط، دون أن يكون للمؤرّخ أيّ بصمات غير نقل الأحداث التي شاهدها، أو نُقلت إليه؛ فينقلها كما هي بألفاظها وكلماتها، كما في تاريخ الطبري وغيره.

---

(١) أُنظر: الموسوي، رياض، الشعائر الحسينيّة بين الأصالة والتجديد (محاضرات الشيخ محمد السند): ج١، ص٢٣٠.

الأُسلوب الثاني: وهو الأُسلوب (العقلي)، والذي هو عبارة عن المنهج التحليلي والاستنباطي، وهو منهج متّبع عند بعض المؤرِّخين؛ فيربط في هذا الأُسلوب بين الأحداث ويرسم أحداثاً وتحليلات لا يراها غيره؛ فيصيغها بصياغات فنية وأدبية مع التحليل والتأويل والربط بين مجمل الأحداث والاعتماد على القرائن[1].

ورواية الشعائر أكثرها من الأُسلوب الأول من المنهج التاريخي وبعضها من الثاني؛ فلذا تُعامل روايات وأحداث الملحمة الحسينيّة كما تُعامل روايات التاريخ، فكما أننا لا نطلب الأسانيد في نقل حادثةٍ تاريخية ما، كذلك لا نطلب أسانيد لإثبات حادثة عاشوراء ووقائعها.

نعم، ما كان متعلّقاً بباب الأحكام وأُصول الاعتقاد يُحاكم بموازين المنهجين العقائدي والفقهي.

ولا حاجة لذكر التطبيقات العاشورائية في هذا المنهج التاريخي؛ لأنّها الأكثر في الروايات والأحداث.

النتيجة:

إنّ روايات عاشوراء ما دام غالبها روايات داخلة في المنهج التاريخي، فهي تقاس بالمقياس التاريخي لا غير، أمّا ما كان فيه مساس بالعقيدة أو الفقه فيقاس بمقياس ومنهج علمَي الكلام والفقه.

النقل التاريخي بأُسلوب أدبي

وهناك أُسلوب آخر أقرب للمنهج التاريخي النقلي، وهو منهج التعبير الأدبي والإبداعي ـ سواء كان بنحو القصّة أو الشعر أو غيرهما ـ الذي شاع كثيراً في التمثيل الدرامي

(١) أُنظر: مطهري، مرتضى، المجتمع والتاريخ: ص٦٥.

والسينمائي والمسرحي والشعري.

والفرق بين هذا الأُسلوب والمنهج التاريخي: أنّ المؤرّخ ينقل في مقام الإخبار عن واقع ما، أمّا في المنهج القصصي، فلا يقول القاصّ: إنّي أخبر عن الواقع، وإنّما أُريد أن أُصوّر الحدث التاريخي الواصل إليّ بصورةٍ أكثر تأثيراً، وبأدوات تخيّلية وفنيّة ومجازيّة وكنائيّة.

وهذا الأُسلوب ليس غريباً أو بعيداً عن الحدث التاريخي، بل هو مرتبط به ارتباطاً ما، وحاكياً عنه بوجه آخر، فهو كالمدلول الالتزامي له.

ومن أهمّ أمثلته لسان الحال الذي شاع ذكره بين الخطباء والشعراء، ومثاله البارز: ما أنشأه دعبل الخزاعي من شعرٍ بحضرة الإمام الرضا عليه السلام، عندما صوّر حضور الزهراء عليها السلام في الطفّ تصويراً قصصياً، على أنّه ليس في مقام الإخبار، وإنّما هو تصوير لشخصيّة حقيقة بتصوير افتراضي؛ لذا صدّر القصيدة بحرف (لو)، فقال:

أفاطم لو خلتي الحسين مجدلاً ... وقد مات عطشاناً بشطّ فرات

إذن للطمتي الخدّ فاطم عنده ... وأجريتي دمع العين في الوجنات[1]

فهو ليس في مقام الإخبار الحقيقي عن الحدث، بل في مقام الشعر والافتراض، ولكن الأشخاص في هذا التصوير أشخاص حقيقيون؛ فلا يقال له: إنّك كاذب.

ولهذا الفنّ وأمثاله ضوابط وشروط وأحكام، ستكون عنواناً لبحثنا القادم إن شاء الله تعالى.

---

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٥، ص٢٥٧.

البحث الثاني:

مشروعية التعبير بلسان الحال في أدب الطفّ وضوابطه

مقدمة:

من الموضوعات المتعلّقة بـ (فقه الشعائر الحسينية) الذي شاع كثيراً في أدب الطفّ شعراً ونثراً، وأصبح مادّةً إلقائيّةً (إنشاديّة)، أو كتابيّةً هو: موضوع لسان الحال؛ فقد وُظّف في كثيرٍ من الموارد المتعلّقة بالشعائر الحسينية، كما في كلمات الخطباء، وشعر الشعراء، ونتاجات أقلام الكتّاب والباحثين، فلعلّك لا تجد شاعراً أو خطيباً في قصيدته، أو مجلسه إلاّ ويصوّر لك بلسان الحال ما حلّ برموز كربلاء ومَن يرتبط بهم، بل ولسان حال السيّدة الزهراء صلوات الله عليها، وسائر الأئمة المعصومين وغيرهم.

ولذلك؛ وقع الكلام في مشروعيّة هذا الأُسلوب الأدبيّ، وتصوير حال أشخاص الطفّ بصورةٍ عامةٍ، وما يزيد الأمر تعقيداً هو ما يتمتع به بعض اشخاص الطفّ من سمة العصمة، وعلو المقام، ورفعة المنزلة؛ فلذا قد يصعب معرفة حالهم، وإدراك آفاق تفكيرهم، وما يتخذونه من مواقف، أو ما يقولونه من كلمات تجاه الأحداث التي تجري عليهم؛ فمن ثَمَّ يصوّر الشاعر أو الناثر لسان حالهم، كتعبير عمّا كانوا سيقولونه بلسان المقال والكلام، أو ما سيفعلونه من تصرفات ومواقف عمليّة تجاه الوقائع، والأحداث التي أحاطت بهم يوم عاشوراء، ومن أهمّها مصرع سيّد الشهداء عليه السلام.

وفي الحقيقة هناك اتّجاهان في أصل جواز لسان الحال في أدب الطفّ، خصوصاً إذا

كان لسان حال المعصومين ـ كالزهراء، والحسين، والسجاد صلوات الله عليهم ـ:

اتّجاه ذهب إلى المنع من تصوير لسان الحال، والاقتصار على لسان المقال.

واتّجاه أصرّ على المشروعيّة والجواز، كرديف للسان المقال، بل وصف بعضهم لسان الحال بأنّه أصدق من لسان المقال.

ولكلا الاتّجاهين أصحابه وأنصاره، وأدلته، وبياناته، وسنقف على ذلك مفصّلاً إن شاء الله تعالى في طيّات الكلام.

بعد أنّ تبيّن لنا أنّ هذه المسألة محلّ ابتلاء؛ أصبح هناك سبب وجيه لبحثها وتنقيحها، والوقوف على حقيقتها، ويزيد الأمر أهميّة أنّها من المسائل غير المبحوثة على مستوى التنظير والتوجيه الفقهي، فهي أقرب إلى كونها من المسائل المستحدثة، وأغلب مَن ذكرها لم يُفصّل فيها، وإنّما أجاب عنها على شكل فتوى بالجواز أو عدمه، وبيّنها بالإشارات الإجمالية بحيث لا يتمكن القارئ من معرفتها، وتبقى التساؤلات والاستفسارات تجول في ذهنه، ولا يجد لها جواباً.

وفي هذا المقال نحاول الوقوف على أهمّ مفاصل هذه المسألة؛ لتكون باكورة عملٍ، وهيكلة بحثٍ، لمَن يريد دراستها وبلورتها تفصيلاً.

معنى لسان الحال

لا نجد في معاجم اللغة العربية أي إشارة إلى تركيب (لسان الحال) بهذا العنوان، وإنّما شاع وانتشر في التعابير العربية شعراً ونثراً، بوصفه أُسلوب بيان لما يقتضيه حال المتكلم، من خلال الاطّلاع على مجمل أفعاله، أو حركاته، أو تقاسيم وجهه، أو أُفق تفكيره، أو غير ذلك ممّا هو غير لسان المقال والكلام.

فكلّ ما يصدر من الإنسان من كلام مُصاغ بصياغات لفظيّة يسمّى ذلك: لسان مقال، وبتعبير آخر: هو لساننا الذي ننطق به، أو مجمل ما تنطق به الشفتان من كلام أمام النّاس؛ فيُؤخذ حينئذٍ بظهورات لفظ المتكلّم سواء كانت له أم عليه، ويُعرف من خلاله مراداته الاستعماليّة والجديّة إذا كان في مقام البيان.

وفي قبال ذلك يقع لسان الحال الذي يمكن أن نعرّفه بأنّه لسان تَصرُّفنا في واقع الأمر من حركاتٍ، وسكناتٍ، وإشاراتٍ، ومواقفَ ممّا نفعله في حياتنا وعلاقاتنا بالآخرين، كتصرفاتنا الشخصيّة، ومعاشرتنا للنّاس، ومجمل كلماتنا الأُخريات خصوصاً في مواقف مشابهة للموقف المحكي، يقرأها المقابل ويصيغها بصياغاتٍ أدبيةٍ، مجازيةٍ تحكي لسان مقالنا، أو تُقرِّب منه، بأُسلوبٍ أدبيّ فنيّ مجازيّ، بلا دعوى كونها لسان مقال.

ولعلّ أقدم النصوص التي عَرّفت لسان الحال هي ما ذكره الغزّالي، حيث قال: «**هو نطق وراء نطق المقال، يُشبه قول القائل حكايةً لكلام الوتد والحائط، قال الجدار للوتد: لِمَ تشقّني ؟ فقال: سل مَن يدقني**»[١].

وعرّفه العلاّمة الطباطبائي، فقال عنه: «**انكشاف المعنى عن الشيء لدلالة صفةٍ من صفاته، وحالٍ من أحواله عليه سواء شعر به أم لا**»[٢].

أمّا كمصطلح، فقد وردت لفظة (لسان الحال) في بعض أبيات الشعر العربيّ، ومن تلك الأبيات قول الشاعر:

قف بالديار وسلهم عن أهاليها ... عسى ترد جواباً إذ تناديها

واستفهمن من لسان الحال ما فعلت ... أيدي الخطوب وماذا أبرمت فيها[٣]

---

(١) الغزالي، أبو حامد، إحياء علوم الدين: ج١، ص١٧٨.

(٢) الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن: ج٨، ص٣٠٨.

(٣) البحراني، يوسف، كشكول البحراني: ج١، ص٤٣٠.

وقال آخر:

فدهشت بين جماله وجلاله وغدا لسان الحال عني مخبرا[1]

وما يصوغه المقابل ـ كالشاعر، أو الكاتب ـ من ألفاظ إنّما تحكي لسان حال المتكلّم في واقعةٍ ما، فيما لو أراد الكلام في تلك الواقعة، فالمتصدّي للسان الحال هو غير المتكلّم بطبيعة الحال، ودوره إبراز كلمات يَدّعي أنّها تُعبّر أو تُطابق كلام المتكلّم في حال كلامه، وهذه التعابير نتاج ما يقتضيه حال المتكلّم، وتقاسيم وجهه، ومجموع كلماته الأُخريات، أو معرفة المتكلّم له، أو من خلال قراءة معرفيّة بشخص المتكلّم، ومواقفه الأُخر التي نطق بها؛ فمن مجموع ذلك يستنبط صياغات يدّعي تجوُّزاً أنّها كلمات المتكلّم فيما لو كان تكلّم حال حصول الواقعة، ولا يدعي أنّها كلماته حقيقة، كي يقال: إنّها كذب، بل يقول: هي تصوير مجازيّ، وأدبيّ لِما يقوله القائل لو أراد القول.

فيكون لسان الحال من باب التعبيرات الأدبيّة الفنيّة المجازيّة، والكنائيّة التي تحكي مُرادات وكلمات الشخص الذي لم يتكلّم في واقعةٍ ما، بأُسلوبٍ فنّي رائع وجميل، يَصوغه الشاعر أو الأديب.

وهو أُسلوب أدبيّ عريق؛ إذ لا نجد شعراً من الأشعار العربية في كلّ العصور الأدبيّة ـ ابتداءً من عصر ما قَبل الإسلام المسمّى بالعصر الجاهلي في كتب الأدب، ومروراً بالإسلاميّ، فالأُمويّ، فالعباسيّ، وانتهاءً بالشعر الحديث والمعاصر ـ إلاّ وقد حوى روائع من لسان الحال.

ثُمّ إنّ لسان الحال قد ورد في كثير من الروايات التي نقلها بعض المحدّثين في كتبهم ومعاجمهم الروائية، كما سنبيّن لاحقاً.

---

(١) الآلوسي، محمود، روح المعاني: ج٩، ص٥٥.

كما أنّ بعض المفسّرين قديماً وحديثاً، وكذا بعض الباحثين، والمهتمّين بالشأن القرآني قالوا بوجود لسان الحال في بعض الآيات القرآنيّة الكريمة، كتعبير عن لسان حال بعض الأفراد، وما كانوا ليقولوا لو نطقوا بلسان المقال، بل إنّ بعض الباحثين أدخل بعض القصص القرآني، والمثل القرآني في لسان الحال[1].

لسان الحال في النصوص الشرعيّة

هناك نماذج من النصوص الشرعيّة، كالآيات الكريمة، والروايات، والأشعار التي وردت عن آل البيت، أو بحضورهم وتقريرهم، والتي استُعمل فيها لسان الحال، كأُسلوب بيانيّ أدبيّ، وهذا له فائدة في دعم أصل مشروعيّة لسان الحال، بوصفه أُسلوباً للبيان والتخاطب، وأنّه أُسلوب مشروع، وليس داخلاً في عنوان الكذب والخيال؛ ولذلك يُسوّغ من حيث الأصل استخدام هذا الأُسلوب في المحاورات بصورةٍ عامّةٍ، وفي الأدب الحسينيّ ـ شعراً أو نثراً ـ بصورةٍ خاصّةٍ. وإنّما يُبحث في موانع الاستعمال أو العناوين الطارئة التي قد تُحرِّمه، فيكون عَرض ذلك بعنوان مدخل لبيان الحكم في المسألة.

وعليه؛ فنتكلّم في محاور ثلاثة:

المحور الأول: لسان الحال في القرآن الكريم

ذهب بعض المفسّرين والباحثين إلى وجود أُسلوب لسان الحال في النص القرآني الشريف؛ وذلك في آياتٍ عديدةٍ، إمّا بشكل قطعي، أو بنحو أحد المحتملات، أو بنحو الأُطروحة. بل وسّع بعض الباحثين الأمر فذكر أنّ كثيراً من القصص والأمثال القرآنيّة قد وردت بهذا الأُسلوب البيانيّ، قال شيخنا الأُستاذ محمد السند: «... **وهذا باب استعمله**

(١) استفدنا ذلك من محضر درس سماحة الشيخ الأستاذ السند دامت افاداته، في محاضرة خاصة حول عاشوراء.

القرآن، وهو وحيٌ وحيانيٌ إلهيٌ؛ فإنّ ضرب الأمثال في الكتاب العزيز لا حدّ له وفرةً وكثرةً مع أنّ المثل لا يراد الإخبار بمفاده المطابقيّ، بل المراد الجديّ منه المعنى المبطن والكنائيّ الذي يغاير المعنى المطابقيّ لسطح المثل، بل قد ضرب القرآن للناس من كلّ مثل.

نعم، ليس القرآن كلّه من قَبيل المثل والأمثال، كما تَوهّم بعضٌ، بل هو أحد الأبواب الثمانية لأُسلوب القرآن، والحكمة في هذا الأُسلوب والنمط من الاستعمال أُمور كثيرة:

منها: إنّ كثيراً من المعاني ليست حسيّة مرئيّة، بل هي من شؤون الرّوح وحالات النفس والخواطر القلبيّة، وغيرها من الأفعال التي ليست من عالم المادّة المحسوسة المرئيّة المسموعة الملموسة، بل هي من مشهد نفسانيّ، ومشهد روحيّ، ومشاهد عقليّة، ونفحات قلبيّة، وهي أوسع شأناً، وأكبر واقعيةً من العالم المرئي المحسوس، ولا بدّ من الإخبار عنه وانعكاسه إلى الآخرين، ولا يتأتى إلاّ بأنماط أُخر، أحد نماذجها أُسلوب المثل والتمثيل، ولسان الحال يلتقي معه في ذلك»[١].

وهنا نَعرض بشكل مجمل بعض الآيات التي قيل بورودها بلسان الحال لا لسان المقال، مع استعراض آراء بعض المفسّرين في هذا المجال:

الآية الأُولى: قوله تعالى: ﴿كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾[٢].

ذكر بعض المفسّرين في تفسير هذه الآية أنّها جاءت: «حكاية لما قال لهم نبيهم، أو لسان الحال، أو دلالة بأنّهم كانوا أحقاء بأن يقال لهم ذلك»[٣].

الآية الثانية: قوله تعالى: ﴿وقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ القَاعِدِينَ﴾[٤].

---

(١) استفدنا ذلك من محضر درس سماحته، في محاضرات خاصة حول عاشوراء.

(٢) سبأ: آية١٥.

(٣) البيضاوي، عبد الله بن محمد، أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي): ج٤، ص٣٩٦. وأُنظر: الطبرسي، الشيخ الفضل بن الحسن تفسير جوامع الجامع: ج٣، ص ٩٥.

(٤) التوبة: آية٤٦.

أشار المفسّرون إلى وجوه عديدة في الآية الكريمة، واحتمل بعضهم أنّها وردت بلسان الحال، وبذلك قال الشيخ مغنية: «﴿وقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ القاعِدِينَ﴾، أي: مع النسوة والأطفال والعجزة. ولم يبيّن سبحانه مَن الذي قال لهم هذا، هل هي أنفسهم الأمّارة، أو لسان الحال، أو بعضهم لبعض ؟ الله العالم»[١].

الآية الثالثة: قوله عزّ وجلّ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ القِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾[٢].

يعتقد بعض المفسّرين بوجود احتمال لسان الحال في الآية الكريمة، بل جزم به بعضهم، أو جعله الاحتمال الأقوى، وهو ما بيّنه السيّد محمّد حسين الطباطبائي بقوله: **«وعلى هذا؛ يكون قولهم: ﴿بَلَى شَهِدْنَا﴾ من قَبيل القول بلسان الحال، أو إسناد للازم القول إلى القائل بالملزوم؛ حيث اعترفوا بحاجاتهم، ولزمه الاعتراف بمَن يحتاجون إليه، والفرق بين لسان الحال، والقول بلازم القول:**

أنّ الأول: انكشاف المعنى عن الشيء؛ لدلالة صفة من صفاته وحال من أحواله عليه، سواء شعر به أم لا. كما تُفصح آثار الديار الخَربة عن حال ساكنيها، وكيف لعب الدهر بهم، وعدت عادية الأيام عليهم، فأسكنت أجراسهم، وأخمدت أنفاسهم. وكما يتكلم سيماء البائس المسكين عن فقره ومسكنته وسوء حاله.

والثاني: انكشاف المعنى عن القائل لقوله بما يستلزمه أو تكلّمه بما يدل عليه بالالتزام.

فعلى أحد هذين النوعين من القول ـ أعني: القول بلسان الحال والقول بالاستلزام ـ يحمل اعترافهم المحكي بقوله تعالى: ﴿قَالُواْ بَلَى شَهِدْنَا﴾، والأول أقرب وأنسب؛ فإنّه لا يكتفي في

---

(١) مغنية، محمد جواد، تفسير الكاشف: ج٤، ص٥٠.

(٢) الأعراف: آية ١٧٢.

مقام الشهادة إلاّ بالصريح منها، المدلول عليه بالمطابقة دون الالتزام.

ومن المعلوم أنّ هذه الشهادة على أيّ نحو تحققت، فهي من سنخ الاستشهاد المذكور في قوله: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾، فالظاهر أنّه قد استوفى الجواب بعين اللسان الذي سألهم به؛ ولذلك كان هناك نحو ثالث يمكن أن يحمل عليه هذه المسألة والمجاوبة: فإنّ الكلام الإلهي يُكشف به عن المقاصد الإلهية بالفعل، والإيجاد كلام حقيقي ـ وإن كان بنحو التحليل ـ كما تقدم مراراً في مباحثنا السابقة فليكن هنا قوله: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾، وقولهم: ﴿بَلَى شَهِدْنَا﴾ من ذاك القبيل»[١].

الآية الرابعة: قوله عزّ مَن قال: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾[٢].

يظهر من كلام بعض المفسّرين المعاصرين الجزم بأنّ الآية المباركة وردت بلسان الحال، ومنهم الشيخ مكارم الشيرازيّ في تفسيره الأمثل، قال: «... **كما ورد في القرآن الكريم التعبير عن لسان الحال، كالآية (١١) من سورة فصلت، إذ جاء فيها: ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾**»[٣].

وقال المحدّث الكاشاني في المحجّة البيضاء: «**القسم الخامس: أن يُعبّر بلسان المقال عن لسان الحال، فالقاصر الفهم يقف على الظاهر ويعتقده نطقاً، والبصير بالحقائق يُدرك السرّ فيه، وهذا كقول القائل: قال الجدار للوتد: لِمَ تشقّني ؟ قال: سل مَن يدقّني فلم يتركني ورائي، الحجر الّذي ورائي. فهذا تعبير عن لسان الحال بلسان المقال؛ ومن هذا قوله تعالى: ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾، فالبليد يفتقر في فهمه إلى أن يقدّر لهما حياةً وعقلاً وفهماً للخطاب، وخطاباً هو صوت وحرف تسمعه الأرض، وتُجيب بصوت**

---

(١) الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن: ج٨، ص٣٠٨.

(٢) فصلت: آية ١١.

(٣) الشيرازي، ناصر مكارم، تفسير الأمثل: ج٥، ص٢٨٩.

وحرف، وتقول: أتينا طائعين. والبصير يعلم أنّ ذلك لسان الحال، وأنّه نبأ عن كونها مسخّرة بالضرورة ومضطرّة إلى التسخّر»[١].

الآية الخامسة: قوله سبحانه: ﴿... **وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا...**﴾[٢].

احتمل بعض المفسّرين بأنّ الشاهد في هذه الآية كان لسان الحال، ولكنّه ناقش هذا الاحتمال وضعّفه، وهذا ما جاء في تفسير الأمثل؛ حيث قال: «**الاحتمال الثالث: إنّ الشاهد هو القدّ في الثوب الذي تكلّم بلسان الحال، ولكن مع ملاحظة كلمة من أهلها يضعّف هذا الاحتمال، بل ينفيه !**»[٣].

الآية السادسة: قوله تعالى: ﴿**وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ**﴾[٤].

ذكر بعض الفقهاء أنّ الآية جاءت بلسان الحال، ومنهم الشيخ جواد التبريزي، الذي قال في كتابه الأنوار الإلهية في المسائل العقائدية: «**وأمّا التعبير عن ذهابه بقوله سبحانه: ﴿فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ﴾، فهو من قَبيل بيان لسان الحال، وأنّ فعله، فعل مَن يظنّ ذلك**»[٥].

الآية السابعة: قوله عزّ وجلّ: ﴿**يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ**﴾[٦].

قال الشيخ المكارم في تفسيره الأمثل: «**وينقدح سؤال آخر، وهو كيف تخاطب النار وهي موجود غير عاقل فترد وتُجيب على الخطاب ؟ !**

---

(١) الكاشاني، محسن، المحجة البيضاء: ج١، ص٢٧٤.

(٢) يوسف: آية٢٦.

(٣) الشيرازي، ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ج٧، ص١٩٤.

(٤) الأنبياء: آية٨٧.

(٥) التبريزي، جواد، الأنوار الإلهية في المسائل العقائدية: ص٣٢.

(٦) ق: آية٣٠.

ولهذا السؤال توجد إجابات ثلاث:

الأُولى: إنّ هذا التعبير نوع من التشبيه، وبيان لسان الحال ! أي: إنّ الله يسأل بلسان التكوين جهنّم وهي تُجيب بلسان الحال، ونظير هذا التعبير كثير في اللغات المختلفة !

الثانية: إن الدار الآخرة دار حياة واقعية، فحتى الموجودات الماديّة كالجنّة والنار يكون لها نوع من الإدراك والحياة والشعور، فالجنّة تشتاق إلى المؤمنين، وجهنّم تنتظر المجرمين.

وكما أنّ أعضاء جسم الإنسان تنطق في ذلك اليوم وتشهد على الإنسان، فلا عجب أن تكون الجنّة والنار كذلك !

بل - وحسب اعتقاد بعض المفسّرين - إنّ ذرات هذا العالم جميعها لها إدراك وإحساس خاص؛ ولذلك فهي تُسبّح الله وتَحمِده، وقد أشارت إليه بعض آيات القرآن، كالآية ٤٤ من سورة الإسراء.

والثالثة: إنّ المخاطبين هم خزنة النار، وهم الذين يردّون على هذا السؤال.

وجميع هذه التفاسير يمكن قبولها، إلاّ أنّ التفسير الأول أنسب كما يبدو !»[1].

هذه بعض الآيات التي احتُمل أنّ فيها لسان الحال، أو جزم بوجود لسان الحال فيها، وهناك آيات أُخريات احتُمل فيها لسان الحال، يجدها المتتبع للتفاسير؛ لم نذكرها حذراً من الإطالة.

كما أنّ الآيات التي احتوت على القصص والأمثال، حملها بعض الباحثين على ورود بعضها بلسان الحال، ويمكن الاطّلاع على تفاصيل ذلك في كتب التفاسير وكتب القصص القرآني والأمثال في القرآن.

وبذلك يكون أُسلوب لسان الحال أُسلوباً قرآنياً في الجملة، قد استُخدم للتعبير عن حقائق ببيانات بلاغيّة ومجازيّة.

---

(١) الشيرازي، ناصر مكارم، تفسير الأمثل: ج١٧، ص٤٧.

المحور الثاني: لسان الحال في الروايات

الدليل الثاني على أصل مشروعيّة لسان الحال هو استعماله في الروايات الشريفة؛ وهناك نحوان لذلك الاستعمال:

أحدهما: ما ورد في الروايات من التعبير بـ (لسان الحال) نصاً.

والآخر: الأساليب البيانية في الروايات، المحمولة على لسان الحال، وإليك بيان كلا النحوين:

النحو الأول: الروايات المصرّحة بلسان الحال

لقد ورد تركيب لسان الحال نصاً في بعض الروايات، كأُسلوب صادق للبيان، ووصف في بعض مضامينها بأنّه أصدق من لسان المقال، ولعلّ وجه أصدقيته: أنّ في لسان المقال يمكن للمتكلّم أن يقول ما لا يريد فعلاً؛ فيكذب بكلامه، أمّا لسان الحال فهو تعبير قهريّ غالباً عن لسان الحقيقية التي يُخبّئها الإنسان في قلبه ووجدانه، وقد عبّر عن هذا الأمر أمير المؤمنين عليه السلام بقوله: «**ما أضمر أحد شيئاً إلاّ ظهر في فلتات لسانه وصفحات وجهه**»[1].

وهذا التعبير قد ورد في عدّة روايات:

منها: ما رواه الليثيّ في عيون الحكم والمواعظ، عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «**لسان الحال أصدق من لسان المقال**»[2].

ومنها: ما روي عن أمير المؤمنين عليه السلام أيضاً، قال: «أصدق المقال، ما نطق به لسان الحال»[3].

---

(١) خطب الإمام علي عليه السلام، نهج البلاغة: ج٤، ص٧.

(٢) الليثي، علي بن محمد، عيون الحكم والمواعظ: ص٤٢٠.

(٣) الريشهري، محمد، ميزان الحكمة: ج٢، ص١٥٧٤.

النحو الثاني: الروايات المحمولة على لسان الحال

هناك مجموعة من الروايات يدل مضمونها ـ بنحو الظهور، أو الاحتمال ـ على لسان الحال، وفي هذا النحو مئات الروايات المبثوثة في المجامع الروائية، ونحن ننقل بعضاً من تلك الروايات اختصاراً:

الرواية الأُولى: ما رواه الكليني بسنده عن أبي بصير، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: «**كيف أجابوا وهم ذر ؟ قال: جُعل فيهم ما إذا سألهم أجابوه. يعني في الميثاق**»[1].

وقد شرح العلاّمة المجلسي الرواية، فقال: «**بيان: أي تعلّقت الأرواح بتلك الذر، وجعل فيهم العقل، وآلة السمع، وآلة النطق؛ حتى فهموا الخطاب وأجابوا وهم ذر**»[2].

ولكن السيّد الطباطبائي ردّ على ذلك بقوله: «**ظاهر الرواية لسان الحال، أو أنّهم كانوا على خلقةٍ لو نزلوا منزل الدنيا، ظهر ذلك منهم في صورة السؤال والجواب، وأمّا ما ذكره رحمه الله فبعيد عن سياق الخبر، ولو صح لكان هو الخلق الدنيوي بعينه**»[3].

الرواية الثانية: ما رواه الشيخ الصدوق في كتابَي التوحيد وعيون أخبار الرضا عليه السلام بسنده عن رسول الله صلى الله عليه وآله، قال: «**إنّ لله عزّ وجلّ عموداً من ياقوتة حمراء، رأسه تحت العرش، وأسفله على ظهر الحوت في الأرض السابعة السفلى.**

فإذا قال العبد: لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له. اهتزّ العرش، وتحرّك العمود، وتحرّك الحوت، فيقول الله تبارك وتعالى: اسكُن يا عرشي. فيقول: كيف أسكُن وأنت لم تغفر لقائلها ؟ ! فيقول الله تبارك وتعالى: اشهدوا سكان سماواتي أنّي قد غفرت لقائلها»[4].

---

(١) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٢، ص١٢.

(٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٥، ص٢٥٧.

(٣) المصدر نفسه: هامش ص٥٧.

(٤) الصدوق، محمد بن علي، عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج٢، ص٣٤.

الرواية الثالثة: ما جاء من روايات في وداع شهر رمضان المبارك، التي حمل بعض العلماء معنى الوداع فيها على لسان الحال، قال السيّد ابن طاووس في الإقبال: «**إنّ سأل سائل فقال: ما معنى الوداع لشهر رمضان وليس هو من الحيوان الذي يخاطب أو يعقل ما يقال له باللسان ؟ !**

فاعلم أنّ عادة ذوي العقول قبل الرسول، ومع الرسول، وبعد الرسول، يخاطبون الدّيار والأوطان، والشباب وأوقات الصفا والأمان والإحسان ببيان المقال، وهو محادثة لها بلسان الحال.

فلمّا جاء أدب الإسلام أمضى ما شهدت بجوازه من ذلك أحكام العقول والأفهام، ونطق به مقدس القرآن المجيد، فقال جلّ جلاله: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾. فأخبر أنّ جهنّم ردّت] الجواب بالمقال، وهو إشارة إلى لسان الحال، وذُكر كثيراً في القرآن الشريف المجيد، وفي كلام النبيّ] والأئمة، وكلام أهل التعريف، فلا يحتاج ذوو الألباب إلى الإطالة في الجواب.

فلمّا كان شهر رمضان قد صاحبه ذوو العناية به من أهل الإسلام والإيمان، أفضل لهم من صحبة الدّيار والمنازل، وأنفع من الأهل وأرفع من الأعيان والأمثال، اقتضت دواعي لسان الحال أن يودع عند الفراق والانفصال»[1].

الرواية الرابعة: ما رواه الرازي في تفسيره من أنّ: «موسى عليه السلام كلّم البحر، قال له: انفلق لي لأعبر عليك. فقال البحر: لا يمرُّ عليّ رجل عاص».

ثمّ قال الرّازيّ: «وعند المعتزلة أنّ ذلك على لسان الحال، لا لسان المقال. والله العالم»[2].

---

(١) ابن طاووس، علي موسى، إقبال الأعمال: ج١، ص٤١٩ـ٤٢٠.

(٢) الرازي، فخر الدين، تفسير الرازي: ج ٢٢، ص٩٤.

وغير ذلك من الروايات الدالة على وجود مثل هذا الأُسلوب في البيان والتعبير، وهو دليل آخر على أصل مشروعيّة لسان الحال.

المحور الثالث: لسان الحال في أشعار آل البيت

لا شكّ في شيوع لسان الحال في الأدب العربي شعراً ونثراً؛ باعتباره أُسلوب بيان استُخدم في مئات القصائد، وعشرات المقاطع النثرية، والمتتبع للأدب العربي يجد ذلك واضحاً، ونذكر على نحو الاختصار مثالاً للشعر، ومثالاً للنثر مما ورد بلسان الحال، فمن الشعر قول الشاعر ـ وهو يحكي لسان حال ثلاث أخوات لاقاهنّ في الطريق ـ:

قالت الكبرى أتعرفن الفتى ... قالت الوسطى نعم هذا عمر

قالت الصغرى وقد تيّمتها ... قد عرفناه وهل يخفى القمر[1]

ومن النثر قول القائل: «**سل الأرض، فقل: مَن أجرى أنهارك، وغرس أشجارك، وجنى ثمارك ؟ فإن لم تُجبك حواراً أجابتك اعتباراً**»[2].

وليس هدفنا استعراض لسان الحال في الأدب العربي؛ لأنّه خارج عن محلّ الكلام، وإنّما هدفنا هو ذكر الأشعار التي وردت بأُسلوب لسان الحال؛ إمّا بنحو الإلقاء من قِبَل أهل البيت، أو التي أُلقيت في حضرتهم ولم يعترضوا عليها، وهذا النحو من الشعر له شواهد تناقلتها كتب الحديث والتأريخ والأدب، وهو كما يدل على أصل مشروعيّة هذا الأُسلوب البياني، كذلك يدلّ على مشروعيّة استعمال أُسلوب لسان الحال في خصوص الأشعار التي يكتبها شعراء آل البيت عليهم السلام في أدب الطفّ، ومن هذه الموارد:

الأول: ما نُسب إلى الإمام أمير المؤمنين عليه السلام مخاطباً الزهراء عليها السلام عندما كان يزور

---

(١) الأصفهاني، أبو الفرج، الأغاني: ج١، ص١١٦.

(٢) الجاحظ، البيان والتبيين: ص٥٨.

قبرها الطاهر:

مالي وقفت على القبور مسلماً ... قبر الحبيب فلم يردّ جوابي
أحبيب ما لك لا ترد جوابنا ... أنسيت بعدي خلّة الأحباب
قال الحبيب وكيف لي بجوابكم ... وأنا رهين جنادل وتراب
أكل التراب محاسني فنسيتكم ... وحجبت عن أهلي وعن أترابي
فعليكم مني السلام تقطعت ... عنّي وعنكم خلّة الأحباب[1]

الثاني: ما أنشده دعبل الخزاعي شاعر أهل البيت عندما خاطبه الإمام الرضا عليه السلام قائلاً: «**يا دعبل، ارثِ الحسين؛ فأنت ناصرنا ومادحنا ما دمت حياً، فلا تقصّر عن نصرنا ما استطعت. قال دعبل: فاستعبرت وسالت عبرتي، وأنشأت أقول:**

أفاطم لو خلت الحسين مجدلاً ... وقد مات عطشانا بشط فرات
إذا للطمت الخد فاطم عنده ... وأجريت دمع العين في الوجنات
أفاطم قومي يا ابنة الخير واندبي ... نجوم سماوات بأرض فلاة
قبور بكوفان وأُخرى بطيبة ... وأُخرى بفخ نالها صلواتي
قبور ببطن النهر من جنب كربلا ... معرّسهم فيها بشط فرات»[2]

الثالث: ما أنشده الإمام الهادي عليه السلام من قصيدة أمام المتوكل العباسي، وقد حوت لسان الحال:

وهي ما رواه المجلسي قائلاً: «**قال المسعودي في مروج الذهب: سُعي إلى المتوكّل بعلي بن محمد الجواد عليهما السلام أنّ في منزله كتباً وسلاحاً من شيعته من أهل قم، وأنّه عازم على**

(١) أُنظر: المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٣، ص٢١٧.
(٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٥، ص٢٥٧.

الوثوب بالدولة؛ فبعث إليه جماعة من الأتراك، فهجموا داره ليلاً. فلم يجدوا فيها شيئاً ووجدوه في بيت مغلق عليه، وعليه مدرعة من صوف، وهو جالس على الرمل والحصا وهو متوجّه إلى الله تعالى يتلو آيات من القرآن. فحُمل على حاله تلك إلى المتوكّل. وقالوا له: لم نجد في بيته شيئاً، ووجدناه يقر[أ] القرآن مستقبل القبلة. وكان المتوكّل جالساً في مجلس الشرب، فدخل عليه والكاس في يد المتوكّل، فلمّا رآه هابه وعظّمه وأجلسه إلى جانبه، وناوله الكاس التي كانت في يده، فقال: والله، ما يخامر لحمي ودمي قط؛ فاعفني. فأعفاه، فقال: أنشدني شعراً. فقال عليه السلام: إنّي قليل الرواية للشعر. فقال: لا بدّ. فأنشده عليه السلام وهو جالس عنده:

باتوا على قُلل الأجبال تحرسهم ... غُلب الرجال فلم تنفعهم القُلل

واستُنزلوا بعد عزّ من معاقلهم ... وأُسكنوا حفراً يا بئسما نزلوا

ناداهم صارخ من بعد دفنهم ... أين الأساور والتيجان والحلل

أين الوجوه التي كانت منعّمة ... من دونها تُضرب الأستار والكلل

فأفصح القبر عنهم حين ساءلهم ... تلك الوجوه عليها الدود تقتتل

قد طال ما أكلوا دهراً وقد شربوا ... وأصبحوا اليوم بعد الأكل قد أُكلوا

... فأشفق كلّ مَن حضر على عليّ، وظنّ أنّ بادرة تبدر منه إليه، قال: والله، لقد بكى المتوكّل بكاءً طويلاً حتى بلّت دموعه لحيته، وبكى مَن حضره، ثُمّ أمر برفع الشراب، ثُمّ قال له: يا أبا الحسن، أعليك دَينٌ ؟ قال: نعم، أربعة آلاف دينار. فأمر بدفعها إليه، وردّه إلى منزله من ساعته مكرماً»[1].

إلى غير ذلك من الشواهد التي يجدها المتتبع لكتب الحديث والتاريخ والأدب.

---

(١) المصدر نفسه: ج٥٠، ص٢١٣.

لسان الحال في الميزان الفقهي

من المسائل المستحدثة في (فقه الشعائر الحسينية)، مسألة استخدام لسان الحال في مصاديق الشعائر، سواء نثراً أو شعراً أو خطابةً، وقد شاع استخدام هذا الأُسلوب وانتشر بين شعراء الطفّ وخطبائه بصورة ملحوظة خصوصاً بين المعاصرين؛ وبذلك انفتح نقاش فقهيّ في المسألة من حيث المشروعيّة وعدمها.

وتخالفت بذلك آراء الفقهاء بين مجوّز ومانع، والمسألة باعتبارها مستحدثة لم تُطرح إلى الآن على مستوى التنظير والاستدلال الفقهي الموسّع، وإنّما طُرحت على مستوى الفتوى، وطبيعة الفتوى لا تسلّط الضوء على الأدلة، وإنّما يُعطي الفقيه من خلالها موقفاً عملياً بقالب قانونيّ مقتضب؛ لكي يطبّقه المكلّف أو السائل، ولا يتصدّى لبيان أدلة الحكم، ومَن تصدّى لذلك، فإنه لم يبيّنه إلاّ بشكل مجمل.

أقوال الفقهاء في لسان الحال

تنقسم أقوال الفقهاء في مسألة لسان الحال إلى قسمين: قسم ذهب إلى المنع. وآخر جوّز مثل هذا الأُسلوب، ولكن بشروط معيّنة:

القول الأول: (المنع)

أبرز مَن ذهب إلى المنع هو الشهيد السيّد محمّد الصدر ﷺ، في كتابه أضواء على ثورة الإمام الحسين عليه السلام؛ حيث تبنّى القول بعدم جوازه بعد أن أورد جملة من الإشكالات، وبما أنّ كتابه ليس كتاباً فتوائياً، بل كان بحثاً تأريخياً؛ فلا نستطيع أن نجزم بأنّ فتواه في ذلك هي المنع مطلقاً، ولم نجد فيما بحثنا فتوى له بذلك.

أدلة المانعين

لقد طرحت في هذا المجال مجموعة من الشواهد والأدلة، نشير فيما يلي إلى بعضها:

الدليل الأول: ما قد يظهر من كلمات بعض الأعلام، وهو أنّ لسان الحال نوع من الكذب والمبالغة، وهو غير جائز في الشريعة المقدّسة، خصوصاً إذا كان على الذوات المقدّسة، كالنبيّ الأعظم، أو أمير المؤمنين، أو السيّدة الزهراء، أو الأئمة من أبنائها المعصومين[1].

ويمكن أن يُلاحظ عليه:

١ـ إنّ لسان الحال ليس داخلاً في الكذب؛ فهو وإن لم يكن تعبيراً حقيقياً عن مقال الإنسان، إلاّ أنّه تعبير مجازيّ، وليس أُسلوب المجاز أُسلوباً داخلاً في الكذب، كيف ذا وقد وردت آيات، وروايات بهذا الأُسلوب ؟ !

٢ـ إنّ لسان الحال إنّما يقال: إنّه كذب. لو كان كاتبه يدّعي أنّه يُعبّر عن حال الآخرين بنحو المطابقة والحقيقة، ولكن القائل للسان الحال لا يدّعي الحقيقة، وإنّما يدّعي تصويراً مجازياً ادعائياً فنياً لِما سيقوله الآخرون لو نطقوا به، فلا يقول المنشئ للسان الحال: إنّ هذا نص وحقيقة ما أراد قوله الآخر، وإنّما يقول: إنّي من خلال قرائن حاليّة ومقاليّة، أدعي أنّه لو تكلّم لقال ما عبّرت به عن كلامه.

٣ـ إنّ الشعر الذي صوّر فيه دعبل حال السيّدة الزهراء عليها السلام، فيما لو كانت حاضرة في واقعة الطفّ، كان فيه لسان الحال واضحاً، وكان هذا التصوير بمرأى ومسمع من الإمام الرضا عليه السلام، فلو كان فيه كذب على الزهراء لَما سكت عنه الإمام المعصوم عليه السلام.

الدليل الثاني: وهو ما يظهر من كلام أحد الفقهاء المعاصرين ﷺ: وهو أنّنا لا

---

(١) الصدر، محمد صادق، أضواء على ثورة الإمام الحسين عليه السلام: ص١٥٢.

يمكن أن نعلم حال المعصومين، ولا أصحابهم، ولا نسائهم؛ لكي نصوّر لسان حالهم للآخرين؛ وذلك لعلوّ مكانتهم من جهة، واختلاف الزمكانيّة بيننا وبينهم من جهة أُخرى، ولذلك نحن جاهلون بلسان حالهم، وإنّما يجوز لسان الحال مع العلم بالمطابقة لواقع ما عبر عنه بلسان الحال[1].

ويُلاحظ عليه:

١ـ إنّ هذا الدليل أخصّ من المدّعى؛ إذ إنّ تصوير لسان الحال قد يكون لأشخاص غير معصومين كانوا حاضرين في الطفّ، كلسان حال أصحاب الحسين عليه السلام، أو القاسم، أو رملة، أو الرباب، أو غيرهم من الأشخاص.

٢ـ إنّ الذوات المعصومة ـ كالنبيّ الأعظم، وأمير المؤمنين، والزهراء، والأئمة المعصومين ـ وإن كانت منازلهم عالية ومقاماتهم سامية، إلاّ أن هذا لا يمنع من وجود معرفة بسيطة بهم؛ من خلال كلماتهم، ومواقفهم، وسيرتهم؛ تجعل الشاعر يعلم لسان حالهم في الجملة.

٣ـ لو سلّمنا عدم العلم بحالهم بصورة دقيقة، فلا أقل من كفاية الاطمئنان بأنّ لسان حالهم كان كذا، من خلال مجموع القرائن، ولا شكّ في أنّ الاطمئنان حجة عقلائية معتمدة، فهو كافٍ في جواز تصوير حال المعصومين.

فالشاعر أو الناثر يكفيه الوثوق والاطمئنان في تصوير لسان حال المعصومين، مع كون الاطمئنان ناشئاً من قرائن، وشواهد قوليّة وفعليّة وسلوكيّة، قد قاموا بها في مواطن أُخر.

٤ـ إنّ دعبل الخزاعيّ قد صوّر حال الزهراء عليها السلام، ولم يعترض عليه الإمام الرضا عليه السلام، بأنّك لا تستطيع معرفة حالها عليها السلام.

---

(١) المصدر نفسه.

٥ـ إنّ طبيعة الأُسلوب البلاغيّ في لسان الحال تقتضي البيان بصورة تتضمّن نحواً من أنحاء التصوير المجازي، ولا يصح مقايسته بالأساليب الحقيقيّة للبيان، فقرينة كونه مجازاً يَفهم منها المتلقي كون الشاعر في مقام نقل تصوراته عن الحادثة، لا نقل واقع الحادثة حرفياً.

الدليل الثالث: ما ذكره بعض الأعلام المعاصرين، وهو أنّ لسان الحال إنّما يُعبّر به عن الأقوال، لا عن الأفعال، والحال أننا نرى أنّ الشعراء ينقلون الأعمّ من الأقوال والأفعال. ويصورونها بلسان الحال[1].

ويُلاحظ عليه:

١ـ إنّ المتتبع لهذا الأُسلوب ـ خصوصاً بما قدّمناه من تعريف ـ يرى أنّ لسان الحال يُعبّر فيه عن كلّ ما ليس هو بلسان مقال، سواء كان فعلاً، أو حركةً، أو إشارةً، أو كلاماً، في غير موطن الواقعة.

٢ـ إنّ الرواية الشريفة التي تفيد: «**ما أضمر أحد شيئاً إلاّ ظهر في فلتات لسانه، وصفحات وجهه**»؛ تُبيّن أنّ إحدى طرائق معرفة ما أضمر الإنسان ـ من كلام ومواقف ـ يُقرأ ويُعرف من خلال صفحات الوجه، وما يكون في صفحات الوجه من تغيُّر اللون أو الهيئة، إنّما هو من سنخ الأفعال لا الأقوال.

٣ـ لو لم نقبل الأمرين، فلا أقل من وجوب إبراز ما يدل على لا بدية كون لسان الحال للأقوال، لا للأفعال، وليس هنا ما يحصر هذا الأُسلوب بذلك.

وبدفع هذه الإشكالات نبقى على أصل مشروعيّة أُسلوب لسان الحال.

---

(١) المصدر نفسه: ص١٥٣.

القول الثاني: الجواز

ذهب إلى الجواز أكثر المعاصرين من علمائنا الأعلام، كالسيّد الخوئيّ وأكثر تلامذته، منهم: السيد السيستاني، وأُستاذنا الشيخ الفياض، والشيخ جواد التبريزي، والشيخ الوحيد، كما ذهب إلى ذلك أيضاً أُستاذنا الشيخ محمد السند.

والذاهبون إلى الجواز وإن اتّحدوا في النتيجة، لكنّهم اختلفوا في الشروط التي إذا ما اجتمعت جاز هذا الأُسلوب، كما سيتضح.

فتوى السيّد الخوئي

لعلّ أقدم فتوى ـ حسب تتبعي ـ في هذه المسألة، هو ما صدر عن السيّد أبي القاسم الخوئي ﷺ جواباً عن استفتاء رُفع إليه، ونصّه: «**بعض القصائد التي تُذكر في مصيبة سيّد الشهداء عليه السلام تُنسَب للإمام الحسين عليه السلام، أو لزينب عليها السلام، أو للإمام السجاد عليه السلام، دون الإشارة إلى أنّ هذه الأبيات عن لسان حالهم، نعم، بعض النّاس يَعرف كون ذلك عن لسان الحال، وبعضهم الآخر لا يعرف ذلك، فما هو الحكم ؟**

فأجاب السيّد الخوئي ﷺ: «**لا بأس، ما لم يقصد واقع النسبة إليهم**»[1].

تحليل فتوى السيّد الخوئي

إنّ فتوى السيّد الخوئي ﷺ دالة على الجواز، بشرط عدم قصد المقرئ أو الملقي لذلك الشعر أو النثر واقع النسبة إلى من حُكي لسان حالهم كالإمام السجاد، أو السيدة زينب، أو غيرهما، أي: إنّه قصد التعبير عن لسان حالهم، ولم يقصد لسان مقالهم، أو أنّهم تكلّموا هكذا.

هذا فيما إذا كانت القصيدة ـ أو المادّة النثرية ـ لا إشارة فيها إلى لسان الحال، لا لفظاً

---

(١) الخوئي، أبو القاسم، صراط النجاة: ج٢، ص٤٤٣.

ولا مقاماً.

وأمّا لو تضمّنت الإشارة إلى لسان الحال، من خلال إخبار السامع بأنّ القصيدة ـ مثلاً ـ دالة على لسان الحال، كما اعتاد الخطباء على القول: بأنّ لسان حال السيّدة الزهراء كذا وكذا، أو لسان حال الحسين كذا وكذا، وهكذا، أو احتوت القصيدة على دلائل لفظيّة، أو سياقيّة دالة على أنّها لسان حال، لا لسان مقال، كتصديرها بـ (ليتني)، أو (لولا)، أو (لو)، أو غيرها من القرائن اللفظية، أو المقامية، فلا إشكال بالجواز.

فالسيّد الخوئي ﷺ جَوّز لسان الحال، إذا كان المقابل (المستمع) يَعرف أنّ هذا لسان حال، لا لسان مقال، بل جوّزه حتى إذا لم يعلم السامع بأن هذا لسان حال، بشرط أن لا يكون الملقي للشعر أو النثر قد قصد أن ما يلقيه لسان مقال؛ لأنّ قَصْدَ ذلك يُوقع الملقي بالكذب؛ إذ إنّهم لم يقولوا ذلك واقعاً، بل إنّ الملقي أو الشاعر صوّر حالهم بذلك التصوير المجازي.

فتوى السيّد السيستاني

توالت الأجوبة حول هذه المسألة من بعض الفقهاء الأعلام، من تلامذة السيّد الخوئي ﷺ، كالسيّد السيستاني الذي سُئل: أنه «**هل يجوز التكلّم بلسان المعصومين بالقصائد الحسينية؛ بحيث الكاتب يطلق عِنان خياله في تصوير الأحداث، واختلاق الكلام والمواقف ؟ وهل يجوز تداولها بين المؤمنين ؟**».

فأجاب سماحته قائلاً: «**بسمه تعالى: إنّما يجوز التكلّم بلسان حال المعصومين، فيما يُعتبر تمثيلاً صادقاً لأحوالهم ـ وفق المعايير الأدبيّة المتعارفة في أمثال ذلك ـ من دون إساءة إلى مقامهم الشريف؛ ومن ثَمّ يجب على المتكلّم بلسان الحال من الاطلاع على الحوادث التأريخية، واستنطاق أحوالهم من خلالها؛ لتجسيدها بصورة أدبيّة مناسبة، بعيداً عمّا يُعتبر**

من قَبيل المبالغة والاختلاق، والكذب بالمقياس الأوّلي، كما أنّ جواز تداولها يخضع للمقاييس التي أشرنا إليها»[١].

تحليل فتوى السيد السيستاني

ذهب السيّد السيستاني إلى جواز لسان الحال، ولكن جعل شروطاً لمشروعيته، إذا لم تتوفر تلك الشروط، فلا يجوز مثل هذا الأُسلوب إنشاء وتأليفاً، ولا إلقاءً وتداولاً.

وهذه الشروط يمكن تلخيصها بالنحو التالي:

الشرط الأول: أن يكون في لسان الحال تصوير صادق وحقيقي لأحوال المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين، بعيداً عن الخيال والمبالغة والكذب، وإلاّ كان ممنوعاً.

الشرط الثاني: أن يراعي الشاعر ـ أو الناثر ـ المعايير الأدبيّة المتعارفة عند الأدباء في كتابة لسان الحال.

الشرط الثالث: أن يكون القائل بلسان الحال مطّلعاً على الحوادث التأريخية والشخصيّة للواقعة، أو الشخص الذي ينطق بلسان حاله.

وعليه؛ فالسيّد السيستاني جعل معايير ثلاثة لمشروعيّة هذا الأُسلوب الأدبيّ، فيما إذا كتب بلسان حال المعصومين.

أدلة المجوّزين

تبيّن ممّا مرّ أنّ أُسلوب لسان الحال أُسلوب بلاغي، استخدمه القرآن الكريم في بعض آياته الكريمة، كما نصّ على ذلك كثير من المفسّرين، كما أنّ الروايات جاءت بهذا الأُسلوب في كثير من مضامينها؛ ومن هذين المصدرين يتبيّن أصل مشروعيّة لسان الحال،

(١) موقع السيد السيستاني الرسمي، أسئلة حول الشعائر.

وصحة استعماله شرعاً.

وهذه الصحة في الاستعمال اعتضدت بورود أشعار مشهورة النسبة لآل البيت، أو قِيلت بحضرتهم، وكان لسان الحال واضحاً فيها.

ويعضد الجواز أيضاً أنّ الأشعار التي كانت متداولة في زمانهم، والتي حوت لسان الحال، لم يصدر ردع من قِبلهم عنها؛ وهذا يكشف عن وجود سيرة قائمة وممضاة على مشروعيّة استخدام لسان الحال.

بل يمكن القول: إنّ الارتكاز في الجواز بمكان من الإمكان؛ بحيث لم تُثَرْ مسألة المنع عن مثل هذا الأُسلوب البياني.

نعم، يمكن أن يقال بوجود بعض المحاذير التي قد تجعل ممنوعية لسان الحال واضحة، أو تجعل قيوداً عديدة للحاكمين بالجواز.

الرأي المختار في المسألة

نقلنا فيما سبق فتاوى بعض الأعلام المجوّزين للسان الحال، وهم وإن اتفقوا على الجواز، إلاّ أنّهم اختلفوا في عدد الشروط المجيزة للسان الحال، فذهب السيّد الخوئي إلى الجواز بشرط واحد، وذهب السيد السيستاني إلى الجواز بثلاثة شروط كما ذكرنا آنفا، فما هو الصحيح في المقام ؟

إنّ الذي نراه صحيحاً في المقام هو مشروعيّة لسان الحال بشروط أربعة، وهي كالآتي:

الشرط الأول: أن يأتي الشاعر أو الكاتب بدوالٍّ لفظيّة أو مقاميّة، تجعل المستمع يعلم أو يطمئن أنّ هذا القول بلسان الحال، لا بلسان المقال، وهذا الشرط نابع من لزوم دفع

الإيهام عن المستمع بأنّ ما يقال ليس لسان مقال؛ حتى لا يدخل في إطار الكذب.

ومن هذه الدلائل اللفظيّة تضمين الكلام لفظة (لو)، أو (لولا)، أو غيرها من الدوال اللفظيّة أو المقاميّة، أو قول الشاعر قبل القصيدة بأنّ لسان حال فلان كذا وكذا.

وهذا التعبير واضح في قصيدة دعبل الخزاعي حيث قال: «**أ فاطم لو خلتي الحسين...**»، فقد أورد كلمة (لو) كدالّ لفظيّ على كون التصوير افتراضيّاً ـ لسان حال ـ وليس حضوراً فعليّاً، وكلاماً مقاليّاً من قِبل الزهراء عليها السلام.

الشرط الثاني: أن تكون المضامين النثريّة أو الشعريّة مناسبة لحال أو شأن أو مقام المقول عن لسانه، فلو نَقل المتكلّم لسان حال المعصوم ـ مثلاً ـ فإنّه يجب عليه أن يبتعد عن كلّ ما يَمسُّ المعصوم، من جهة عقديّة أو فقهيّة أو أخلاقيّة؛ وذلك لحرمة إسناد ما ينافي هذه الأُمور للإمام المعصوم، بل حتى لغير المعصوم من الأشخاص الذين لهم منزلة دينية، أو قداسة.

الشرط الثالث: أن يكون الأديب مطلعاً على تأريخ الحوادث والشخصيّات، وكذا على أقوالهم؛ بحيث يَحصل له وثوق أو اطمئنان بأنّ لسان حالهم هكذا، أمّا لو كان لا علم له بالأحداث أو الشخصيّات التي يريد تصويرها، فكيف يصوّر لسان حالها وهي مجهولة الحال والمقال بالنسبة إليه ؟ !

الشرط الرابع: أن يكون هناك أصل تأريخيّ، أو فقهيّ، أو غير ذلك يجعله الشاعر مادّةً أوليّةً ويَبني عليها لسان الحال، لا أن يكون لسان حاله مبنيّاً على شيء لا واقع له، فمثلاً: واقعة الطفّ ومقتل الحسين أمر واقع، فعندما صوّره دعبل الخزاعي بلسان الحال، كان تصويراً لأمر حاصل بصورة فنيّة.

فإذا توفرت هذه الشروط؛ قلنا بمشروعيّة لسان الحال في الأشعار التي تصوّر لنا لسان

حال أصحابها، الذين تكلّم الشعراء عن لسانهم في واقعة الطفّ وأشخاصها.

بل قد يُقال باستحباب هكذا إنشاء للشعر؛ لكونه مشمولاً لأدلة استحباب إنشاء الشعر رثاءً ومدحاً في آل البيت ونصرتهم؛ أو لأنّه مادّة إلقائيّة لكثير من الشعائر، كالخطابة الحسينيّة ومجالس الرثاء والعزاء، فيدخل بعنوان قاعدة الشعائر الحسينيّة التي بُحثت في محلها.

مثالان تطبيقيان

سننقل فيما يلي مقطعين شعريين، بوصفهما مثالين لِما تداوله الشعراء من الكلام بلسان الحال، وهما يحتويان على شروط الجواز ـ لهذا الأُسلوب البلاغيّ التصويريّ ـ التي ذكرناها.

المثال الأول

قول الشاعر مصوراً لسان حال الإمام الحسين عليه السلام مخاطباً أبا الفضل العباس:

عباسُ كَبْشَ كَتيبَتِي وكَتَائِبِي ... وسَرِيَّ قَومِي بَل أعَزَّ حُصُوني

يا سَاعِدِي في كُلِّ مُعتَرَكٍ بِهِ ... أسْطُو وَسَيفُ حِمَايَتِي يَمِيني

لِمَن الِلوا أُعطِي وَمَنْ هوَ جَامِعٌ ... شَملِي وفي ضَنْكِ الزحَامِ يَقِيني

أمُنَازِلَ الأقْرَانِ حَامِلَ رايتِي ... ورُوَاقَ أخبِيَتِي وبَابَ شُؤوني

عباسُ تَسمَعُ زَينَباً تَدعوكَ مَن ... لِي يا حِمايَ إذا العِدَى نَهرُونِي

أوَلَسْتَ تَسمَعُ مَا تقولُ سُكَينَةٌ ... عَمَّاهُ يومَ الأسْرِ مَن يَحمِينِي[1]

---

(١) شبّر، جواد، أدب الطف: ج٧، ص١١٣. والقصيدة للشيخ حسن قطفان النجفي.

المثال الثاني

قول الشاعر مصوراً لسان حال السيّدة زينب عليها السلام مخاطبة الإمام الحسين عليه السلام:

فأتته زينب بالجواد تقوده ... والدمع من ذكر الفراق يسيلُ
وتقول قد قطعت قلبي يا أخي ... حزناً فيا ليت الجبال تزولُ
فلمَن تنادي والحماة على الثرى ... صرعى ومنهم لا يُبلُّ غليلُ
ما في الخيام وقد تفانا أهلها ... إلاّ نساء ولَّهٌ وعليلُ
عباسُ تَسمَعُ زَينَباً تَدعوكَ مَن ... لِي يا حِمايَ إذا العِدَى نَهرُونِي
أوَلَسْتَ تَسمَعُ مَا تقولُ سُكَينَةٌ ... عَمَّاهُ يومَ الأسْرِ مَن يَحمِينِي
أرأيت أُختاً قدمت لشقيقها ... فرس المنون ولا حمًى وكفيلُ
فتبادرت منه الدموع وقال يا ... أُختاه صبراً فالمصاب جليلُ
فبكت وقالت يا بن أُمي ليس لي ... وعليك ما الصبر الجميل جميلُ
يا نور عيني يا حشاشة مُهجتي ... مَن للنساء الضائعات دليلُ
ورنت إلى نحو الخيام بعولة ... عظمى تصب الدمع وهي تقولُ
قوموا إلى التوديع إن أخي دعا ... بجواده إن الفراق طويلُ
الله ما حال العليل وقد رأى ... تلك المدامع للوداع تسيلُ
فيقوم طوراً ثم يكبو تارةً ... وعراه من ذكر الوداع نحولُ
فغدا ينادي والدموع بوادر ... هل للوصول إلى الحسين سبيلُ[1]

(١) ابن نصار، محمد بن نصار، النصاريات الكبرى: ص٥٨.

البحث الثالث:

مشروعية توسعة الحرم الحسيني بهدم الأملاك الخاصة

مدخل :

من الموضوعات التي تصب في فقه الشعائر المعاصرة والتي أصبحت مثاراً للاختلاف على المستوى التنظيري والعملي، مسالة توسعة مراقد أئمة أهل البيت من الجهة الجغرافية، كما حصل من توسعة كبيرة في مرقد الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام في مدينة مشهد المشرفة، وكما حصل من توسعة في مكة المكرمة والمسجد النبوي المعظم لمرات عديدة، وبما أن هذا التوسيع المكاني قد يتصادم مع الملكيات الخاصة المحيطة بالأضرحة المقدسة، إذ إن الأضرحة المطهرة ـ عادة ما تكون ـ محاطة بأسواق وفنادق وبيوت من كل جوانبه وجهاته، بل لعل بعض البنايات المحيطة بها يعلو بناؤها على بناء الأضرحة ويحجب عن النظر إلى قبة المرقد الشريف في بعض الأماكن المقدسة كما هو مشاهد لعموم المسلمين.

مبررات توسعة الحرم الحسيني

بعد التوسع العمراني والانفتاح الاقتصادي والشعبي من جهة وانفتاح العراق على العالم الشيعي والإسلامي من جهة أُخرى وتزايد أعداد الموالين لأهل البيت في بقاع المعمورة أصبح التوسيع المكاني لأضرحة المعصومين وخصوصاً مرقد الإمام الحسين عليه السلام ضرورة يفرضها الواقع ومطلباً إيمانياً ينادي به كل العقلاء من الموالين.

مبررات الخوض في بحث التوسعة:

والذي اضطرنا إلى الكتابة في هذا الموضوع هو اننا لم نر بحثا مستقلا في ذلك بل ولا تنظيراً فتوائياً فضلا عن البحوث الاستدلالية بالرغم من ابتلائية المسالة وجدليتها ومعاصرتها، مما استدعى ان نكتب في هذا الموضوع ما تيسر منه؛ عسى أن يكون باكورة تولد بحوثا اخرى في هذا المجال من الاخوة المتخصصين بالتنظير الفقهي، دفعا لما قد يثار من اشكالات حول التوسيع وليزداد الذين امنوا ايمانا في التوسعة وليشحذوا الهمم في ذلك بعد أن استوسقت الامور واصبحت العتبات بيد يؤمل منهم رفع البيوت التي أذن الله أن ترفع ويعظم شأنها مادياً ومعنوياً.

ضرورة إبراز دليلية التوسعة:

بما أن التوسعة التي نتحدث عنها إنما تكون على حساب الأملاك المجاورة للأضرحة المطهرة فيستدعي منا إبراز الأدلة والوجوه الفنية وبيان التكييف الفقهي لهذه المسالة؛ حلاً لإشكالية التصرف بالأملاك الشخصية المحيطة بالمراقد على حساب التوسع في العمران والخدمات العامة للمراقد المقدسة.

استعراض الأدلة والمؤيدات لجواز التوسعة

هناك مجموعة من الأدلة يمكن الاستعانة بها على إثبات ما نروم تحقيقه في هذا البحث، وسوف نفهرسها على نحو التتابع ثم نفصل الكلام في ذلك، ومجمل الأدلة في المقام هي:

١ـ الروايات الدالة على: أن الأرض ملك للإمام عليه السلام.

٢ـ الروايات القائلة: إن الإمام عليه السلام اشترى مساحة من أرض كربلاء.

٣ـ ما دل على أن أرض كربلاء مفتوحة عنوة فلا تملك بالملكية الخاصة.

٤ـ تعميم علة توسعة مكة المعظمة إلى توسعة حرم الإمام الحسين عليه السلام.

٥ـ الروايات المحددة لحرم الإمام الحسين عليه السلام.

٦ـ قاعدة تقديم المصالح العامة على الخاصة.

٧ـ ما يستفاد من قاعدة أداء حقوق أهل البيت عليهم السلام.

٨ـ حاكمية العناوين الثانوية على الأولية

٩ـ الاستفادة من أدلة ولاية الفقيه وصلاحياته

هذه تسعة أدلة ومؤيدات دالة على جواز توسعة الحرم المقدس للإمام الحسين عليه السلام على حساب الأملاك الخاصة المجاورة، ولا يخفى أن بعضها لا يصل إلى مرحلة الدليلية بمعناها الفني والدقي، وانما هي بمثابة المؤيدات أو أنها تصلح كحجج وقرائن انضمامية تجعل من الفقيه يطمأن إلى الحكم بجواز التوسعة، إلا أن بعضها صالح للاستدلال مستقلاً، ومن دون الحاجة إلى أي شيء آخر، خصوصاً الأدلة الثلاثة الأولى.

والغرض من ذكرها جميعاً ـ مع تأملنا في بعضها من حيث صلاحية الاستدلال ـ إنما هو من باب ذكر كل ما يصلح أن يكون دليلاً أو مؤيداً لهذا الحكم؛ كون المسألة مستحدثة، وإلا فإن في ذكر بعضها كفاية في إثبات الحكم كما سيتضح.

الدليل الأول: أن الأرض ملك للإمام عليه السلام

ورد في جملة من الروايات الكثيرة التي تفوق حد الاستفاضة والتامة دلالة أن الأرض ملك للإمام عليه السلام، وقد أفتى بذلك جملة من الأعلام المعاصرين[1]، فضلاً عن المتقدمين، وهذا ما يستدعي أن تكون أرض كربلاء من جملة مملوكاتهم صلوات الله وسلامه عليهم،

(١) شيخنا الاستاذ محمد اسحاق الفياض في منهاج الصالحين ج٢ ص ٣٢٤.

فلو تعارضت مصلحة التوسعة للمرقد الشريف مع مصلحة مَن تصرف بالأرض بإذن الإمام أو نائبه فتُقدم مصلحة المالك الأصلي وهو الإمام عليه السلام، إذ إن ملك المجاورين أو جواز تصرفهم في ظل ملك الإمام عليه السلام، لا أنه مالك لها على نحو الاستقلال.

فقد ورد عَنْ أَبِي خَالِدٍ الكَابُلِيِّ: عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام، قَالَ: «وَجَدْنَا فِي كِتَابِ عَلِيٍّ عليه السلام: إِنَّ الأَرْضَ للهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ. أَنَا وَأَهْلُ بَيْتِيَ الَّذِينَ أَوْرَثَنَا الأَرْضَ، وَنَحْنُ المُتَّقُونَ، وَالأَرْضُ كُلُّهَا لَنَا؛ فَمَنْ أَحْيَا أَرْضاً مِنَ المُسْلِمِينَ، فَلْيَعْمُرْهَا وَلْيُؤَدِّ خَرَاجَهَا إِلَى الإِمَامِ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي، وَلَهُ مَا أَكَلَ مِنْهَا؛ فَإِنْ تَرَكَهَا أَوْ أَخْرَبَهَا، فَأَخَذَهَا رَجُلٌ مِنَ المُسْلِمِينَ مِنْ بَعْدِهِ، فَعَمَرَهَا وَأَحْيَاهَا، فَهُوَ أَحَقُّ بِهَا مِنَ الَّذِي تَرَكَهَا، فَلْيُؤَدِّ خَرَاجَهَا إِلَى الإِمَامِ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي، وَلَهُ مَا أَكَلَ حَتَّىٰ يَظْهَرَ القَائِمُ عليه السلام مِنْ أَهْلِ بَيْتِي بِالسَّيْفِ، فَيَحْوِيَهَا وَيَمْنَعَهَا وَيُخْرِجَهُمْ مِنْهَا، كَمَا حَوَاهَا رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله، وَمَنَعَهَا، إِلَّا مَا كَانَ فِي أَيْدِي شِيعَتِنَا، فَإِنَّهُ يُقَاطِعُهُمْ عَلَىٰ مَا فِي أَيْدِيهِمْ، وَيَتْرُكُ الأَرْضَ فِي أَيْدِيهِمْ»[1].

فالواضح من الرواية ان المالك الحقيقي هو الامام عليه السلام والتصرف فيها من الاخرين مرهون برضاه حتى لو كان التصرف من مواليه وشيعته، فيكون ملك الاخرين مترتباً على اذن الامام في ذلك، فاذا وجدت مصلحة عامة ـ كمصلحة تعظيم مَواطِن الطاعة أو توفير أجواء أرحب للمومنين لممارسة الطاعات ـ في ازالة هذا الملك المتزلزل والمعلق فيجوز الازالة غاية الامر ان يحرز رضا الامام او يراجع فيه لولي امر المسلمين ليحكم بذلك[2].

---

(١) الكافي ج١ ص٤٠٧ باب ان الارض كلها للامام ح١

(٢) ونقرب الاستدلال أيضاً من خلال ما ذكره المحقّق الشعراني في هامش الوافي؛ حيث قال: «... وإنّما نعبّر عن كون الأراضي ملكاً للإمام أو للمسلمين؛ لأنّ للإمام أن يأخذ منهم الخراج، فلهم ملك في طول ملك الإمام، لا في عرضه، كما سبق في المفتوحة عنوة، فللأراضي مالكان مترتّبان: أحدهما الإمام، وهو المالك الأوّل يأخذ الخراج ويقسّم البائر بين مَن أراد ويحدّد الحدود، والمالك الثاني هو المتصرّف بإذن الإمام، كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من أحيا مواتاً فهو له. وملكه مترتّب على ملك الإمام، ونظير ذلك في متعارف الناس

ويعضد هذه الرواية جملة من الأخبار الدالة أيضاً على ملكية الأرض لهم، وسوف نذكر بعضاً من ذلك وبدون تعليق عليها مراعاة للاختصار:

منها: ما رواه الحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ مُعَلَّى بْنِ مُحَمَّدٍ قَالَ أَخْبَرَنِي أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الله عَمَّنْ رَوَاهُ قَالَ: «**الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا لله تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَلِرَسُولِهِ وَلَنَا فَمَنْ غَلَبَ عَلَى شَيْءٍ مِنْهَا فَلْيَتَّقِ الله وَلْيُؤَدِّ حَقَّ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَلْيَبَرَّ إِخْوَانَهُ فَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَالله وَرَسُولُهُ وَنَحْنُ بُرَآءُ مِنْهُ**»[1].

ومنها: ما عن مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ عَنْ أَبِي عَبْدِ الله الرَّازِيِّ عَنِ الحَسَنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي حَمْزَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي بَصِيرٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ الله عليه السلام قَالَ: «**قُلْتُ لَهُ أَمَا عَلَى الإِمَامِ زَكَاةٌ فَقَالَ أَحَلْتَ يَا أَبَا مُحَمَّدٍ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الدُّنْيَا وَالآخِرَةَ لِلْإِمَامِ يَضَعُهَا حَيْثُ يَشَاءُ وَيَدْفَعُهَا إِلَى مَنْ يَشَاءُ جَائِزٌ لَهُ ذَلِكَ مِنَ الله إِنَّ الإِمَامَ يَا أَبَا مُحَمَّدٍ لَا يَبِيتُ لَيْلَةً أَبَداً وَلله فِي عُنُقِهِ حَقٌّ يَسْأَلُهُ عَنْهُ**»[2].

ومنها: ما عن عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ سَهْلِ بْنِ زِيَادٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الرَّيَّانِ قَالَ: «**كَتَبْتُ إِلَى العَسْكَرِيِّ عليه السلام جُعِلْتُ فِدَاكَ رُوِيَ لَنَا أَنْ لَيْسَ لِرَسُولِ الله صلى الله عليه وآله مِنَ**

أن يقال: البصرة مِلْكٌ لَمَلِكِ العراق، ثمّ كلّ دار وكلّ قطعة أرض في البلد مِلْكٌ لأحد من أفراد الرعايا، وهكذا يكون مِلْكُ الإمام على الأنفال، ومِلْكُ المسلمين على الأراضي المفتوحة عنوة ملكاً لا ينافي الأولويّة الحاصلة للناس، ولذلك عبّر الفقهاء عنهم بالمالكين، مثلًا قالوا في أحكام المزارعة: إنّ الخراج على المالك لا على الزارع، فعبّروا عن الناس بالمالك مع كون الأرض خراجيّة، وكذلك لا يختلف الفقهاء في أنّ مَن أحيا أرضاً ميّتةً فهي له، وهو مالك لها، مع أنّ الأرض للإمام؛ لكونها من الأنفال؛ إذ يجوز له أخذ الخراج، وإنّما يمتنع جمع المالكيّن على مِلْك واحد إذا كانا في عَرْضٍ واحد، لا مثل مالكيّة السلطان لجميع البلاد ومالكيّة الأفراد لكلّ قطعة. ويدلّ على ما ذكرنا أيضاً حكمهم بأنّ المعدن من الأنفال، ثمّ قالوا: تُملَك بالإحياء، وعليه الخمس للإمام» (٢).

(١) الكافي ج١ باب ان الارض كلها للامام ح٢

(٢) المصدر ح٤

الدُّنْيَا إِلَّا الْخُمُسُ فَجَاءَ الْجَوَابُ إِنَّ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا لِرَسُولِ الله ﷺ»[١].

ومنها: عن مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ رَفَعَهُ عَنْ عَمْرِو بْنِ شِمْرٍ عَنْ جَابِرٍ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: «قَالَ رَسُولُ الله ﷺ خَلَقَ الله آدَمَ وَأَقْطَعَهُ الدُّنْيَا قَطِيعَةً فَمَا كَانَ لِآدَمَ عليه السلام فَلِرَسُولِ الله ﷺ وَمَا كَانَ لِرَسُولِ الله فَهُوَ لِلْأَئِمَّةِ مِنْ آلِ مُحَمَّدٍ ﷺ»[٢].

ومنها: عن مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ عَنِ الفَضْلِ بْنِ شَاذَانَ وَعَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ عَنْ أَبِيهِ جَمِيعاً عَنِ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ عَنْ حَفْصِ بْنِ البَخْتَرِيِّ عَنْ أَبِي عَبْدِ الله عليه السلام قَالَ: «إِنَّ جَبْرَئِيلَ عليه السلام كَرَى بِرِجْلِهِ خَمْسَةَ أَنْهَارٍ وَلِسَانُ المَاءِ يَتْبَعُهُ ـ الفُرَاتَ وَدِجْلَةَ وَنِيلَ مِصْرَ وَمِهْرَانَ وَنَهْرَ بَلْخٍ فَمَا سَقَتْ أَوْ سُقِيَ مِنْهَا فَلِلْإِمَامِ وَالبَحْرُ المُطِيفُ بِالدُّنْيَا لِلْإِمَامِ»[٣].

وغيرها من الروايات التي عقد لها أرباب الحديث أبواباً منفردةً[٤].

فيستفاد من خلال هذه الروايات أن الأرض ملك للإمام عليه السلام وأن التصرف المتداول بين الناس إنما يكون على نحو الترخيص من قبله عليه السلام، فاذا كانت هناك مصلحة في إعادة الملك ورفع التسلط والاباحة التي اعطوها لشيعتهم، وجب إرجاعها ورفع اليد عنها؛ لأن سلطنة الملك أقوى من سلطنة الاباحة ومتى ما تعارضت قُدِّمت[٥]؛ فينتج لنا جواز التوسعة على حساب المجاورين مطلقاً ما دامت المصلحة قائمة في ذلك، كما أشرنا.

الدليل الثاني: ان الإمام الحسين اشترى أرض كربلاء

من الأمور التي يمكن ان يستدل بها على جواز توسعة مرقد الامام الحسين عليه السلام على

---

(١) المصدر ح ٦

(٢) المصدر ح٧

(٣) المصدر ح ٨

(٤) الكافي ج١ ص ٤٠٨ باب ان الارض كلها للامام

(٥) ارشاد الطالب للميرزا التبريزي ج٢ ص٨٨

حساب الاملاك الشخصية المحيطة بالمرقد المقدس هو ما دل على أن حريم الامام الحسين يمتد بمساحة أوسع من مساحته الحالية، وأن هذا الحريم هو من أملاك الإمام الحسين عليه السلام التي اشتراها قبل شهادته والتي جعل بعض الساكنين في كربلاء آنذاك قيمين عليها، بل ملكهم اياها بشروط معينة كما سيتضح ذلك فيما يأتي إن شاء الله.

وسوف نسلط الأضواء على رواية شراء الإمام الحسين عليه السلام لأرض كربلاء من حيث الدلالة والسند.

فالكلام في محورين:

المحور الأول: متن الرواية

فقد روى الشيخ البهائي في الكشكول، عن خط جده محمد بن علي الجباعي، نقلا من خط ابن طاووس، نقلا من كتاب الزيارات لمحمد بن أحمد بن داود القمي، عن الصادق عليه السلام أنه قال: «**إن حرم الحسين عليه السلام الذي اشتراه، أربعة أميال في أربعة أميال، فهو حلال لولده ومواليه، حرام على غيرهم ممن خالفهم، وفيه البركة**»[١].

وفي الكتاب نفسه قال: «**روي أن الحسين عليه السلام اشترى النواحي التي فيها قبره من أهل نينوى والغاضرية بستين ألف درهم، وتصدق بها عليهم، وشرط أن يُرشدوا إلى قبره، ويُضيفوا مَن زاره ثلاثة أيام**»[٢].

وذكر السيد رضي الدين بن طاووس: أن هذه الأرض إنما صارت حلالاً بعد تصدّق بها عليهم، لتخلف الشرط الذي ذكره عليه السلام، لأنهم لم يفوا بذلك، حيث قال: «**وقد روى محمد بن داود عدم وفائهم بالشرط في باب نوادر الزيارات**»[٣].

---

(١) مستدرك الوسائل ج١٠ ص ٣٢١ باب حد حرم الحسين ح٦

(٢) المصدر ح٧

(٣) المصدر ج١٠ ص ٣٢١

كما أن الشيخ الطريحي روى الخبر الأول في كتابه مجمع البحرين أيضاً[1].

تقريب الاستدلال:

بما أن الرواية المتقدمة دلت على أن الإمام الحسين عليه السلام اشترى مساحة من أرض كربلاء بمقدار أربعة أميال في أربعة؛ فتكون المساحة سته عشر ميلاً مربعاً، أي: ما يساوي فرسخاً وثلثاً؛ لأن كل ثلاثة أميال تُعادل فرسخاً، فيكون مقدار الأربعة أميال سبعة كيلوات متر وربع الكيلو متر.

والنتيجة المتحصلة من هذا الكلام هو: أن حاصل ضرب الأربعة أميال في أربعة تساوي ٥٢ كيلو متراً مربعاً ونصف كيلو تقريباً.

وصريح الرواية تقول: قد أعطاها لهم بنحو المشارطة، وبما أنهم لم يفوا بالشرط كما صرح السيد ابن طاووس؛ فيكون الملك باقياً للإمام عليه السلام ولا يصح تملكها إلا بإذن منه أو إذن نائبه في عصر الغيبة مع مراعاة الشروط.

وفي جميع الأحوال، إذا تعارض ملك الناس مع مصلحة توسعة الحرم المقدس فلا ثبات لملك الآخرين إزاء ملك الإمام عليه السلام.

فالرواية تامة الدلالة على أن مساحة ملك الإمام أوسع من المرقد المقدس القائم حالياً، ولا مجال للتمسك بدعوى ملكية الغير إذا عارضت الملكية الأصلية للإمام عليه السلام.

وبذلك يكون جواز التوسعة أمراً طبيعياً؛ لأنه توسيع في دائرة مِلْك الإمام عليه السلام؛ فلا يحتاج إلى إذن من المجاورين.

---

(١) مجمع البحرين ج٦ ص ٣٩

دفع إشكال:

قد يجول في ذهن القارئ تساؤل يرتقي إلى مستوى الإشكال، وحاصله: أن هذه الرواية تنافي الدليل الأول القائل: إن الأرض مِلْك للإمام عليه السلام؛ لأنها لو كانت مِلْكاً له فما هو السبب الذي دفع الإمام إلى شرائها من الساكنين في ذلك الوقت ؟ !

إلا أن الإجابة عن ذلك تكون كالتالي: إن شراءها كان شراءً ظاهرياً؛ لأن الحاكم ـ أو المجتمع ـ في زمانه يمنع من تصرف الإمام بها؛ إذ إنهم لا يعون معنى لكون الأرض ملكاً له؛ لعدم اعتقادهم بأنه الإمام الشرعي، أو لعدم إيمانهم بأن الأرض ملك له، فيرون أن وجود مَن تملكها يمنعه من التصرف بها؛ ولذا بادر الإمام إلى شرائها ليثبت ملكه ظاهرا فضلاً عن الثبوت الواقعي؛ لكي لا يحتج عليه أحد بأنه استحوذ على أرض الآخرين وأنه تصرف في حق وملك غيره.

وعليه؛ فدلالة الرواية واضحة في إثبات ملك الأرض له عليه السلام واقعاً وظاهراً؛ فلا يصح تملكها إلا بإذنه أو إذن نائبه، فإذا رأى الإمام ـ أو نائبه في زمن الغيبة ـ مصلحة في عود الملك ورفع يد مَن استخدم الأرض فلا إشكال في جواز التصرف لأجل مصلحة عامة تعود للدين أو المسلمين.

ومع ذلك كله، فإن للولي الشرعي أن يعوض الناس بسبب التضرر من رفع مبانيهم وهذا موكول إلى قوله وحكمه.

المحور الثاني: سند الرواية

بعد تمامية الرواية دلالة يقع الكلام في سندها، وهل هي معتبرة السند بحيث يمكن التمسك بها والاعتماد عليها في الاستدلال على هذه المسألة.

واضح مما ذكر أن الرواية يرويها الشيخ البهائي عن جده عن ابن طاووس، وابن

طاووس ينقله من كتاب الزيارات، وهذا الكتاب مشهور في زمان ابن طاووس، فهو من مؤلفات محمد بن أحمد بن داوود القمي، عالم المذهب وشيخ القميين في زمانه.

ولا إشكال في وثاقة كل هؤلاء وجلالتهم، وإنما الكلام في أن الرواية فيها إرسال بين محمد بن أحمد بن داوود وبين الإمام عليه السلام؛ لأن ابن داوود يرويها مباشرة من دون ذكر الوسائط، ولا ندري هل أنه ذكر الوسائط في كتابه أم أنه أرسل الرواية.

ولكن يمكن القول: إن هذا الإرسال لا يضر في اعتبار الرواية؛ لأن المرسِل من علماء المذهب الكبار الذين لهم مصنفات في الجرح والتعديل، بل إنه من المتحرجين من النقل عن الموثوقين كما هو ديدن القميين[1]، ولا أقل من اعتقاده بصدور الرواية عنهم.

فإذا حصل اطمئنان بالصدور لهذه القرينة؛ فتكون النتيجة هي إمكان الاستدلال بهذه الرواية.

وبذلك يكون ملك الإمام مقدماً على سائر الملكيات الأُخرى، وذلك فيما لو كانت هناك مصلحة تعود إلى ضريحه المقدس وعموم شيعته ومواليه، خصوصاً إذا أخذنا بنظر الاعتبار أن الانتقال بالتصرف لمَن اشترى منهم لم يحصل؛ لأنهم لم يوفوا بالشروط.

الدليل الثالث: أن أرض كربلاء مِلْكٌ لعامة المسلمين

لقد ثبت في الكتب الفقهية ـ الاستدلالية منها والفتوائية ـ وكذا في الموسوعات الروائية أن الأرض المفتوحة عنوة لها أحكام خاصة تميزها عن بقية الأراضي، ومن بين ذلك أنها لا تملك مِلكاً خاصاً، بل هي عامة لعموم المسلمين، وقد ثبت أيضاً أن أرض العراق أرض مفتوحة عنوة فهي لا تملك ملكاً شخصياً...

---

(١) حيث عرفت مدرسة قم الحديثية بالتشدد بالنقل والتوثيق وكان زعمائها يقدمون على اخراج المحدثين والرواة الذين ينقلون عن الضعاف كما في قصة اخراج البرقي وغيره.

وكما هو واضح، فإن هذا الدليل يحتوي على مقدمة صغرى وكبرى:

والكلام تارةً في الكبرى، وهي: أن الأرض المفتوحة عنوة لا تُملك على نحو الملكية الشخصية.

وأُخرى في الصغرى، أي: أن أرض العراق مفتوحة عنوة، ومنها أرض كربلاء.

أما الكبرى: فقد ذهب الأعلام إلى أن الارض المفتوحة عنوة لا تملك ملكاً خاصاً؛ ففي ملاذ الأخيار في فهم تهذيب الأخبار ـ بعد نقل مسائل في الكلام عن أرض العراق وبيان كونها مفتوحة عنوة ـ قال الشيخ ﷺ: «**والذي يقتضيه المذهب أن هذه الأراضي وغيرها من البلاد التي فتحت عنوة يخرج خمسها لأرباب الخمس، وأربعة الأخماس الباقية يكون للمسلمين قاطبة، الغانمين وغيرهم سواء في ذلك، ويكون للإمام النظر فيها وتقبيلها وتضمينها بما شاء، ويأخذ ارتفاعها ويصرفه في مصالح المسلمين، وما ينوبهم من سد الثغور وتقوية المجاهدين وبناء القناطر وغير ذلك**»[1].

وعليه؛ فهي لا تملك ملكاً شخصياً، بل تكون على نحو الملكية العامة للمسلمين، والذي له التصرف بها الإمام عليه السلام أو مَن ينوب عنه، وبما أننا في زمن الغيبة؛ فتكون ولاية التصرف للفقيه الجامع للشروط؛ إذ إنه القدر المتيقن في إدارة الأُمور الحسبية؛ بناءً على القول بها، أو أنه نائب عام عن الإمام بناءً على القول بولاية الفقيه المطلقة.

فللفقيه أن يتصرف في تلك الأراضي مع موافقة ذلك للمصالح العامة للمسلمين، ولا شك في أن التوسعة فيها مصلحة عامة عائدة للمسلمين بصورة عامة، فلا تعارضها ملكية المجاورين الظاهرية لانها منافية للملك الواقعي لعامة المسلمين.

---

(١) ملاذ الأخيار في فهم تهذيب الأخبار؛ ج٦؛ ص٤٢

تنقيح الصغرى: أن أرض العراق مفتوحة عنوة

وردت روايات تدل على أنّ أرض العراق ـ والتي تُسمى بأرض السواد في المصطلح الرائج آنذاك ـ ملك للمسلمين لأنها مفتوحة عنوة ومن تلك الأرض هي أرض كربلاء المقدسة، كما جاء في صحيحة الحلبي، قال: «**سئل أبو عبد الله عليه السلام عن السواد ما منزلته ؟ فقال: هو لجميع المسلمين: لمن هو اليوم، ولمن يدخل في الإسلام بعد اليوم، ولمن لم يُخلق بعد...**»[١].

وكذا ما جاء في رواية أبي الربيع الشامي عنه عليه السلام أيضاً قال: «**لا تشتر من أرض السواد شيئاً إلا مَن كانت له ذمّة فإنّما هو فيء للمسلمين**»[٢].

وغيرهما من الروايات الأُخرى التي أدرجها أئمة الحديث في موسوعاتهم الروائية[٣].

وحيث إنّه يشترط في صيرورة الأرض ملكاً للمسلمين ـ بمعنى أنّها ملك للأُمّة على امتدادها التاريخي وأمرها عائد إلى الإمام عليه السلام يقبلها ممّن يشاء بما يشاء، ثمّ يصرف حاصلها في المصالح العامة ـ كونها مفتوحة عنوة أن يكون الفتح بإذن الإمام وأن تكون عامرة حين الفتح؛ فيقع الكلام في أنّ أرض السواد متوفّرة على هذه الشرائط أم لا ؟

الظاهر أنّه لا كلام بين الإمامية في أنّ أرض السواد فتحت عنوة، وحكي ذلك في التواريخ المعتبرة[٤].

ويلحق بالأرض المحياة حال الفتح ـ من حيث الحكم ـ الأرض الموات حال الفتح،

---

(١) الوسائل ١٧: ٣٦٩، ب ٢١ من عقد البيع، ح ٤)

(٢) الوسائل ١٧: ٣٦٩، ب ٢١ من عقد البيع، ح ٥)

(٣) الوسائل ٢٥: ٤١٧، ب ٤ من إحياء الموات، ح ٣)

(٤) نقل ذلك المحقق السبزواري في كفاية الاحكام ج١ ص٣٨٨

فإنّها ملك الإمام عليه السلام فيملكها مَن أحياها[١].

وبما أن المشاهد المشرّفة وجملة من بلاد العراق الجديدة كذلك، فتكون ملكاً لعامة المسلمين والذي يديرها وليهم الشرعي.

ومنها: الأرض التي باعها الإمام عليه السلام ومَن ينفذ منه البيع؛ لمصلحة راجعة إلى نوع المسلمين.

وهذه أيضاً مصداقها أرض كربلاء؛ فإن الإمام قد وهبها لساكنيها بعد أن اشتراها منهم بشرط أن يقوموا بمصالح لعامة المومنين، كتعهد الزوار ورعايتهم وتوفير المأوى المجاني لهم، إلا أن ذلك لم يفِ به سكان كربلاء آنذاك كما عبر ابن طاووس، فتكون الأرض باقية على ملك الإمام ولا عوض لهم؛ لأنه وهبها هبة مشروطة لم يفوا بشرطها، فتستخدم الأرض بما يعود على مصلحة الزائرين، وهل هناك مصلحة أكبر من مصلحة توسعة الحرم الشريف وبناء مؤسسات خدمية وسكنية ورعائية لعموم الزائرين ؟

فيتم بذلك جواز التصرف بأرض كربلاء وتوسعة الحريم مطلقاً بإذن الفقيه الجامع للشرائط؛ لكي يقوم على المصالح العامة.

الدليل الرابع: تعميم علة توسعة مكة المعظمة الى حرم الحسين عليه السلام

من الأدلة التي يمكن أن يُستدل بها على جواز التوسعة للحرم الحسيني هو ما حصل من توسعة لمكة المكرمة في زمن الأئمة إذ إنهم جوزا ذلك على حساب الملكيات الخاصة للناس، فمن خلال إبراز وحدة العلة التي من أجلها أجاز الامام في التوسعة للحرم المكي، وهي اسبقية وجود مكة على مجاوريها وأسبقية وجود الحرم الحسيني على مجاوريه، وهذه التوسعة حدثت لمرات عديدة في زمن الإمام الصادق والكاظم عليهما السلام؛ حيث عللوا جواز التوسع

(١) موسوعة الفقه الاسلامي ج١٠ ص٢١١ بأشراف السيد محمود الهاشمي.

بسبق مكة على ملكهم، فيكون الكلام ساريا لتوسعة الحرم الحسيني في كربلاء؛ وذلك لسبق ملك الإمام لأرض كربلاء قبل المجاورين لها اليوم، أو لا أقل لوجود المرقد الشريف قبل وجود كل المجاورين له الآن. وإليك بعض الروايات في هذه الجهة:

الرواية الأُولى: عن عَبد الصّمَدِ بن سَعد، قال: «**طَلَبَ أبو جَعفَرٍ (المنصور العباسي) أن يَشتَرِيَ مِن أهلِ مَكّةَ بُيوتَهُم أن يَزيدَهُ فِي المَسجِدِ فَأَبَوا، فَأَرغَبَهُم فَامتَنَعوا، فَضاقَ بِذلِكَ، فَأَتى أبا عَبدِالله عليه السلام فَقالَ لَهُ: إنّي سَأَلتُ هؤُلاءِ شَيئاً مِن مَنازِلِهِم وأفنِيَتِهِم لِنَزيدَ فِي المَسجِدِ وقَد مَنَعوني ذلِكَ، فَقَد غَمّني غَمّاً شَديداً. فَقالَ أبو عَبدِالله عليه السلام: أيُغَمُّكَ ذلِكَ وحُجّتُكَ عَلَيهِم فيهِ ظاهِرَةٌ ؟ فَقالَ: وبِمَ أحتَجّ عَلَيهِم ؟ فَقالَ: بِكِتابِ الله. فَقالَ: في أيّ مَوضِعٍ ؟ فَقالَ: قَولُ الله: ﴿إنّ أوّلَ بَيتٍ وُضِعَ لِلنّاسِ لَلّذي بِبَكّةَ﴾[1]، قَد أخبَرَكَ الله أنّ أوّلَ بَيتٍ وُضِعَ لِلنّاسِ هُوَ الّذي بِبَكّةَ، فَإن كانوا هُم تَوَلّوا قَبلَ البَيتِ فَلَهُم أفنِيَتُهُم، وإن كانَ البَيتُ قَديماً قَبلَهُم فَلَهُ فِناؤُهُ. فَدَعاهُم أبو جَعفَرٍ، فَاحتَجّ عَلَيهِم بِهذا، فَقالوا لَهُ: اِصنَع ما أحبَبتَ**»[2].

الرواية الثانية: عن الحَسَن بن عَلِيّ بنِ النّعمان، قال: «**لَمّا بَنَى المَهدِيّ فِي المَسجِدِ الحَرامِ بَقِيَت دارٌ في تَربيعِ المَسجِدِ، فَطَلَبَها مِن أربابِها فَامتَنَعوا، فَسَأَلَ عَن ذلِكَ الفُقَهاءَ، فَكُلٌّ قالَ لَهُ: إنّهُ لا يَنبَغي أن يُدخِلَ شَيئاً فِي المَسجِدِ الحَرامِ غَصباً. فَقالَ لَهُ عَلِيّ بنُ يَقطينٍ: يا أميرَ المُؤمِنينَ، لَو كَتَبتَ إلى موسَى بنِ جَعفَرٍ عليه السلام لأَخبَرَكَ بِوَجهِ الأَمرِ في ذلِكَ. فَكَتَبَ إلى والِي المَدينَةِ أن يَسأَلَ موسَى بنَ جَعفَرٍ عَن دارٍ أرَدنا أن نُدخِلَها فِي المَسجِدِ الحَرامِ، فَامتَنَعَ عَلَينا صاحِبُها، فَكَيفَ المَخرَجُ مِن ذلِكَ ؟ فَقالَ ذلِكَ لأَبِي الحَسَنِ عليه السلام. فَقالَ أبُو الحَسَنِ عليه السلام: ولا بُدّ مِنَ الجَوابِ في هذا ؟ فَقالَ لَهُ: الأَمرُ لا بُدّ مِنهُ. فَقالَ لَهُ: اُكتُب: بِسمِ**

---

(١) ال عمران ٩٦

(٢) وسائل الشيعة ج١٣ ص ٣١٧ ح١٥ من باب وجوب بنلء الكعبة)

الله الرّحمنِ الرّحيمِ، إن كانَتِ الكَعبَةُ هِيَ النّازِلَةَ بِالنّاسِ فَالنّاسُ أولى بِفِنائِها، وإن كانَ النّاسُ هُمُ النّازِلونَ بِفِناءِ الكَعبَةِ فَالكَعبَةُ أولى بِفِنائِها. فَلَمّا أتَى الكِتابُ إلَى المَهدِيّ أخَذَ الكِتابَ فَقَبّلَهُ ثُمّ أمَرَ بِهَدمِ الدّارِ، فَأتى أهلُ الدّارِ أبَا الحَسَنِ عليه السلام فَسَألوهُ أن يَكتُبَ لَهُم إلَى المَهدِيّ كِتاباً في ثَمَنِ دارِهِم، فَكَتَبَ إلَيهِ أن أرضَخَ لَهُم شَيئاً، فَأرضاهُم» [1].

وواضح من الإمام أنه أبرز الوجه الشرعي للتوسيع وهو أسبقية وجود مكة المكرمة على وجودهم وبين لهم إعطاء تعويضات لإرضائهم على أن يرحلوا.

تقريب الاستدلال

بما أن العلة التي نصت عليها الروايتان المتقدمتان وفي واقعتين مختلفتين هي كون الحرم المكي سابقاً على سكن الناس في تلك الأراضي المجاورة له، فيقع الكلام بعينه في توسعة الحرم الحسيني في كربلاء المقدسة، بعد تسليم وإقرار كل المجاورين على سبق وجود مرقد الإمام على وجودهم ووجود أملاكهم، فالعلة في حاصلة، والعلة توسع الحكم في الجواز إلى أرض كربلاء؛ إذ لا خصوصية لأرض مكة المطهرة في هذه العلة، فيصنع في كربلاء كما صنع مع أهل مكة؛ فيتم الكلام حول توسعة الحرم الحسيني، ويعوضون عن بيوتهم لدفع الضرر عنهم.

الدليل الخامس: الروايات المحددة لحرم الإمام الحسين عليه السلام

هناك مجموعة روايات بينت أن هناك حريماً لمرقد الإمام الحسين عليه السلام، وهذه الروايات وإن اختلفت في تحديد الحريم سعةً وضيقاً ـ ولعل الاختلاف ناشئ من تفاوت مقامات البقع قرباً وبعداً من مكان الجسد الطاهر ـ إلا أنها مجتمعة على وجود حريم لمرقد

(١) المصدر ح ١٦.

الإمام عليه السلام، وكما هو متعارف بين العقلاء أن هذا الحريم تابع لصاحبه، كما في حريم الدار وحريم البستان، فلا يجوز لغيره أن يتعدى عليه أو يتصرف فيه.

فمن تلك الروايات ما حددت الحرم بفرسخ من كل جانب، ومنها بخمسة فراسخ، وغير ذلك.

ولا تنافي بين الروايات التي حددت الروضة الحسينية بمساحة أقل من الفرسخ أو الخمسة فراسخ؛ لأنها في مقام تحديد قبر الحسين وضريحه، وهذا أمر مغاير لعنوان الحرم الذي هو أوسع منه دائرة.

وعليه، فنحن نختلف مع من جعل روايات الحرم وروايات موضع القبر من موضوع واحد.

وكيف كان، فإن الروايات المحددة لعنوان الحرم تقتضي تقديم مصلحة صاحب الحرم إذا ما زاحمتها مصالح الآخرين من المجاورين للمرقد، فيثبت جواز التوسعة لصاحب الحرم على حساب الساكنين هناك.

وكما هو واضح فإن الروايات المحددة لعنوان الحرم دائرة بين السعة والضيق، إلا أن أضيقها تحدد الحرم بمساحة أكبر من الحدود الحالية بكثير، وهذا الأمر يسوغ لمن يريد توسعة المرقد الشريف وتوابعه بحد الحرم الذي ذكرته الروايات، وهو الفرسخ الواحد على أقل تقدير.

وبذلك يتم جواز التوسعة للمرقد بمساحة فرسخ اي ما يساوي خمسة كيلوات متر مربع ونصف الكيلو.

الدليل السادس: تقديم المصالح العامة على المصالح الخاصة

من الأمور المتسالم عليها بين العقلاء أن المصالح العامة مقدمة على المصالح الخاصة فيما لو وقع تعارض بينها، وكل ذلك يراعى بجبر ما أنكسر من المصلحة الخاصة،

وذلك لنكتة الحفاظ على مصلحة وملاك النوع مقابل مصلحة الفرد، وهذا نظير تعارض الحريات العامة مع الحريات الخاصة، فان حرية النوع تقدم على حرية الفرد.

ويمكن تطبيق ذلك على توسعة الحرم المطهر، في مقابل الملكيات الشخصية؛ وذلك لأن التوسعة تعود بالنفع على نوع المؤمنين الذين يفدون إلى زيارة إمامهم، وهذه المصلحة أمر مهم؛ فلا تقاومها المصلحة الفردية العائدة إلى بعض المؤمنين، خصوصاً وأن حق الفرد محفوظ لا ضياع فيه من خلال التعويض المناسب لحجم خسارته كما هو حاصل من تعويض المجاورين للإمام من خلال تقييم البيوت أو الدكاكين من قبل لجان خبيرة بالعقارات.

الدليل السابع: حقوق آل البيت

من المفاهيم التي أكدها القران الكريم والروايات الواردة عن النبي ﷺ هو حفظ حقوق الأئمة، وأن ذلك فرض في أعناق الأُمة؛ إذ إن النبي ﷺ جعل أجر الرسالة مرتهن بالمودة لهم، وذلك في قوله تعالى: ﴿قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى...﴾[1]، وليست المودة هي الحب الذي يكون من عمل الجنان، بل إنها تفوقه وتتخطاه إلى الموقف العملي في نصرتهم ورفع مقامهم بالكلمة والسيف ورفع الشأن وغير ذلك...

ولعل من أبرز تلك الحقوق هو إعلاء مقاماتهم وجعلها منارات للهدى في كل آن ومكان؛ لأن بها تكون كلمة الله هي العليا، كونها محالاً لطاعة الله وتعظيم دينه.

وهذه الحقوق ثابتة على جميع المسلمين وبالأخص الموالين منهم، وبما أن المجاورين لمرقد الإمام الحسين عليه السلام من الموالين له فالمفترض منهم ألا يمانعوا في توسعة الحرم الشريف؛ إذا ما كان توسيع المرقد فيه إعلاء لمقامه ومحلاً لرضاه ورضى

(١) الشورى ٢٣

الوافدين إليه ؟

إن مَن يتفكر في لبّه يرى أن من أبسط حقوق الإمام علينا أن نعظمه ونعظم بنيانه ونرفع البيوت التي أذن الله أن تُرفع؛ ففيها يذكر اسمه ويعلو دينه وترتكز عقيدته ويزداد حب أوليائه وينكسر أعداؤه الذين يحاولون إطفاء نور محمد وآل محمد بكل الأشكال.

الدليل الثامن: حاكمية العناوين الثانوية على الاولية

لا شك في أن العناوين الثانوية ـ والتي يجعلها الشارع المقدس في الحالات التي تحصل فيها ظروف استثنائية لبعض المواضيع ـ حاكمة على العناوين الأولية؛ فتكون مقيدة أو مخصصة لها، فإذا توفر عنوان ثانوي كعنوان الضرر أو الحرج أو وجوب تعظيم الشعائر وإبرازها بمظهر لائق يؤكد عزتها وعظمتها، هذه العناوين إذا توافرت فهي حاكمة على الحكم الأولي.

وفي محل بحثنا، إذا أمكن تطبيق ذلك بأن نقول: إن عنوان دفع الحرج والعسر على الزائرين بسبب ضيق محل الزيارة والعبادة من جهة، وتعظيم المراقد ورفعها من خلال التوسيع من جهة أُخرى هما عنوانان ثانويان، يفوقان مصلحة إبقاء الملك الخاص المانع من التوسعة للحرم؛ فيكون عنوان التوسعة للحرم مقدماً على عنوان إبقاء الملك الخاص.

الدليل التاسع: ولاية الفقيه

هناك نظريات عديدة في حجم سلطة الفقيه وولايته على شؤون المسلمين ومقدار تصرفه بتلك الطاقات والموارد التي تواجه المجتمع الإسلامي بما يعود على قوة وهيبة الاسلام واهله وضمن ضوابط محددة لا يتعداها الفقيه نفسه.

وهذه الموضوعة تحتاج إلى بيان واسع إلا أننا نأخذها كأصل موضوعي، فلا نخوض

البحث فيها.

وبناءً على ثبوت الولاية العامة للفقيه؛ فإذا اقتضت المصلحة أن يتصرف في بعض الأملاك الخاصة على حساب تقديم مصالح العباد ودينهم فلا ضير في ذلك، والشواهد على ذلك كثيرة منها تسعير الحاكم على التجار حال الاحتكار[١]، وفرض الزكاة على الأعيان غير الزكوية وغير ذلك من الأحكام[٢]، فإذا رأى الولي الفقيه مصلحة عامة في توسيع الأضرحة المقدسة على حساب الأملاك الخاصة مع عدم الإضرار بهم وتعويضهم فلا مانع من ذلك؛ إعمالاً لولايته على عموم المسلمين.

تتمة: توسيع للحكم لكل المراقد:

بعد أن اتضح لنا تمامية بعض الأدلة على جواز التوسعة لمرقد سيد الشهداء عليه السلام على حساب الأملاك المجاورة له ـ وفق الضوابط والمعايير الخاصة ـ نود أن نتطرق إلى هذا الحكم بالنسبة إلى بقية المراقد المطهرة، فهل يمكن التعميم إليها أم لا ؟

وفي صدد الإجابة عن هذا السؤال نقول: لا يخفى أن كثيراً من الأدلة المذكورة في المقام عامة وغير مختصة بموضوعة توسعة الحرم الحسيني ما عدا الدليل الثاني منها، ولا أقل من القول بتمامية الدليل الأول لكل أضرحة الأئمة في المعمورة وتمامية الدليل الثالث لكل الأضرحة في العراق وتمامية الدليل الرابع لكل الأضرحة في المعمورة بعد الغاء خصوصية مكة وأسبقية وجود الأضرحة قبل سكنى الناس بجوارها، كما هو واضح.

فالصحيح هو الحكم بجواز التوسعة للحرم الحسيني وللأضرحة المقدسة أدامها الله تعالى وبالكيفية المذكورة آنفاً.

---

(١) المبسوط للطوسي ج٢ ص ١٩٥

(٢) ولاية الامر في عصر الغيبة للسيد كاظم الحائري ص١٢٦

البحث الرابع:

حق الولاء في مشي النساء الى كربلاء

حق الولاء في مشي النساء الى كربلاء

(دراسة في الأدلة الخاصة والقواعد العامة)

لماذا هذا البحث:

لا شبهة ان المشي الى مراقد ال البيت عليهم السلام من اعظم المستحبات سواء كان من المؤمنين او المؤمنات رعاهم الله، لذا فلا يحتاج بحث ولا بيان لأنه من توضيح الواضحات ومن الاستدلال على المسلمات... كيف وقد جاءت النصوص فيه مستفيضات بل متواترات.

ولكن في الآونة الأخيرة أثيرت بعض الشبهات والاشكالات حول هذه المشية المقدسة ـ خصوصا من أماكن بعيدة ـ التي هي مشية لإسعاد السيدة الزهراء عليها السلام كما جاء في الروايات منها (**ما في الأرض مؤمنة إلا وقد وجب عليها أن تُسعِد فاطمة عليها السلام في زيارة الحسين عليه السلام**)[1].

وكان المثير لها من داخل الوسط الخاص معتمدا على بعض النقول غير الدقيقة او

---

(١) النوري، مستدرك الوسائل: ج١٠، ص ٢٥٩.

مستشهدا ببعض الأخطاء الفردية الحاصلة من بعض الزوار والتي هي لا بد منها في كل التجمعات او مستدلا ببعض الأدلة المردودة وما هي الا استحسانات ومخصصات عملية ذوقية لا تنهض امام الدليل الصريح.

والحال ان كل اجتماع او ممارسة لطاعة قد يكتنفها بعض السلبيات او المحرمات كما هو حاصل في كل العبادات والمعاملات الجماعية سواء كانت واجبة او مستحبة او مباحة كما في الحج والعمرة وصلاة الجمعة والجامعات ودخول الأسواق والبرلمان، وهذا لا يلغي هذه الممارسات ولا يقلل من أهميتها او وجوبها او استحبابها فان الحق اذا شابه شيء من الباطل لا يترك الحق لأجله ولو تركه لأجله لفاتت الحقوق ولم يبق أي حق، وهذه قاعدة عامة متصيدة من الروايات منها الصحيح عن الامام الباقر عليه السلام (... **فلو أنا إذا رأينا شيئاً من الباطل مع الحق تركنا له الحق لم نقض حق مسلم...**). فكيف بحق الحسين عليه السلام علينا يا مانعين ؟

فكان هذا الرد والبيان العلمي بالأدلة الخاصة والقواعد العامة... لدفع شبهات المشككين... وليزداد الذين امنوا ايمانا بمسير المؤمنات الى قبر الشهيد الحسين... والله من وراء القصد.

توطئة

إحياء الذكريات ـ الأحزان والأفراح، وكذلك سيَر العظماء، وحركاتهم التحررية والتغييرية والنهضوية ـ هي عادةً نابعة من اعتقادات البشر عموماً، والعقلاء خصوصاً، وربما كان ذلك من وازع فطري في نفوسهم، فيقومون بعمل مراسيم تناسب الذكرى المطلوب إحياؤها؛ ولأجل ذلك تُمارس بعض الشعائر والطقوس التي تتميز بأمرين أساسيين:

الأول: إبراز حجم الولاء والحب لصاحب الذكرى، وأهمية السير على نهجه.

الثاني: الحفاظ على الجوانب الإعلامية، والحركات الفكرية، والاستفادة منها في واقعهم المعاصر وللرأي العام بجميع طبقاته وتوجهاته؛ ولكي يصدروا أفكارهم وعظمائهم إلى الطرف الآخر، اعتقاداً منهم بأنَّ فكر ـ وشخصية وحركة صاحب الذكرى ـ مؤهّل أن تنهل منه البشرية ذلك العطاء والتضحية، وتدين له بالتبجيل، بل وبالانتماء أيضاً.

والمراجع لتاريخ الأُمم والأديان يرى ذلك واضحاً في أدبياتهم وسيرهم، وتصرفاتهم في إقامة هذه المراسيم.

كما أنَّ المسلمين ـ كسائر الأُمم والأديان ـ مارسوا شعائر الانتماء والولاء لعظمائهم، وخلدوا ذكراهم وتضحياتهم، ومواقفهم التي تقف الإنسانية حائرةً أمام عظمتها، وكبير تأثيرها

على مسار الإنسانية.

ولعلَّ تخليد ذكرى الامام الحسين عليه السلام ونهضته كان أرحب وأوسع أنواع التخليد كمّاً وكيفاً؛ إذ كانت طقوس وشعائر الحسين عليه السلام هي الأكثر وضوحاً وتطبيقاً بين إقامة الشعائر عند المسلمين، والأكبر تأثيراً في النفوس والعقول، حتى أصبحت شعائره تُمارَس في أرجاء المعمورة وفي بلدان العالم كافة تقريبا.

وموضوعنا الذي نحن بصدد بحثه يُعدُّ من أهم تلك الممارسات والطقوس، التي تجمع بين الجنبة الإعلامية والوجدانية والعقلية والارشادية، هو موضوع (المشي إلى كربلاء المقدّسة) بمظاهرة مليونية تكتنفها الكثير من الطاعات، والبركات المعنوية، والمادية.

ومن صغريات المسائل المتعلقة بفقه الشعائر الحسينية ـ هي مسالة متفرعة على موضوعة المشي إلى كربلاء ـ هي (مشي النساء بالخصوص).

فبالرغم من التسالم على ثبوت هذه الشعيرة عند الإمامية إلاّ أنَّه قد أُثيرت مؤخراً بعض الإشكاليات والاستفهامات حول مشروعيتها وشعيريتها؛ بسبب بعض التصرفات أو الممارسات التي قد تصدر من بعض السائرين والسائرات، والتي ربما تكون خاطئة فعلا او خاطئة بنظر بعضهم، بالرغم من وجود نصوص خاصة وعامة دالة على أصل المشروعية ـ مشروعية مشي النساء ـ والاستحباب، فضلاً عن وضوح دخولها في عنوان الشعائر الحسينية.

فضلا عن أهمية الزيارة في ابراز الولاء لال البيت عليهم السلام وإعطاء صورة إعلامية عالية المدلول لمذهب ال البيت عليهم السلام ومدى ولائهم ودورة مكثفة لإصلاح النفس وتهذيبها والامر بالمعروف والنهي عن المنكر والإصلاح ونشر الفضائل والقضاء على الرذائل، الى غير ذلك من الفوائد والثمرات التي تعرضت لها في بحثين مستقلين قد يكتب يكتب لهما النشر الأول: دور زيارة الأربعين في صناعة الشخصية المهدوية،

والثاني دور زيارة الاربعين في الإصلاح.

ثم من يدعو النساء الى عدم الذهاب الى الزيارة بسبب الاختلاط فليدعوهن الى عدم الذهاب للجامعات او للمستشفيات للعمل او لمجلس النواب او للأسواق او غيرها من مراكز الاختلاط... وهل يفتي بذلك احد ؟.

تنويع البحث:

بدايةً سنتكلّم حول المشي في اللغة، والحكم الشرعي، وعلاقة بذل الجهد فيه، ونتحدث حول مدخلية حمازة الأُمور في استحقاق الثواب، ومن ثَمّ نبحث في الآيات والروايات التي تناقلت المشي وفضله عموماً، ونتكلّم حول المشي للحج أيضاً، ونورد بعدها تاريخية مشي النساء مطلقاً، وكذلك الأدلة التي نستدل بها لمشروعية مشي النساء إلى كربلاء، ونستعرض أخيراً أدلة المعارضين لمشي النساء والإجابة عنها والخروج بنتيجة، ولا يخفى ان هناك فوائد صناعية في طيات البحث.

المشي لغة مع الاستفادة من بعض الآيات:

المشي لفظاً ومعنًى من الأُمور الواضحة عند الجميع، ولا بأس أن نقف على حقيقته تعريفه عند اللغويين.

قال الراغب: «**المشي: الانتقال من مكان إلى مكان بإرادة**»[١].

وقال ابن فارس: «**الميم والشين والحرف المعتل أصلانِ صحيحان، أحدهما يدلُّ على حركة الإنسان وغيره، والآخَر النَّماء والزيادة**»[٢].

---

(١) الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن: ج٢، ص٣٧٧.

(٢) ابن فارِس، أحمد، معجم مقاييس اللغة: ج ٥،ص٢٦١.

وفي المصباح المنير: «مَشَى: (يَمْشِي) (مَشْياً) إذا كان على رجليه ـ سريعاً كان أو بطيئاً ـ فهو (مَاشٍ) والجمع (مُشَاةٌ)، ويتعدّى بالهمزة والتضعيف»[1]

ويستخلص من ذلك ومن بعض الايات أمور:

الأول: ان المشي هو مطلق الذهاب بالقدم او ما يقوم مقامها.

الثاني: ان المشي قد يختلف من دابة الى أخرى كما في مشي على اثنين او على اربع او على بطنه كما نصت الاية: ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَىٰ أَرْبَعٍ﴾.

الثالث: ان المشي قد يكون معنويا كما في المشي بالنور والاتمام بامام كما فسرت الروايات هذه الاية ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُوراً تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ والاية: ﴿أَ وَمَنْ كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ﴾.

الرابع: ان المشي قد يكون مشيا لامر ايجابي كالمشي لقضاء حوائج الناس، وقد يكون لامر سلبي لقتل انسان برئ، وهذا ما يحدده القصد والنية، وقد يكون مشيا خاطئا كالمشي بتبختر وتمايل وعدم مراعاة للادب، وقد يكون مشيا صحيحا كالمش هونا.

وهذا ما إشارات اليه مجموعة من الايات: ﴿وَ لَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحاً﴾ ـ ﴿وَ يَجْعَلْ لَكُمْ نُوراً تَمْشُونَ بِهِ﴾ ـ ﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ﴾ ـ ﴿الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْناً﴾ ـ ﴿أَ فَمَنْ يَمْشِي مُكِبّاً عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدىٰ أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيّاً عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ ـ ﴿وَ اقْصِدْ فِي مَشْيِكَ﴾

---

(١) الفيومي، المصباح المنير: ج٢، ص٥٧٤.

فالايات تبين لنا لزوم رعاية الضوابط العامة في المشي ومراعاة الاداب والأخلاق وان يكون مشيا معتدلا لا عن تبختر ومرح وتكبر وانما بهون واستحياء واعتدال.

الحكم الشرعي واستحقاق الثواب عند بذل الجهد:

إنَّ الأحكام الشرعية الإلهية تُلحظ فيها جنبتان متغايرتان من حيث طبيعة الحكم وخصوصيته:

الجنبة الأُولى: وهي جنبة التشريف؛ إذ إنَّ الأحكام الشرعية هي تشريف للعبد المكلف؛ لأنَّ مَن كلّفه أراده أن يرتبط به روحياً ويُصبح منتمياً إليه ومضافاً إلى اسمه وموصوفاً بأنه (عبد لله) لا لغيره، فينال شرف العبودية لله ويخرج من براثن عبودية الغير وإذلاله.

الجنبة الثانية: جنبة التكليف؛ وذلك لأن الأحكام الشرعية هي تكليف وتحميل للمكلف بها، وهذه الجنبة التعبوية إنما هي لمصلحة من كُلف بها، وأن الله تعالى هو العالم بهذه المصالح أكثر من المخلوقين، قال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاء إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيد﴾[1]؛ إذ إنها في إطار إعطاء نظام لتربية وإعداد المكلف وتنظيم علاقاته العامة والخاصة وإدخاله في حيّز السعادة في الدارين؛ فقد روى النوري في المستدرك عن أبي القاسم الكوفي في كتاب الأخلاق: عن النبي ﷺ أنه قال في خطبته: «**أيها الناس، ما علمت شيئاً يقربكم إلى الجنة ويباعدكم من النار إلا وقد أمرتكم به**»[2].

فإن الأحكام ـ كما يقول العدلية ـ تابعة لمصالح ومفاسد واقعية، فما من أمر إلا وفيه

---

(١) فاطر: آية ١٥.

(٢) الميرزا النوري، مستدرك الوسائل: ج١٣، ص٣٠.

خير للمكلف المأمور به، وما من نهي إلا وفيه شر للمكلف المنهي عنه، وغاية تلك التكاليف والجهود هو الوصول إلى الدرجات المعنوية واليقين العلمي والطاعاتي، كما قال تعالى: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾[١].

وهذه الأحكام كلما كانت أشد وأتعب كلما كان مردودها المعنوي والتربوي أكبر وأرحب؛ فإن أفضل الطاعات أشدها وأحمزها.

وبما أن المشي هو بذل للجهد أيضاً، بل لعله جهد كبير، وخاصة إذا اتّصف بالعبادية؛ فإنه سيكون أحب وأقرب، كالمشي للحج المندوب والمشي لزيارة النبي والأئمة سلام الله عليهم أجمعين؛ فهو بلا شك محبوب عند الله تعالى، كما سيأتي المزيد من البيان.

حرص المسلمين على أحمز الأعمال:

تنقسم العبادات في التشريع الإسلامي على ثلاثة أقسام: منها ما يكون جهدياً بحتاً كالصلاة والصيام، ومنها ما يكون مالياً بحتاً كالخمس والزكاة، ومنها ما هو مشترك كالحج والجهاد، وكلما كانت العبادة أجهد وأتعب كانت ثمراتها المعنوية أكبر وأعظم؛ ولذا ورد في الرواية المشهورة بين الخاصة والعامة عن النبي الأعظم ﷺ أنه قال: «**أفضل الأعمال أحمزها**»[٢].

ومعنى أحمزها كما في كتب اللغة هو: «**أشدها وأمتنها، وأكثرها مشقة**»[٣].

والمشي ـ كما سيأتي ـ أشد وأصعب وأكثر جهداً من الركوب؛ فيكون أفضل قطعاً، وكلما كانت مسافته أطول فهو أشد جهداً ومشقة فيكون أفضل، بل وكلما كانت الظروف

---

(١) الحجر: آية٩٩.

(٢) العلامة الحلي، تذكرة الفقهاء: ج٨، ص١٧٢. الرازي، تفسيره: ج٢، ص٢١٧.

(٣) أُنظر: الفراهيدي، كتاب العين: ج٣، ص١٦٨. والطريحي، مجمع البحرين: ج٤، ص١٦.

أصعب كان المشي أعظم أجراً، فالماشي في زمن الخوف أو الحر أو البرد الشديد أو غير ذلك من الظروف الصعبة أكبر منفعة وثمرة دنيوية وأُخروية من المشي بغير تلك الظروف، عملاً بالحديث النبوي الشريف؛ لذا فإن العبادات التي فيها مشي ـ كالحج والجهاد والزيارة ـ لها أهميتها على سائر العبادات إلا ما خرج بالدليل.

المشي في النصوص الشرعية

ورد المشي في النصوص الشرعية كثيراً؛ إذ إن الآيات والروايات حافلة بهذا المعنى، إما صراحة أو على نحو التلازم بين المشي وبين ما ذكر، وبما أن بحثنا عن مشي خاص ـ لا مطلق المشي ـ أحببنا ذكر المشي بصورة مجملة وسريعة في النص القراني والروائي:

أولاً: المشي في النصوص القرآنية

ورد المشي في آيات عديدة وبموضوعات مختلفة، وفي بعضها إشعار بأنه نعمة من النعم الإلهية، وأنه ممدوح لأجل الوصول إلى شيء مطلوب، أو للخروج من واقع قاسٍ أو منحرف، وقد مر ذكر بعضها في كلام سابق ونضيف هنا ذكر بعض الآيات:

الآية الأُولى: ﴿وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾[1]

الآية الثانية: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِن مَّاء فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاء إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[2]

وقد مر بعض بيانها.

---

(١) لقمان: آية١٩.

(٢) النور: آية٤٥.

الاية الثالثة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُوراً تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

وقد مرت الاشارة اليها.

الآية الرابعة: ﴿وَاذْكُرْ فِي الكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا * فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَاباً فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَراً سَوِيّاً...﴾[1]، وسنقف عند هذه الآية ببحث مفصل لاحقاً إن شاء الله تعالى؛ لقربها من موضوع البحث.

وأما قوله تعالى في الآية التي تُشير إلى ذم خروج النساء من بيوتهن: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفاً * وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الجَاهِلِيَّةِ الأُولَى﴾[2]. فسوف يأتي تفصيل الكلام حولها عند التعرض لأدلة المانعين الذين استدلوا بها لمنع خروج النساء مشياً، وسوف نُبيّن أنها ليست مانعة من أصل الخروج.

ثانياً: المشي في الروايات

وردت روايات كثيرة في مدح المشي إما مطلقاً أو لغاية وطاعة وهدف إيجابي، ويمكن ذكر ذلك من خلال الطوائف التالية:

الأُولى: ما دل على عبادية المشي بذاته، وهذا ظاهر بعض الروايات التي تُحمل على المشي المعهود المادي، لا المشي المعنوي، كما في الرواية ـ المروية بعدة طرق وفي عدة موارد ـ عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «**ما عُبد الله بشيء أفضل من المشي**»[3].

---

(١) مريم: آية١٦ـ١٧.

(٢) الأحزاب: آية٣٢ـ٣٣.

(٣) الطوسي، تهذيب الأحكام: ج٥ ص١٢، ح٣٠.

الثانية: الروايات الحاثة على السفر إما مطلقا أو لغايات مادية أو معنوية مستحبة أو مباحة؛ لاشتماله ـ خصوصاً في الازمان الغابرة ـ على المشي راجلاً، ومن تلك الروايات:

١ـ ما دل على استحباب مطلق السفر

منها: ما روي عن جعفر بن محمد الصادق، عن آبائه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**سافروا تصحوا، وجاهدوا تغنموا، وحجوا تستغنوا**»[١].

ومنها: ما رواه أحمد بن أبي عبد الله البرقي في (المحاسن) عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «**سافروا تصحوا، سافروا تغنموا**»[٢].

٢ـ ما تضمن الحث على المشي للتواصل والتزاور الاجتماعي

منها: ما رواه الصدوق بإسناده عن شعيب بن واقد، عن الحسين بن زيد، عن الصادق، عن آبائه، عن النبي ﷺ ـ في حديث المناهي ـ قال: «مَن مشى إلى ذي قرابة بنفسه وماله ليصل رحمه أعطاه الله أجر مائة شهيد، وله بكل خطوة أربعون ألف حسنة، ومحا عنه أربعين ألف سيئة، ورفع له من الدرجات مثل ذلك، وكان كأنما عبد الله مائة سنة صابراً محتسباً»[٣].

٣ـ ما دل على خروج النّساء في المأتم لقضاء الحقوق

فقد روي عن أبي الحسن عليه السلام حين سئل عن ذلك، فقال: «**عَنِ الْحُقُوقِ تَسْأَلُنِي، كَانَ أَبِي يَبْعَثُ أُمِّي وَأُمَّ فَرْوَةَ تَقْضِيَانِ حُقُوقَ أَهْلِ الْمَدِينَةِ**»[٤].

ولا شك في أن هذه الموارد بإطلاقها ـ بل بصراحة بعضها ـ تشمل الاستحباب للنساء أيضاً.

---

(١) الصدوق، مَن لا يحضره الفقيه: ج٢، ص٢٦٥.

(٢) البرقي، المحاسن: ج٢، ص٣٤٥.

(٣) المجلسي، بحار الأنوار: ج٧١، ص٨٩، عن أمالي الصدوق: ٢٥٣

(٤) الصدوق، من لا يحضره الفقيه: ج١، ص ١٧٨.

المشي إلى الحج

لا خلاف في جواز المشي للحج للرجال والنساء من أماكن بعيدة، كما دلت الآيات القرآنية والروايات كذلك، وإنما الخلاف بين الفقهاء في أفضلية المشي على الركوب في طريق الحج، فذهب المشهور إلى أفضلية الحج ماشياً على الحج راكباً للرجال والنساء عن حد سواء؛ لأنه أكثر مشقة وتواضعاً وأحمز من الركوب، بل تمسكاً منهم ببعض الروايات الآتية الذكر:

الروايات الحاثة على المشي

هناك مجموعة من النصوص الشرعية الدالة على أفضلية المشي على الركوب:

١ ـ المشي إلى الحج الواجب أو المندوب خضوعاً وخشوعاً وطلباً للأحمز، فقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام في خبر ابن سنان، وغيره: «**ما عُبد الله بشيء أشد من المشي ولا أفضل**»[١].

٢ ـ ما ورد عن الإمام الصادق أيضاً عليه السلام قوله: «**ما عُبد الله بشيء مثل الصمت والمشي إلى بيته**»[٢].

٣ ـ ما أورده الحر العاملي في الوسائل بقوله: «**روي أنه ما تقرب العبد إلى الله عز وجل بشيء أحب إليه من المشي إلى بيته الحرام على القدمين**»[٣].

٤ ـ ما روي عن الصادق عليه السلام حين سُئل عن فضل المشي فقال: «**إن الحسن بن علي عليهما السلام قاسم ربه ثلاث مرات حتى نعلاً ونعلاً، وثوباً وثوباً، ودیناراً ودیناراً، وحج**

---

(١) الطوسي، التهذيب: ج٥، ص١١ـ٢٨. والاستبصار: ج٢، ص١٤١ـ٤٦٠.

(٢) الصدوق، ثواب الأعمال: ص٢١٢، ح١.

(٣) الحر العاملي، وسائل الشيعة: ج١١، ص٧٩.

عشرين حجة ماشياً»[١].

٥ ـ ما روي في خبر أسامة قال: «**خرج الحسن بن علي عليه السلام إلى مكة ماشياً فورمت قدماه، فقال له بعض مواليه: لو ركبت لسكن عنك هذا الألم. فقال: كلا**»[٢]

٦ ـ وروى أبو المنكدر عن أبي جعفر عليه السلام قال: «**قال ابن عباس: ما ندمت على شيء صنعته ندمي على أن لم أحج ماشياً؛ لأني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: مَن حج بيت الله ماشياً كتب الله له ستة آلاف حسنة من حسنات الحرم، قيل: يا رسول الله، وما حسنات الحرم ؟ قال: حسنة بألف ألف حسنة. وقال: فضل المشاة في الحج كفضل القمر ليلة البدر على سائر النجوم. وكان علي بن الحسين عليه السلام يمشي إلى الحج ودابته تُقاد وراءه**»[٣].

الروايات الحاثة على الركوب:

مع أن الروايات المتقدمة واضحة الدلالة على ما ذكرنا سابقاً إلا أن في مقابل ذلك روايات تدل على أفضلية الركوب تأسياً بالنبي الأعظم صلى الله عليه وآله، ومن بينها:

١ ـ رواية رفاعة قال: «**سأل أبا عبد الله عليه السلام رجل: الركوب أفضل أم المشي ؟ فقال: الركوب أفضل من المشي؛ لأن رسول الله صلى الله عليه وآله ركب**»[٤].

٢ـ رواية ابن بكير، عن أبي عبد الله عليه السلام: «**أنّه سُئل عن الحج ماشياً أفضل أو راكباً ؟ فقال: بل راكباً؛ فإن رسول الله صلى الله عليه وآله حجّ راكباً**»[٥].

---

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق ص ٨٠. وهو عن أبي أسامة كما في أصول الكافي: ج ١، ص ٤٦٣.

(٣) المصدر السابق.

(٤) التهذيب ٥: ١٢ ـ ٣١.

(٥) التهذيب ٥: ١٢ ـ ٣١.

٣ ـ وعن رفاعة أيضاً قال: «**سألت أبا عبد الله عليه السلام عن مشي الحسن عليه السلام من مكة أو من المدينة ؟ قال: من مكة. وسألته: إذا زرت البيت أركب أو أمشي ؟ فقال: كان الحسن عليه السلام يزور راكباً. وسألته عن الركوب أفضل أو المشي ؟ فقال: الركوب. قلت: الركوب أفضل من المشي ؟ فقال: نعم؛ لأن رسول صلى الله عليه وآله ركب**».

الجمع بين روايات المشي والركوب

ويمكن أن نجمع بين هاتين الطائفتين من خلال القرائن الآتية ـ والتي تُعطي نتيجةً مفادها أن الأفضلية محفوظة للمشي ـ:

القرينة الأُولى: ما ورد في روايات أُخر تُبيِّن إن الأفضلية للمشي إلا في بعض الحالات الخاصة:

الحالة الأُولى: إذا كان المشي لأجل كونه أقل نفقة مع العلم أن هذا الحاج في يسر ومكنة؛ فيكون الركوب أفضل في حقه، لقول أبي عبد الله عليه السلام في خبر أبي بصير: وقد سئل عن المشي أفضل أو الركوب: «**إن كان الرجل موسراً فيمشي ليكون أقل لنفقته فالركوب أفضل**»[1].

الحالة الثانية: إذا كان المشي يؤدي إلى تعطيل الحاج عن الدعاء أو العبادة أو أداء المناسك فيكون الفضل للركوب، كما في رواية سيف التمار قال: «**قلت لأبي عبد الله: إنا كنا نحج مشاة فبلغنا عنك شيء، فما ترى ؟ قال: إن الناس ليحجون مشاة ويركبون. قلت: ليس عن ذلك أسألك. قال: فعن أي شيء سألت ؟ قلت: إيهما أحب إليك أن نصنع ؟ قال: تركبون أحب إلي؛ فإن ذلك أقوى لكم على الدعاء والعبادة**»[2].

---

(١) الفقيه ٢: ١٤١ ص ٦١٠.

(٢) الكليني، الكافي: ج٤، ص٤٥٦.

الحالة الثالثة: إذا كان الحج ماشياً موجباً للاستخفاف والمهانة من قِبل الآخرين، فقد روى سليمان قال: «**قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إنا نُريد أن نخرج إلى مكة مشاة. فقال: لا تمشوا واخرجوا ركباناً. فقلت: أصلحك الله، بلغنا عن الحسن بن علي عليهما السلام أنه حج عشرين حجة ماشياً، فقال: إن الحسن بن علي عليهما السلام كان يحج ماشياً وتُساق معه الرحال**»[1].

والنتيجة المتحصلة ـ لدى الباحث بعد هذا الجمع هي ـ: أن المشي إلى الحج واجباً أو مندوباً أرجح من الركوب إلا في الموارد المذكورة أعلاه؛ فإذا أراد المكلف تحصيل ثواب أكثر في الحج المندوب كان المشي هو المتعين، وكذا الحكم في الطاعات الأُخر كالجهاد أو الزيارة أو غيرها، إلا إذا دلّ الدليل الخاص على الاستثناء، وكان مفاده: أن العبادة الأقل مشقة هي الأرجح؛ فعند ذلك يؤخذ بالدليل الخاص.

تاريخية مشي النساء

إن المتتبع لتاريخ الإنسانية ـ وخصوصاً تاريخ العرب ـ يجد ظاهرة المشي من يوميات الإنسان رجلاً كان أو امرأةً، حيث إن كثيراً من الأعمال والمهن تُمارَس مشياً على الأقدام، ولعل ظاهرة الرعي والزراعة من أهم تلك المهن التي تحتاج إلى المشي، ونحن نجد أن المرأة كانت ولا زالت تُمارِس هاتين المهنتين وباستمرار، والقرآن يحكي لنا أن نساء مقدسات وبنات أنبياء كنَّ يُمارِسن ذلك، كما في قصة ابنتي النبي شعيب عليه السلام والتي أصبحت إحداهما زوجاً لكليم الله النبي موسى عليه السلام، حيث كانتا تمارسان الرعي وسقي الغنم؛ إذ قال تعالى: ﴿**وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى**

(١) الصدوق، علل الشرائع: ج٢، ص٤٤٧.

الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾[١].

وكذلك يحكي لنا القرآن سير موسى مع أهله: ﴿فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَاراً قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَاراً لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾[٢].

بل إن بعض النساء المقدسات ـ ومنهن السيدة الطاهرة خديجة ـ كانت تمارس الخروج من البيت والمشي بسبب طبيعة عملها في التجارة، وقد تزوّج منها النبي الأعظم ﷺ وهي تاجرة.

كما إن السيرة التاريخية العامة تذكر مئات النساء اللاتي ذاع صيتهن وقد اكتنف عملهن بالمشي، خصوصاً المشي للأُمور المهمة والتواصل الاجتماعي والثقافي والعلمي والأدبي.

وامتدت تلك السيرة إلى زمن الإسلام وخروج المرأة في بعض الحروب لمساعدة الرجل في الأُمور الطبية واللوجستية وغيرها، وتحملها لبعض المهام والمشاغل العامة.

كما أن مسالة خروج المرأة المعاصرة أصبح شيئاً واضحاً ولا غبار عليه، خصوصاً بعد أن عملت بسلك الطب والتعليم والهندسة والتربية وغيرها من ميادين الحياة.

نموذج من مشي النساء:

السيدة مريم العذراء

ولنقف على الأحداث التي يذكرها القرآن المختصة بالسيدة مريم العذراء رضوان الله عليها؛ لارتباطها الواضح بموضوع هذا البحث:

---

(١) القصص: آية٢٣.

(٢) القصص: آية٢٩.

قال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا*فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَاباً فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَراً سَوِيّاً*... فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِ مَكَاناً قَصِيّاً﴾[1].

حيث إن الآية تحكي قصة السيدة العذراء مريم وما جرى من مراسيم تحضيرية لأجل الولادة، ومن أهم تلك المراسيم هو خروجها لوحدها مكاناً قصياً، والقصي: هو المكان البعيد القاصي المحتجب عن الأهل والأقارب والبلدة، فخرجت لوحدها لتأتي بالمولود المقدس.

وقد ذكر بعض العلماء المعاصرين اساتذتنا[2] في قصة خروجها أُموراً تفيدنا في المقام:

الأول: إن خروجها كان لوحدها؛ وهذا يدل على مشروعية الخروج ما دام الخروج مطابقاً للموازين الشرعية مع كامل الحجاب والعفة وما دام لغاية سامية وهي طاعة الله.

الثاني: إن خروجها كان لمكان بعيد عن أهلها؛ وهذا يدل على مشروعية الخروج إلى مكان بعيد ما دامت مأمونة على نفسها ومعروفة بعفتها وشرفها.

الثالث: إن الكلام مع الأجنبي بحد ذاته ليس محرماً، ما دام مطابقاً للموازين الشرعية، وليس فيه خضوع بالقول ولا يحتوي على كلام غزلي ولا تعمد الإسماع.

وبذلك يتضح أن ظاهرة مشي النساء ظاهرة قديمة وممتدة وعامة، وبمرأى ومسمع من الأنبياء والأئمة والصلحاء، ولم يعترضوا على أصل الظاهرة، وإنما هناك أحكام وشروط تشريعية تنظم الخروج والمشي، وتجعله في حيز الجائز الذي لا فساد ولا إفساد فيه.

---

(١) مريم: آية١٦، ١٧، ٢٢.

(٢) ذكر ذلك سماحة استاذنا الشيخ محمد السند دام ظله في محضر درسه المبارك.

نموذج مستقبلي: النساء في زمن الحجة عليه السلام:

حيث ورد في الروايات ان هناك ١٣ امراة وفي رواية ٥٠ امراة تمارس دورا مهما وقياديا كما هو ظاهر الروايات، ومنها ممارسة الطبابة والعلاج وهذا بحضور وامر الامام الحجة عليه السلام، ومنها هذه الرواية ما روي في إثبات الهداة بالنصوص والمعجزات؛ وبإسناده عن المفضل عن أبي عبد الله عليه السلام قال: يكن مع القائم عليه السلام ثلاث عشرة امرأة، قلت: وما يصنع بهن ؟ قال: يداوين الجرحى ويقمن على المرضى كما كان مع رسول الله صلى الله عليه وآله «الحديث» وفيه ذكر أسمائهن[١][٢].

اقول:

فهذه الرواية تعطي تميزاً خاصاً لطبقة من النساء تمارس الأعمال اللوجستية والاعدادية كالأعمال الطبية كما مثلت الرواية، ولا يكمن حمل الرواية على الحصر في المقام وانَّما نحملها على التمثيل فحسب وهو أنَّ أحد وظائف المرأة في زمن الظهور هو كونها كادر طبي وعلاجي.

أدلة مشي النساء إلى كربلاء:

عرضنا فيما سبق الأدلة ـ القرآنية والروائية ـ المجوزة للمشي مطلقاً، بل والحاثة عليه لأجل بعض الطاعات والتواصل الرحمي والاجتماعي والحقوقي.

والآن نعرض بعض الأدلة الخاصة التي تدل على جواز واستحباب مشي النساء (بالخصوص) لزيارة قبر سيد الشهداء والوفاء لحق الولاء للنبي وأمير المؤمنين والصديقة الطاهرة والسادة النجباء من أبنائها سلام الله عليهم أجمعين.

---

(١) دلائل الإمامة: ٤٨٤ ح ٤٨٠/ ٨٤.

(٢) الشيخ الحر العاملي في إثبات الهداة بالنصوص والمعجزات: ج٥ ص٢٠٣.

ونذكر ذلك في أدلة منها:

الدليل الأول: قاعدة الاشتراك

من جملة القواعد الفقهيّة المشهورة بين الفقهاء قاعدة الاشتراك، والتي مفادها في أحد معانيها: «**اشتراك المكلّفين في الأحكام الشرعية رجالاً ونساءً إلى قيام يوم القيامة، سواء كانت أحكاماً إلزامية، كالوجوب والحرمة، أو غير إلزامية، كالاستحباب والكراهة، إلا في الموارد التي ثبت خصوصية للرجل أو المرأة فيها؛ فتكون خارجة عن القاعدة تخصيصاً**»[١].

وبما أن هذه قاعدة ـ وكل قاعدة تمتاز بأنها كلية ـ لها تطبيقات وأفراد عديدة؛ فيكون المشي إلى كربلاء تطبيقاً وفرداً من أفرادها؛ مما يعني أن الاستحباب الوارد في الأدلة والروايات منصب على الرجال والنساء على حد سواء، ولم يرد في الروايات ما يدل على حصر استحباب المشي بالرجال، بل يبعد احتمال الخصوصية جداً.

وما ذكر من المنع من خروجهن مطلقاً ـ ولو لأجل الطاعة ـ مدفوع كما سيأتي بيانه تفصيلاً.

ولهذه القاعدة أدلتها وتطبيقاتها، وتفصيل ذلك في محلّه من كتب القواعد الفقهية، والذي يفيدنا منها هو حكم الاستحباب المشترك بين الرجال والنساء الموجود في أدلة المشي إلى سيد الشهداء عليه السلام.

الدليل الثاني: اطلاق الروايات

وردت مئات النصوص الحاثة على المشي والمبينة لأجر الماشي وعظيم الثواب الذي يحصل عليه، وآداب المشي وسننه وما ينبغي أن يكون عليه الماشي، وما لا ينبغي، وقد ذكر

---

(١) انظر: القواعد الفقهية، البجنوردي، ج ٢، ص ٥٣

هذه الروايات أصحاب المجامع الروائية وكتب الأدعية والزيارات[١]، وقد أجاد صاحب كتاب (نور العين في المشي لزيارة الحسين)[٢] حيث جمع الروايات المتعلقة بالمشي لزيارة الإمام وبوبها تبويباً رائعاً، والمطلع على تلك الروايات يجد الإطلاق والعموم واضحاً تجاه مطلق المكلفين رجالاً ونساءً، بل شامل حتى لغير المكلفين؛ وبذلك يكون الاستحباب منصباً على الرجال والنساء على حد سواء، بل إن في بعض الروايات تصريحاً واضحاً لزيارة النساء وأنها من باب إسعاد فاطمة عليها السلام.

ولنقف على بعض الروايات المطلقة:

١ ـ عن الحسين بن عبيد الله، عن الحسن بن علي [بن أبي عثمان، عن عبد الجبار النهاوندي، عن أبي سعيد، عن الحسين] بن ثوير بن أبي فاختة، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «**يا حسين، مَن خرج من منزله يريد زيارة الحسين عليه السلام إن كان ماشياً كتبت له بكل خطوة حسنة، وحُطّ بها عنه سيئة، حتى إذا صار في الحائر كتبه الله من المفلحين المنجحين، حتى إذا قضى مناسكه كتبه الله من الفائزين، حتى إذا أراد الانصراف ناداه ملك فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وآله [يقرئك السلام و] يقول لك: استأنف العمل؛ فقد غفر الله لك ما مضى**»[٣]

٢ ـ عن الحسين بن محمد، عن حميد بن زياد، عن عبيد الله بن نهيك، عن محمد بن فراس، عن إبراهيم بن محمد الطحان، عن بشير الدهان، عن رفاعة النخاس، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «**أخبرني أبي أن مَن خرج إلى قبر الحسين عليه السلام عارفاً بحقه غير مستكبر، وبلغ الفرات ووقع في الماء وخرج من الماء، كان مثل الذي يخرج من**

---

(١) انظر: كامل الزيارات، باب زيارة الامام الحسين عليه السلام

(٢) نور العين في المشي الى زيارة قبر الحسين تاليف محمد حسن الاصطهباناتي.

(٣) ابن قولويه، كامل الزيارات: ص١٣٢. الصدوق، ثواب الأعمال: ص ١١٦. الصدوق، تهذيب الأحكام: ج٦، ص٤٣.

الذنوب، وإذا مشى إلى الحسين عليه السلام فرفع قدماً ووضع أُخرى، كتب الله له عشر حسنات ومحا عنه عشر سيئات»[١].

٣ ـ عن محمد بن جعفر الرزاز، عن محمد بن الحسين، عن أبي داود المسترق، عن أم سعيد الأحمسية، قالت: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: «**يا أُم سعيد، تزورين قبر الحسين عليه السلام ؟ قالت: قلت: نعم. قال: يا أُم سعيد، زوريه؛ فإن زيارة الحسين واجبة على الرجال والنساء**»[٢].

ثم قال صاحب الوسائل: «**أَقول: وروى ابن قولويه هذا الحديث من عدة طرق بأسانيد كثيرة، وقد تقدم ما يدل على ذلك عموماً، ويأتي ما يدل عليه**».

٤ ـ روى الحسن بن علي بن فضال، عن أبي أيوب الخزاز، عن محمد بن مسلم عن أبي جعفر محمد بن علي عليهما السلام قال: «**مرو شيعتنا بزيارة الحسين بن علي عليهما السلام فإن زيارته تدفع الهدم والغرق والحرق وأكل السبع، وزيارته مفترضة على من أقر للحسين عليه السلام بالإمامة من الله عز وجل**»[٣].

٥ ـ عن محمد بن الحسن بن الوليد، عن محمد بن الحسن الصفار، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن علي بن الحكم، عن أبي المعزا، عن عنبسة بن مصعب، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «**مَن لم يأت قبر الحسين عليه السلام حتى يموت كان منتقص الإيمان، منتقص الدين... دون المؤمنين فيها**»[٤].

إلى غيرها من عشرات ـ بل مئات ـ الروايات المبثوثة في بطون الكتب: كالبحار،

---

(١) الطوسي، التهذيب: ج٦، ص٥٢. ابن قولويه، كامل الزيارات: ص ١٨٦.
(٢) الحر العاملي، وسائل الشيعة: ج١٤، ص ٤٣٧.
(٣) الصدوق، مَن لا يحضره الفقيه: ج٢، ص٥٨٢.
(٤) الطوسي، تهذيب الأحكام: ج٦، ص٤٥.

وكتب المزار، تحكي لنا مشروعية مشي النساء للزيارة والحث عليها كثيراً، ونستفيد هذا من إطلاق الروايات والأدلة.

ولذا؛ أفتى اكثر الأعلام المتقدمين والمتاخرين والمعاصرين باستحباب مشي النساء؛ تمسكاً بإطلاقات الأدلة.

الدليل الثالث: الروايات التي تخص النساء

ما تقدم معنا من أدلة إنما كان مفادها الحث على المشي للزيارة بصورة مطلقة، والآن نورد بعض الروايات التي تدل على الاستحباب ـ بل إن في بعضها ما يدل على الوجوب بوضوح كما ذهب إليه بعض الفقهاء، وإن حملها أكثرهم على الاستحباب وبيّن أن الوجوب يراد منه شيء آخر انسجاماً مع الروايات الواضحة الدلالة على الاستحباب ـ بخصوص النساء.

وهذا السفر للزيارة سواء كان سفرا قريبا ام بعيدا كما نص على ذلك الاعلام، وكما هو نص بعض الروايات. كالرواية الأولى الاتية فلا يصح ما نقل عن بعض التفريق بين السفر القريب والبعيد بمنع الثاني دون الأول.

ومن جملة عباراتهم: ما ذكره صاحب الوسائل من فتوى باب عقده في ذلك: (بَابُ اسْتِحْبَابِ زِيَارَةِ النِّسَاءِ الحُسَيْنَ عليه السلام وَسَائِرَ الأَئِمَّةِ وَلَوْ مِنْ سَفَرٍ بَعِيدٍ)[1]، ووافقه عليها الاعلام.

وهي على طائفتين:

الأولى: روايات حاثة على الزيارة:

ولعل أشهر تلك الروايات رواية أُم سعيد الأحمسية المعاصرة والصحابية والموالية

---

(١) وسائل الشيعة؛ ج١٤، ص: ٤٣٥

للإمام الصادق عليه السلام، وغيرها:

١ـ روى ابن قولويه بسناد عن أُم سعيد الأحمسية قالت: «**جئت إلى أبي عبد الله عليه السلام فدخلت، فجاءت الجارية فقالت: قد جئتكِ بالدابة. فقال عليه السلام: يا أُم سعيد، أي شيء هذه الدابة، أين تبغين، أين تذهبين ؟ قالت: قلت: لأزور قبور الشهداء. فقال: ما أعجبكم يا أهل العراق ! تأتون الشهداء من سفر بعيد وتتركون سيد الشهداء ولا تأتونه ؟ ! قالت: قلت له: مَن سيد الشهداء ؟ فقال: الحسين بن علي عليهما السلام قالت: قلت: إني امرأة. فقال: لا بأس بمن كانت مثلك أن تذهب إليه وتزوره. قلت: أي شيء لنا في زيارته ؟ قال: تعدل حجة وعمرة واعتكاف شهرين في المسجد الحرام وصيامهم**»[١].

فان الرواية الشريفة دالة على مشروعية واستحباب الزيارة من قبل النساء لسيد الشهداء عليه السلام ولو كان من سفر بعيد فلا يتم ما ذهب اليه البعض من التفريق بين السفر القريب والبعيد كما اشرنا، وقد افتى بذلك الاعلام منهم، منهم الشيخ الحر العاملي، فقال: (يستحبّ زيارة النساء الأئمّة عليهم السلام ولو من سفر بعيد لما مرّ من العموم ولما يأتي من العموم والخصوص) وغيره من الاعلام.[٢]

فلم يفرق الامام بزيارة المراة من بعيد او قريب وانما جعل المدار على كونها مامونة وموثوقة والا ليذهب معها محرم ولو كانت قريبة دفعا لفسادها او تعرضها لمخاطر، فالمدار لا على طول المسافة بل على المامونية.

فالمناط الذي بنى عليه الامام الحكم بالحث على الزيارة كون المرأة كام سعيد مأمونة لا كون المسافة قريبة او بعيدة، فما قيمة البعيد او القرب وما مدخليته في فساد او صلاح المرأة، فالمرأة المأمونة والصالحة هي صالحة وان سارت الى الحسين من الصين والفاسدة

---

(١) ابن قولويه، كامل الزيارات: ص ١١٨.

(٢) هداية الأمة إلى أحكام الأئمة ج ـ ٥، ص: ٤٥٦

فاسدة وان سارت من اطراف كربلاء.

فمن منع انما عول على مخصصات ذوقية او استحسانية نابعة من موقف عملي لا من مخصص متصل او منفصل لم يذكر في الرواية ولا في خارجها بل ظاهر الرواية والروايات غير ذلك كما عرفت.

٢ـ عن زرارة عن أحدهما[١] عليه السلام أنه قال: «**يا زرارة، ما في الأرض مؤمنة إلا وقد وجب عليها أن تُسعِد فاطمة عليها السلام في زيارة الحسين عليه السلام**»[٢].

فالرواية توجب ـ من باب الولاء ـ ان تزور النساء سيد الشهداء عليه السلام فان ذلك اسعاد لسيدة النساء فاطمة الزهراء عليها السلام، ولم يقيد الامام كون المؤمنة شابة او عجوز، ولم يقيد كون معها محرم مادامت مأمونة والطريق امن، خصوصا وان السفر في تلك الاعصار اما سيرا او ركوبا على الحيوانات، فتطول الأوقات وقد يحصل الاختلاط، ومع ذلك وجه الامام لها عتابا ولكل اهل العراق والعراقيات اذا ما تركوا زيارة الحسين وجاءوا لزيارة الشهداء في المدينة المنورة فحسب.

٣ ـ في كتاب فضل زيارة الحسين لمحمد بن علي العلوي، حدثنا محمد بن جعفر بن محمد النحوي، قال: نا محمد بن علي بن شاذان، قال: نا حسن بن محمد بن عبد الواحد، قال: نا عباد بن جعفر، قال: أخبرني محمد بن عبدويه، عن يحيى بن مساور، قال: كان جعفر بن محمد عليه السلام جالساً فأقبلت امرأة من العرب فقال: «**ما لي لم أركِ منذ أمس ؟ ! قالت: كنت عند قبور الشهداء. قال: تركت سيد الشهداء عندك ! قالت: مَن هو ؟ قال: الحسين عليه السلام. قالت: أزوره ؟ قال: نعم زوريه؛ فإنه أفضل من حجة وحجة حتى عد عشراً.**

---

(١) عندما يقال: عن أحدهما، يُراد به إما الإمام الباقر أو الصادق عليهما السلام، وهذا التعبير وارد كثيراً في الكتب الروائية ومستعمل لأغراض يريدها أصحاب الأئمة عليهم السلام.

(٢) النوري، مستدرك الوسائل: ج١٠، ص ٢٥٩.

فقلت: فما لمن زاره ماشياً ؟ قال: له بكل خطوة حجة وعمرة»[١].

فإن هذه الروايات وغيرها حثت أُم سعيد الأحمسية[٢] ونساء أُخر على الزيارة وحددت لهن أجر المشي وهو بكل خطوة حجة وعمرة ولم يقيد بالمشي عن قرب بل وعاتبتها على ترك الزيارة بالرغم من انها لوحدها.

الثانية: روايات ممضية لزيارة النساء:

منها:

١ ـ ما رواه صاحب كامل الزيارات بإسناده عَنْ أَبِي يَعْقُوبَ الأَبْزَارِيِّ عَنْ قائد [فَائِدٍ عَنْ عَبْدٍ صَالِحٍ عليه السلام قَالَ «دَخَلْتُ عَلَيْهِ فَقُلْتُ لَهُ جُعِلْتُ فِدَاكَ إِنَّ الْحُسَيْنَ عليه السلام قَدْ زَارَهُ النَّاسُ مَنْ يَعْرِفُ هَذَا الأَمْرَ وَمَنْ يُنْكِرُهُ وَرَكِبَتْ إِلَيْهِ النِّسَاءُ وَوَقَعَ حَالُ الشُّهْرَةِ ـ وَقَدِ انْقَبَضْتُ مِنْهُ لِمَا رَأَيْتُ مِنَ الشُّهْرَةِ قَالَ فَمَكَثَ مَلِيّاً لَا يُجِيبُنِي ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيَّ فَقَالَ يَا عِرَاقِيُّ إِنْ شَهَرُوا أَنْفُسَهُمْ فَلَا تَشْهَرْ أَنْتَ نَفْسَكَ فَوَ اللهِ مَا أَتَى الْحُسَيْنَ عليه السلام آتٍ عَارِفاً بِحَقِّهِ إِلَّا غَفَرَ اللهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ».

تقريب الاستدلال: فان الامام لم يعترض على زيارة النساء بل أمضاها وشمل جميع الزائرين بذلك الثواب رجالا ونساء، غاية الامر ان الامام امره بالابتعاد عن الاشتهار[٣] والوضوح اذا كان يضره مراعاة للوضع الأمني في ذلك الحين كما هو ظاهر الرواية.

---

(١) العلوي، محمد بن علي، فضل زيارة الحسين: ص٦٢.

(٢) ام سعيد الاحمسية عدّها الشّيخ في رجاله من أصحاب الصّادق عليه السلام وظاهر عدّه ايّاها من غير غمز في مذهبها كونها اماميّة ويمكن استفادة حسنها بل وثاقتها من رواية (ابن أبي عمير) عنها في كتاب كامل الزيارات وهو لا يروي الا عن ثقة كما هو الصحيح الثابت في محله، وروى عنها أيضاً يونس بن يعقوب وابو داود المسترق وحسين الأحمسي واحمد بن رزق الغمشاني عنها عن الصّادق عليه السلام.

(٣) الشهرة كما نص أئمة اللغة انها وضوح الامر وانتشاره وافتضاحه.

٢ ـ وروى كامل الزيارات أيضا بإسناد عَبْدِ الله بْنِ حَمَّادٍ البَصْرِيِّ عَنْ أَبِي عَبْدِ الله عليه السلام «... ثُمَّ قَالَ بَلَغَنِي أَنَّ قَوْماً يَأْتُونَهُ مِنْ نَوَاحِي الكُوفَةِ وَنَاساً [أُنَاساً] مِنْ غَيْرِهِمْ وَنِسَاءً يَنْدُبْنَهُ وَذَلِكَ فِي النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ فَمِنْ بَيْنِ قَارِئٍ يَقْرَأُ وَقَاصٍّ يَقُصُّ وَنَادِبٍ يَنْدُبُ وَقَائِلٍ يَقُولُ المَرَاثِيَ فَقُلْتُ نَعَمْ جُعِلْتُ فِدَاكَ قَدْ شَهِدْتُ بَعْضَ مَا تَصِفُ فَقَالَ الحَمْدُ للهِ الَّذِي جَعَلَ فِي النَّاسِ مَنْ يَفِدُ إِلَيْنَا وَيَمْدَحُنَا وَيَرْثِي لَنَا وَجَعَلَ عَدُوَّنَا مَنْ يَطْعُنُ عَلَيْهِمْ مِنْ قَرَابَتِنَا وَغَيْرِهِمْ يَهُدُّونَهُمْ [يُهَدِّدُونَهُمْ] وَيُقَبِّحُونَ مَا يَصْنَعُونَ».

فان الرواية واضحة الدلالة على امضاء هذ الفعل من النساء والرجال وهو الندبة[1] والزيارة، وان كل من يطعن بهم سواء كان بعيدا او قريبا فهو مبغوض من ال البيت عليهم السلام وعدو من اعدائهم.

الدليل الرابع: سيرة الزهراء

إن السيدة الزهراء عليها السلام وهي سيدة العفة والحشمة وقدوة النساء جميعاً ولا تضاهيها أي امرأة لا من الاولين ولا من الاخرين ـ خرجت في مواطن عديده ماشية في زمن رسول الله وزمن امير المؤمنين صلوات الله عليهما وعلى الهما.

منها: ما هو واجب كتصديها للخطبة أمام المهاجرين والأنصار لنصرة أمير المؤمنين والدفاع عن حقه عليه السلام بالخلافة وحقها في فدك التي غصبها الظالمون.

ومنها: ما هو مستحب كما في خروجها كراراً لزيارة قبر سيدنا حمزة بن عبد المطلب وبعض الشهداء وزيارتها لقبر أبيها الأعظم صلى الله عليه وآله، ولا شك في أن فعلها حجة وسنّة تقتدي بها نساء العالمين.

---

(١) قال فى تاج العروس من جواهر القاموس فى بيان معنى الندبة؛ ج٢، ص: ٤٢٥ (أَنْ تَذكُرَ النّائحةُ الميّتَ بأَحسنِ أَوصافِهِ وأَفعالِه. و في المِصْباح: نَدَبَتِ المرأَةُ الميّتَ، من باب قَتَلَ و هي نادبةٌ، و الجمعُ نَوادِبُ، لأَنّه كالدُّعاءِ؛ فإنّها تُعدِّد مَحَاسِنَهُ، كَأَنّه يَسمعُها. قال شيخُنَا: ففيه أَنَّ النُّدْبَةَ خاصَّةٌ بالنِّسَاءِ، و أَنّ إِطلاقها على تَعْدادِ محاسِنِ الميّت).

وفي هذا الصدد نذكر بعض الروايات الدالة على خروجها مشياً:

١ ـ قال الكليني ﵀: عن عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد، عن الحسين بن سعيد، عن النضر بن سويد، عن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله ﷺ قال: سمعته يقول: «**عاشت فاطمة ﷺ بعد رسول الله ﷺ خمسة وسبعين يوماً لم تُرَ كاشرةً ولا ضاحكةً تأتي قبور الشهداء في كل جمعة مرتين الإثنين والخميس، فتقول: ها هنا كان رسول الله ﷺ، وهاهنا كان المشركون**»[١].

ثم قال بعد ذلك ﵀: «**وفي رواية أبان، عمن أخبره، عن أبي عبد الله ﷺ أنها كانت تصلي هناك وتدعو حتى ماتت ﷺ**»[٢].

وفي هذا الحديث دلالة واضحة على أنّ خروج النساء لزيارة قبور الموتى لا ينافي العفّة والوقار؛ إذ إن الزهراء ـ وهي المعصومة من كل خطأ ـ خرجت ماشية لزيارة القبور؛ فيكون فعلها حجّة، ولا شك في أن الخروج لزيارة قبر سيد الشهداء لهو أعظم من زيارة قبور المؤمنين؛ فما تفعله المؤمنات السائرات لقبر الحسين إنما هو اقتداء بسيرة ومسيرة الزهراء، كما إنه إسعاد ومواساة لها كما تقدم ذلك.

بالإضافة لروايات أخرى تدل على اتيانها قبر حمزة عمي النبي ﷺ في حياة رسول الله ﷺ ولم ينهها النبي منها:

٢ ـ وروى الشيخ الطوسي في التهذيب عَنْهُ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ عَنْ مُحَسِّنِ بْنِ أَحْمَدَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ حُبَابٍ عَنْ يُونُسَ عَنْ أَبِي عَبْدِ الله ﷺ قَالَ: «**إِنَّ فَاطِمَةَ ﷺ كَانَتْ تَأْتِي قُبُورَ الشُّهَدَاءِ فِي كُلِّ غَدَاةِ سَبْتٍ فَتَأْتِي قَبْرَ حَمْزَةَ وَتَتَرَحَّمُ عَلَيْهِ وَتَسْتَغْفِرُ لَهُ**».[٣]

---

(١) الكليني، الكافي: ج ٤، ص ٥٦١.

(٢) المصدر السابق.

(٣) من لا يحضره الفقيه: ج ١، ص ١٨٠.

٣ ـ وفي الدعائم عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ عليه السلام أَنَّهُ قَالَ «كَانَتْ فَاطِمَةُ عليها السلام تَزُورُ قَبْرَ حَمْزَةَ وَتَقُومُ عَلَيْهِ وَكَانَتْ فِي كُلِّ سَنَةٍ تَأْتِي قُبُورَ الشُّهَدَاءِ مَعَ نِسْوَةٍ مَعَهَا فَيَدْعُونَ وَيَسْتَغْفِرْنَ»[١]

وغيرها من الروايات.

الدليل الخامس: قاعدة الشعائر العامة

واضح لدى الجميع أن قاعدة الشعائر العامة تدل على أهمية تعظيم الشعائر الدينية، وأن من مصاديق الشعائر الدينية هو إبراز الشعائر الحسينية. ولا شك في أن المشي للزيارة من أبرز مصاديق تلك الشعائر، وهذا المشي للزيارة غير مختص بالرجال، بل هو شامل للنساء أيضاً كما هو واضح؛ فخروج هذا الجمهور الإيماني ومن كل الطبقات والأصناف والأجناس مظهر عالمي يبرز شعيرة إعلامية واضحة للجميع.

وعليه؛ فلا داعي للتدليل أو إقامة البراهين والشواهد على ذلك، بعد أن أصبح القريب والبعيد على علم واطلاع بهذا الشأن، وبعد أن أفرد العلماء كتباً مختصة بالبحث عن الشعائر الحسينية[٢].

الدليل السادس: ما ورد من الحث على المشي إلى بعض المواطن مع اشتمالها على الاختلاط:

وهذا له أمثلة كثيرة:

أولاً: خروج المرأة إلى الحج لوحدها

عقد الحر العاملي في وسائل الشيعة باباً خاصاً لخروج المرأة إلى حج بيت الله، وذكر

---

(١) دعائم الإسلام؛ ج١، ص: ٢٣٩

(٢) أُنظر: السند، محمد، الشعائر الحسينية بين الأصالة والتجديد.

في عدة روايات، نورد بعضاً منها:

١ـ محمد بن علي بن الحسين، بإسناده عن البزنطي، عن صفوان الجمال قال: «**قلت لأبي عبد الله عليه السلام: قد عرفتني بعملي، تأتيني المرأة أعرفها بإسلامها وحبها إياكم، وولايتها لكم ليس لها محرم ؟ قال: إذا جاءت المرأة المسلمة فاحملها؛ فإن المؤمن محرم المؤمنة، ثم تلا هذه الآية: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾**»[١].

وروى الشيخ بإسناده عن موسى القاسم، عن عبد الرحمن، عن صفوان بن مهران نحوه[٢].

٢ـ محمد بن يعقوب، عن عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد، عن الحسين بن سعيد، عن النضر بن سويد، عن هشام بن سالم، عن سليمان بن خالد، عن أبي عبد الله عليه السلام في المرأة تريد الحج ليس معها محرم، هل يصلح لها الحج ؟ فقال: «**نعم، إذا كانت مأمونة. ورواه الصدوق بإسناده عن هشام مثله**»[٣].

٣ـ محمد بن الحسن، بإسناده عن موسى بن القاسم، عن صفوان، عن معاوية بن عمار، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام: عن المرأة تحج إلى مكة بغير ولي ؟ فقال: «**لا بأس تخرج مع قوم ثقات**».

ورواه الصدوق بإسناده عن معاوية بن عمار[٤].

٤ ـ وعنه، عن صفوان، عن معاوية بن عمار، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن المرأة تحج بغير ولي ؟ قال: «**لا بأس، وإن كان لها زوج أو أخ أو ابن أخ فأبوا أن يحجوا بها وليس**

---

(١) الصدوق، مَن لا يحضره الفقيه: ج٢، ص٢٦٨.

(٢) الطوسي، التهذيب: ج٥، ص٤٠١.

(٣) الكليني، الكافي: ج٤، ص٢٨٢.

(٤) الصدوق، مَن لا يحضره الفقيه: ج٢، ص٢٦٨.

لهم سعة، فلا ينبغي لها أن تقعد، ولا ينبغي لهم أن يمنعوها...»[١].

وروى الكليني عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن معاوية بن عمار نحوه[٢].

٥ ـ وعنه، عن عبد الرحمن، عن مثنى، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألته عن المرأة تحج بغير وليها، فقال: «**إن كانت مأمونة تحج مع أخيها المسلم، وغيرها**»[٣].

وهذه الروايات تدلل على جواز خروج المرأة من دون اصطحابها لشخص من محارمها، وأنها مأمونة ومصونة ما دامت مع أخيها المؤمن، وبذلك أفتى مشهور الفقهاء أيضاً، وهي عامة تشمل الخروج للطاعات الأُخرى بهذه الحالة؛ إذ ليس فيها ما يُبيّن خصوصية للحج على غيره.

واليك جملة من كلماتهم:

فى شرائع الإسلام في مسائل الحلال والحرام؛ ج١، ص: ٢٠٤ (الرابعة لا يشترط وجود المحرم في النساء بل يكفي غلبة ظنها بالسلامة...).

ولم يشترطه في المسالك وعلق على الشرائع قائلا: (المعتبر عدم الخوف على البضع أو العرض بتركه)

وقال فى الجواهر[٤] معلقا على الشرائع: بلا خلاف أجده فيه بيننا، لصدق الاستطاعة

---

(١) الطوسي، التهذيب: ج٥، ص٤٠١. وأورد ذيله في الحديث ٣ من الباب ٦٠ من هذه الأبواب.

(٢) الكليني، الكافي: ج٤، ص٢٨٢.

(٣) الطوسي، التهذيب: ج٥، ص٤٠١.

(٤) جواهر الكلام ج ١٧ ص ٣٣٠.

بعد جواز خروجها مع عدم الخوف نصا وفتوى بدونه،

وقال السيد اليزدي في العروة (مسألة ٨٠): لا يشترط وجود المحرم في حجّ المرأة إذا كانت مأمونة على نفسها وبضعها، كما دلّت عليه جملة من الأخبار، ولا فرق بين كونها ذات بعل أولا...)[١]

ووافقه كل المحشين تقريبا في الطبعة التي فيها حاشية (٤١) من الاعلام.

ثانياً: تعاليم النبي ﷺ لكيفية مشي النساء

فقد ذكر صاحب الوسائل أيضاً باباً في مشى النساء مع الرجال في الطريق إلى المسجد، تضمن بعضها الكيفية المثلى لمشيها مع الرجال الأجانب، وإليك بعض هذه الروايات:

عن الوليد بن صبيح، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «**قال رسول الله ﷺ: ليس للنساء من سروات الطريق شيء، ولكنها تمشي في جانب الحائط والطريق**»[٢].

محمّد بن عليّ بن الحسين قال: ذكر النساء عند أبي الحسن عليه السلام فقال: «**لا ينبغي للمرأة أن تمشي في وسط الطريق، ولكنها تمشي إلى جانب الحائط**»[٣].

فلم تمنع الروايات النساء من الخروج، ولكن بيّنت أن ليس لهن أن يذهبن في وسط الطريق، بل إن في النص الثاني ورد التعبير بقوله عليه السلام: لا ينبغي. ومعناه أن مشيها في وسط الطريق وإن كان أمراً مرجوحاً وغير محبذ لها إلا أنه جائز، وهذا يدل على جواز خروجهن.

---

(١) العروة الوثقى كتاب الحج مسالة ٨٠.

(٢) الحر العاملي، وسائل الشيعة: ج٢٠، ص١٨٣.

(٣) المصدر السابق

ثالثاً: الخروج لأجل طلب العلم

فقد صرحت الروايات بأهمية طلب العلم وأنه فريضة على كل مسلم ومسلمة[١]. ولا إشكال في أن طلب العلم في حالاته الغالبة مشتمل على الاختلاط، ولو على مستوى سماع الصوت من قبل الطالبات للأُستاذ أو الخروج لمسافات ذهاباً وإياباً إلى مراكز التعلم.

رابعاً: الخروج لأداء الفرائض والواجبات الكفائية

إن الخروج لممارسة بعض الواجبات الكفائية أو تحصيل مقدماتها - كالطب النسوي والتعليم النسوي وتضميد الجرحى في الحروب وغيرها - من الأمور المتسالم على ضرورتها وبكثرة كاثرة، وهذه التخصصات لا شك في أهميتها، بل إن بعضها داخل في حفظ النظام العام.

خامساً: ممارسة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

لا شك في أن وظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من الوظائف الإلهية الواجبة على الرجال والنساء، وبمقتضى هذه الوظيفة وما يكتنفها من كلام وأفعال قد يستلزم بعضها الكلام مع الطرف الآخر أو اتخاذ مواقف عملية تجاهه، وهذا قد يستدعي حصول اختلاط بين الجنسين في سبيل تحقيق بعض مصاديق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، خصوصاً في الأماكن العامة، كالجامعات والأسواق.

فإذا توفرت شروط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر جاز أن تتصدى المرأة لذلك، خصوصاً في حالات الضرورة والانحصار.

وأبرز مصاديق التصدي لذلك من النساء هو تصدي الزهراء عليها السلام لأداء الأمر بالمعروف

---

(١) انظر: الكافي، للكليني، الجزء الاول، كتاب فضل العلم

والوقوف بوجه مَن غصب الخلافة وخطبت خطبتها الشهيرة بوجه الظالمين.

وما تصدت له الحوراء زينب عليها السلام في الدفاع عن البيت النبوي أيضاً وعن الثورة الحسينية وحقانيتها، فمارست دوراً مهمة في ثورة الامام الحسين الاصلاحية بل اصبحت الشخصية الثانية في حجم انجاح واستمرار الثورة بعد شخصية قائد الثورة الاول الامام الحسين عليه السلام، وكانت القائدة لما بعد الثورة وسطرت مواقفا قل نظيرها في التاريخ البشري عندما فضحت السلطة الجائرة بخطبة غراء: فقال لها ابن مرجانه: الحَمْدُ الله الَّذِي فَضَحَكُمْ وقَتَلَكُمْ وأَكْذَبَ أُحْدُوثَتَكُمْ. «**قَالَتْ الحَمْدُ للهِ الَّذِي أَكْرَمَنَا بِمُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله وطَهَّرَنَا تَطْهِيراً إِنَّمَا يَفْتَضِحُ الفَاسِقُ ويَكْذِبُ الفَاجِرُ وهُوَ غَيْرُنَا**» فَقَالَ كَيْفَ رَأَيْتِ صُنْعَ الله بِأَهْلِ بَيْتِكِ. «**قَالَتْ مَا رَأَيْتُ إِلَّا جَمِيلًا هَؤُلَاءِ قَوْمٌ كُتِبَ عَلَيْهِمُ القَتْلُ فَبَرَزُوا إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وسَيَجْمَعُ الله بَيْنَكَ وبَيْنَهُمْ فَتُحَاجُّ وتُخَاصَمُ فَانْظُرْ لِمَنِ الفَلْجُ هَبَلَتْكَ أُمُّكَ يَا ابْنَ مَرْجَانَة...**»[1].

وكذلك ما تصدت له العذراء من الدفاع عن نفسها وكرامتها وشرفها عندما أقدمت مع روح الله على قومها.

وكذلك ما تصدت له اسية بنت مزاحم للدفاع عن عقيدتها، فاستحقت ان يضرب بها القرآن مثلاً للمجتمع الإيماني برجاله ونسائه، قال تعالى: ﴿**وَضَرَبَ اللهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ**﴾[2].

فصبرها كان من جهتين:

الأولى: الصبر على ما تحب: وهو الصبر على ترك الرفاه والنعم المادية والجاه العريض

---

(١) مثير الاحزان ص ٩٠.

(٢) التحريم: ١١.

الدنيوي داخل البيت الفرعوني وكونها سيدة مصر الأولى.

الثانية: الصبر على ما تكره: وهو الصبر على العذاب والقتل الذي تعرضت له من قيل الجبروت الفرعوني الذي عذبها أشد التعذيب وربطها على جذوع النخل[١].

فوظيفة الأمر بالمعرف والنهي عن المنكر لا تكتمل إلا بأن يمارسه كلا الجنسين إما منفرداً أو جماعياً إذا اقتضت الضرورة وتوفرت الموازين، وهذا واضح من الآية الشريفة: ﴿وَالمُؤْمِنُونَ وَالمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ المُنْكَرِ...﴾[٢].

الدليل السابع: اجماع الفقهاء.

اجمع الفقهاء على الجواز بل الاستحباب لزيارة النساء الا من شذ وقال بالكراهة الا مع مراعاة بعض الشروط فلا كراهة.

قال المحقق النجفي في جواهر الكلام عارضا استحباب زيارة مطلق القبور وقبور ال البيت: (استحباب زيارة النساء للقبور كما نص عليه بعضهم خلافا للمصنف في المعتبر، فكرهه لهن، بل ظاهره أو صريحه نسبته ذلك فيه إلى أهل العلم، ولكن علله بمنافاته للستر والصيانة، وهو يومي إلى أن كراهته لأمر خارج عنه، وهو حسن مع استلزامه ذلك، وكذا استلزام الجزع وعدم الصبر لقضاء الله، بل ربما يصل إلى حد الحرمة، وأما بدون ذلك فالظاهر الاستحباب للعموم وخصوص بعض الأخبار ومن العجيب دعواه الكراهة حتى بالنسبة إلى زيارة الأئمة عليهم السلام مع كثرة العمومات الدالة على رجحانها المنجبرة بعمل الأصحاب وغير ذلك، فتأمل جيدا).[٣]

---

(١) جامع البيان في تفسير القران ج ٢٨ ص ١١٠.

(٢) سورة التوبة – اية ٧١

(٣) جواهر الكلام شرح شرائع الإسلام؛ ج٤، ص: ٣٢١

فهو قد اعترض واستنكر على صاحب المعتبر تعميمه الكراهة لزيارة مراقد ال البيت من قبل النساء لانه منافي للستر، فلو سلمنا قبوله في زيارة القبور فلا نسلم ذلك في زيارة ال البيت فانها مستحبة مطلقا الا مع خوف ارتكاب الحرام او معرضية الحرمة.

الى غير ذلك من الوجوه التي تصلح للاستدلال ورد المنع.

أدلة المانعين لخروج النساء مشياً للزيارة:

إن ما يمكن أن يُستَدل به على مانعية زيارة النساء مشياً إلى كربلاء المقدسة هو مجموعة من الأدلة التي يظهر منها ـ بواسطة عمومها ـ أنها تمنع النساء من الخروج، وسوف نستعرضها على التوالي، مع ذكر الردود الواردة أو ما يمكن الرد به عليها:

الدليل الأول: ممنوعية خروج النساء مطلقاً

ذكرنا في حديث متقدم ـ وبشكل مختصر في مقام ذكر الآيات القرآنية ـ أن هناك آية يظهر منها نهي النساء عن الخروج من بيوتهن بصورة مطلقة، وهذه الآية هي قوله تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾[1].

لو قلنا بمانعية خروج النساء مطلقاً فإن هذا الحكم الكلي سيشمل أيضاً منع خروجهن مشياً إلى كربلاء، خصوصاً إذا كان خروجهن طويل الأمد نسبياً، كما هو حاصل لبعض السائرات، فهل يمكن إثبات دلالتها على المطلوب أو لا ؟

تقريب الاستدلال:

إن الآية تأمر المرأة ـ من خلال فعل الأمر الذي في صدر الآية ـ بأن تقر في بيتها،

---

(١) سورة الاحزاب – اية ٣٣

بمعنى أنها لا تخرج منه مطلقاً، من جهة وتنهى عن تبرج الجاهلية الأُولى؛ فيكون خروجها مشياً إلى الزيارة منافياً للآية الشريفة المانعة من الخروج.

مناقشة الدليل الأول:

لو أخذنا بظاهر الآية المباركة ـ ومن دون النظر إلى مناسباتها وأسباب وشأن نزولها ـ لكان الكلام فيها تاماً، إلا أنه لا يمكن الأخذ به لجهات ثلاثة:

الجهة الأولى: من خلال السياق الذي يكتنف الآية المباركة يتبين لنا أن المخاطب بها ـ صريحاً ـ هو نساء النبي، وأن هذا الحكم مختص بهن دون غيرهن، أو لا أقل يحتمل ظهورها بذلك، وهذا الاحتمال ـ الظاهر بظهور جلي جداً ـ مبطل للاستدلال بها على مانعية خروج باقي النساء.

وتوجد قرينتان على ذلك:

الأُولى: وهي قرينة داخلية؛ فإن الآية التي قبلها ظاهرة بأن الخطاب لنساء النبي لخصوصية فيهن؛ وأنهن لسن كباقي النساء من حيث بعض الأحكام، ومنها منعهن عن الخروج ومضاعفة العذاب على مخالفة الله ورسوله، حيث قالت: ﴿**يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلاً مَعْرُوفاً* وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الجَاهِلِيَّةِ الأُولَى**﴾[1].

فصريح الآية يُبين لنا أن نساء النبي لسن كبقية النساء، بل لهن خصوصيات ميزتهن عن غيرهن؛ وبطبيعة الحال تكون لهن أحكام خاصة بهن.

الثاني: وضوح خروج النساء مطلقاً بمرأى ومسمع من النبي والأئمة، ومن دون أن

---

(١) الأحزاب: آية ٣٢ـ٣٣.

يمنع النبي أو يردع عن ذلك، فلو كانت الآية شاملة لمطلق النساء لبان المنع واتضح في عصر النبي والأئمة وسائر العصور الأُخرى، وحيث لا يوجد منع من قبلهم فهناك إقرار بذلك.

بل إن هناك تسالماً ووضوحاً بعدم المانعية، ولم يخالف أحد في جواز خروج المرأة تمسكاً بالآية.

وقد مر في الدليل السادس المتقدم موارد لخروج المراة منصوص عليها في الروايات.

الجهة الثانية: لو سلمنا شمول الآية لمطلق النساء، فهي في صدد المنع من خروج خاص للمرأة، وهو الخروج الذي يشاكل خروج المتبرجات بتبرج الجاهلية الأُولى، لا عن مطلق الخروج حتى لو كان خروج طاعة أو إباحة؛ لوضوح جواز الخروج شرعاً للحج وغيره من الطاعات؛ وللعرف المتشرعي القائم على ذلك.

الجهة الثالثة: لو تنازلنا عما تقدم في الجهتين السابقتين فلا أقل من القول: بأن الآية مخصصة أو مقيدة بأدلة خروج المرأة للواجبات والمستحبات كالحج الواجب والعمرة المفردة والطاعات، بل ومطلق ما كان راجحاً، كالكسب الحلال والتعلم والتعليم، ولا شك في أن الخروج للزيارة من أهم الطاعات والشعائر.

وعليه؛ فلا مانع من خروج المرأة من بيتها إذا كانت غير متبرجة، وكان خروجها بإذن زوجها إن كان لها زوج، ولم نجد ممانع من ذلك بين الأعلام فيما لو كان خروجها طبقاً للموازين الشرعية: غير متبرجة، وغير متهتكة، وكانت مأمونة على نفسها.

وعليه؛ فلا بأس بتصدي المرأة للشؤون الإدارية والتربوية والطبية بقيود وشروط ذكرها الفقهاء في محلها، بل إن بعضها داخل في عمومات وإطلاقات أدلة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر، كما في قوله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ

أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ المُنْكَرِ...﴾[١].

الدليل الثاني: المنع من الاختلاط

إن بعضاً من الأُمور التي دفعت بالمانعين من خروج النساء مشياً لزيارة سيد الشهداء هو ما يذكر من اختلاط مع الرجال، وبما أن الاختلاط ممنوع شرعاً ـ وقد يوجب سلب الطاعة من عنوانها ـ فلا بد من الوقوف أمام حصول عمل كهذا.

تقريب الاستدلال:

لقد ورد الدليل على مانعية مطلق الاختلاط في جملة من الأخبار، ومنها خبر غياث بن إبراهيم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «**قال أمير المؤمنين عليه السلام: يا أهل العراق، نُبّئت أنّ نساءكم يُدافعن الرجال في الطريق، أما تستحون ؟ !**». وبطريق آخر زاد: «**لعن الله من لا يغار**». وفي رواية أُخرى عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «**أما تستحيون ولا تغارون على نسائكم يخرجن إلى الأسواق، ويزاحمن العلوج**[٢] **؟ !**»[٣].

و يؤيد المنع ـ ما يظهر منه المنع عن حضور النساء صلاتي الجمعة والعيدين ـ ما رواه محمّد بن شريح، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن خروج النساء في العيدين ؟ فقال عليه السلام: «**لا، إلّا العجوز عليها منقلاها**»[٤] يعني الخفّين.

وموثّق يونس بن يعقوب، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن خروج النساء في العيدين

---

(١) التوبة: آية ٧١.

(٢) يستخدم لفظ العلج في لغة العرب عموماً للدلالة على الغلظة والجفاء.

(٣) الكليني، الكافي: ج ٥، ص ٥٣٧.

(٤) العاملي، وسائل الشيعة: ج ٢٠، ص ٢٣٨.

والجمعة ؟ فقال عليه السلام: «**لا، إلّا امرأة مسنّة**»[١].

مناقشة الدليل الثاني:

ويرد على هذا الدليل أُمور عدة:

أولاً: إن الأدلة المذكورة في البين ظاهرة في الكراهة لا في التحريم؛ ولا أقل من كون إعراض المشهور عن العمل بمضمونها صارفاً لها من الظهور التحريمي إلى الكراهتي.

ثانياً: إن الاختلاط الممنوع هو الاختلاط بكيفية خاصة لا مطلق الاختلاط، أي: لا بدّ من تفسير الاختلاط المذكور بالتداكّ والتدافع بين الجنسين الملازم للالتصاق ولو من وراء الثياب؛ وهذا ظاهر من التعبير بالمدافعة والمزاحمة الواردين في الروايات، فلو خلت التجمّعات المذكورة من هذه الحالة لسعة الطرق عمّا كانت عليه سابقاً، وتعدّد مسالك الدخول إلى الصالات ومسارات الحركة، والتجمّع في التظاهرات والاعتراضات لم يكره الحضور المذكور، بل ربّما استحبّ إن فرض وجود غرض راجح أو واجب في ذلك، كما في مثل الاجتماع في مناسك الحجّ من سعي وطواف ووقوف بعرفة ورمي جمرات وغير ذلك.

ثالثاً: من المحتمل جداً أن يراد بالاختلاط معنى آخر، وهو المعاشرة والخلطة للرجال، كما يحصل في المدارس والدوائر الحكوميّة وغيرها بحيث تحصل مخالطة وعلاقة حميمة بين الجنسين، ولعل مَن أفتى بمنع هكذا اختلاط قد حمل الأدلة على الاختلاط الحميمي.

---

(١) الطوسي، التهذيب: ج٧، ص٤٨٥.

وهذا ما يظهر من بعض الأساطين المعاصرين:

١. السيد أبو القاسم الخوئي

ذكر السيد الخوئي في جوابه على استفتاء موجّه إليه حول جواز العمل للمرأة ـ طبيبة أو ممرّضة ـ مع استلزام ذلك للاختلاط بالرجال في أيّام الدراسة أو العمل قال: «**لا يجوز إلّا مع الضرورة المبيحة للمحرّمات**»[١].

وفي استفتاء آخر ـ عن اختلاط الصبيان والبنات في المدارس الحكوميّة التي يتعلّم فيها العلوم الدينيّة ـ أجاب: «**لا يجوز اختلاط الجنسين مع كونهم في سنّ المراهقة**»[٢].

٢. السيد روح الله الخميني

وممن أفتى بذلك أيضاً هو السيد الخميني ﵀، ففي إجابة عن سؤال حول عمل المرأة في المؤسسات قال: «لا بأس بالعمل للمرأة مع رعايتها للتكاليف الشرعيّة الثابتة في حقّها، ومنها تجنّب الاختلاط الكثير بالأجنبي»[٣].

وعلى هذا الأساس؛ تحمل الروايات الناهية عن الاختلاط على الكراهة ما لم تكتنفه بعض المحرمات أو يكون سبباً لخوف الوقوع في الحرام.

ومن بين هذه الروايات الرواية المشهورة عن فاطمة الزهراء ﵄ للنبي ﷺ: «**خير للنساء أن لا يرين الرجال، ولا يراهنّ الرجال**»، فقال ﷺ: «**فاطمة منّي**».

وما ورد من قول أمير المؤمنين ﵇ في رسالته إلى الحسن ﵇: «... **فإن استطعت أن لا يعرفن غيرك من الرجال فافعل**»[٤].

---

(١) الخوئي، صراط النجاة: ج١، ص٣٣١.

(٢) المصدر السابق.

(٣) الخميني، استفتاءات: ج٣، ص٣٥٨ (بالفارسيّة).

(٤) الكليني، الكافي: ج٥، ص٣٣٧.

فإن هذه الروايات لا تدلّ على أكثر من الكراهة؛ ولربما يكون هذا المعنى هو الذي جعل بعض الفقهاء يفتي ـ وهو الصحيح ـ بالجواز مع الوثوق بعدم الوقوع في المفاسد الدينيّة والأخلاقيّة.

وقال السيد الگلبايگاني في جواب استفتاء عن الدراسة في الجامعات المختلطة: «**نظام التعليم المختلط ليس إسلامياً، وأضراره الاجتماعيّة والأخلاقيّة وخيمة... لكن يجوز لمن يثق من نفسه عدم تأثير ذلك على تديّنه مشروطاً بصيانة نفسه عن الوقوع في المحرّمات الملازمة لهذا الاختلاط غير المشروع**». وهو تام وصناعي جداً.

وعليه؛ فلا مانع من الاختلاط الحاصل في أثناء المشي أو الزيارة قرب المرقد الشريف، ما لم يكتنفه النظر المحرم أو المماسة، أو الكلام الممنوع أو خوف الوقوع في الحرام.

وعلى فرض وجود بعض الأفعال الصادرة من بعض السائرين والسائرات ـ التي ربما تكون خاطئة بنظر بعضهم او هي خاطئة فعلا ـ فهو أيضاً لا تمنع من حقانية الطاعة ولا تصيّرها ممنوعة كما توهموه، ويمكن أن يستدل لذلك بقاعدة مقتبسة من الروايات والتي مفادها: (**لا يترك الحق إذا شابه منكر**).

ثم من يقول بمطلق المنع فعليه ان يمنع الاختلاط في كل مرافق الحياة الذي اصبح ضرورة لا بد منها.

فائدتان: قاعدة فقهية وفائدة رجالية.

١. قاعدة فقهية:

تأسيس قاعدة فقهية في المقام: (لا يترك الحق إذا شابه منكر).

مفاد القاعدة:

إن المراد من القاعدة المذكورة في باب الطاعات: (**لا يترك الحق لشوبه بالباطل**) هو أن وجود بعض الممارسات السلبية في التجمعات العامة التي فيها طاعة ـ كالحج والعمرة، وصلاة الجماعة أو الجمعة، والأعياد والاحتفالات بالمولد النبوي، أو الزيارات للأئمة الأطهار أو المشي خلف الجنائز او غيرها ـ لا يعني ترك تلك التجمعات من راس، والحكم بحرمة الذهاب أو الحضور عندها، وإلى هذه القاعدة يُشير الحديث الشريف التام سنداً ودلالة.

مدرك القاعدة:

ما رواه الكليني في الكافي بسند صحيح: «**عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن محبوب، عن علي بن رئاب، عن زرارة قال: حضر أبو جعفر عليه السلام جنازة رجل من قريش وأنا معه، وكان فيها عطاء، فصرخت صارخة، فقال عطاء: لتسكتن أو لنرجعن. قال: فلم تسكت، فرجع عطاء، قال: فقلت لأبي جعفر عليه السلام: إن عطاء قد رجع. قال: ولم ؟ قلت: صرخت هذه الصارخة، فقال لها: لتسكتن أو لنرجعن. فلم تسكت فرجع، فقال: امض بنا؛ فلو أنا إذا رأينا شيئاً من الباطل مع الحق تركنا له الحق لم نقض حق مسلم ! قال: فلما صلى على الجنازة قال وليها لأبي جعفر عليه السلام: ارجع مأجوراً رحمك الله؛ فإنك لا تقوى على المشي. فأبى أن يرجع**»[1].

تقريب الاستدلال:

فالملاحظ من هذه الرواية ـ الصحيحة ـ هو أن الإمام استمر على ما هو عليه بالرغم من أن المشي خلف الجنازة من الأُمور المستحبة، وليس من الواجبة، فلم يتركه لوجود صرخات وأصوات النساء اللاتي يشيعن معهم، مع أن هذه الصرخات كان فيها نحو من

---

(١) الكليني، الكافي: ج٣، ص١٧٢.

الباطل على مستوى الحرمة أو الكراهة بالنسبة للصارخة، بل أكد ذلك صراحةً بقوله: «**فلو أنا إذا رأينا شيئاً من الباطل مع الحق تركنا له الحق لم نقض حق مسلم**»، فوجود هذه الممارسة المحرمة أو المكروهة بالنسبة إلى المرأة الصارخة لا يبرر ترك الطاعات المستحبة فضلاً عن الواجبة، وهذه القاعدة تصح أن تكون دليلاً عاماً يتمسك به في كل الطاعات التي قد يشوبها باطل من بعض الممارسين لتلك الطاعات، كوجود اختلاط أو كلام باطل أو نظر محرم من بعض الحاضرين للآخرين، ولكن هذا الباطل ليس معناه أن تحرم وتمنع هذه المستحبات بالجملة على النساء.

بعض تطبيقاتها:

ومن أبرز الطقوس التي طبق الفقهاء هذه القاعدة فيها هو الحج، كمثال للواجب الذي يشوبه بعض التصرفات من بعض من حضر الحج، وكذلك العمرة الواجبة والمستحبة، وحضور الجمعة والجماعة، والمشي خلف الجنائز ودفن الأموات، وهكذا من الموارد المشابهة، وهو منطبق أيضاً على الحضور الهائل من كل فج عميق في زيارة العتبات المقدسة، سواء كان حال المشي إليها أو حال التواجد قربها كمثال للطاعة المستحبة.

ومن هذه القاعدة يتضح عدم مانعية بعض الممارسات الخاطئة التي تصدر من بعض الذاهبين مشياً إلى أبي عبد الله الحسين عليه السلام عن خروج النساء، وتصبح دليلا ثامنا يضاف الى ادلة الجواز الماضية.

٢. فائدة رجالية:

في توثيق إبراهيم بن هاشم:

لا اشكال في اعتبار الرواية الماضية الا انها صحيحة بناء على توثيق إبراهيم بن

هاشم او انها حسنة بناء على مدحه لا توثيقه.

والصحيح انه ثقه وفاقا لجملة من الاعلام فنحكم بصحة الرواية.

ادلة توثيقه:

ويمكن الاستدلال على توثيقه بعدة امارات منها:

فانه لم يرد فيه توثيق خاص في كتب الرجاليين، وانما ورد مدحه فقط، فمقتضى ذلك تكون رواياته حسنة لا صحيحة كما هو الميزان في علم الرجال.

ولكن الصحيح القول بوثاقته لعدة قرائن نذكرها اجمالا، منها:

١ـ توثيق ابن طاووس له في كتابه (فلاح السائل) فقد أدعى الاتفاق على وثاقته[١] وهذا يستكشف منه أن القدماء من الأصحاب وثقوه ولكن لم يصل إلينا توثيقه.

ولكن الكلام في نفس حجية توثيق ابن طاووس، لانه من العلماء المتأخرين، والحال ان المناط في التوثيق الصادر من اصحابنا القدماء.

ولكن يجاب: اننا وان لم نقبل توثيق ابن طاووس له باعتباره من المتأخرين، الا اننا نقبل نقله الاتفاق على توثيقه وهذا يكفي في اثبات التوثيق، ففرق بين التوثيق وبين نقل التوثيق، فلاحظ.

٢ـ أن أبنه (علي) يروي عنه في تفسيره، بل أكثر الروايات عن أبيه، فيكون الاب ثقة لان الابن لا يروي في تفسيره الا عن ثقة كما ذكرنا في الرواية الاولى.

٣ـ قول النجاشي: (ابو اسحاق القمي له كتب، أول من نشر حديث الكوفيين بقم)[٢]

---

(١) فلاح السائل، السيد ابن طاووس: ص ١٥٨، الفصل التاسع عشر

(٢) رجال النجاشي، النجاشي: ص ١٨/١٦

والحال أن القميين يتشددون في الرواة وهذا كاشف أنه ثقة وإلّا لم يقبلوا رواياته.

٤ـ انه وقع في أسانيد نوادر الحكمة[١] ولم يستثنيه ابن الوليد، فيكون ثقة بناء على كبرى توثيق رجال نوادر الحكمة كما حقق في محله من تنقيح رجال الوسائل.

٥ـ انه وقع في أسانيد كتاب (كامل الزيارات)[٢] بناءً على صحة الكبرى القائلة (أن كل رجال أسانيده ثقات)، كما حقق في محله من كتابي تنقيح رجال الوسائل.

الدليل الثالث: الضرر على الزوج أو الأطفال بخروجها

من الأمور التي يظهر منها منافاة المشي إلى زيارة أبي عبد الله عليه السلام هو وجود الضرر الذي يتسبب على الزوج والأطفال بخروج النساء مشياً، خصوصاً إذا كان من مكان بعيد.

مناقشة الدليل الثالث:

ويرد على هذا الدليل:

١ ـ ليس الضرر بإطلاقه محرماً، وإنما يحرم منه الضرر الشديد أو الإضرار الشديد بالغير.

٢ـ إن المتتبع للروايات الواردة في خصوص زيارة الإمام الحسين عليه السلام يرى أن عنوان الضرر قد أُخذ في بعضها؛ مما ينتج لنا بأن الضرر الذي يترتب على الأهل أو الأطفال لا يمنع من الاستحباب؛ لأنه نوع إيثار للمصلحة العامة وتقديمها على المصالح الخاصة؛ لذا وردت الإشادة والمدح للذين آثروا الالتزام بهذه الشعيرة على مصلحة أبنائهم وأزواجهم؛ ففي الرواية التي رواها سعد بن عبد الله، عن يعقوب بن يزيد، عن ابن أبي عمير، عن معاوية بن وهب

---

(١) تهذيب الأحكام، الشيخ الطوسي: ج ١ ص ٢٧، ح ٨

(٢) كامل الزيارات، جعفر بن محمد بن قولويه: ص ١٣٦، ب١٨، ح٧

قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام وهو في مصلاه، فجلست حتى قضى صلاته، فسمعته وهو يناجي ربه ويقول: «... **واخلف على أهاليهم وأولادهم الذين خلفوا بأحسن الخلف، واصْحَبْهُم واكْفِهم شر كل جبار عنيد، وكل ضعيف من خلقك أو شديد، وشر شياطين الإنس والجن، وأعطهم أفضل ما أملوا منك في غربتهم عن أوطانهم، وما آثرونا على أبنائهم وأهاليهم وقراباتهم...**»[1].

كما أن هناك عشرات الروايات التي تُبيّن اكتناف بعض الشعائر بالضرر وبقاء الاستحباب ومضاعفة الأجر، كما في الروايات الدالة على استحباب المشي حال الخوف من الظالم، أو الروايات الدالة على استحباب المشي في الحر أو البرد وغيرها من موارد الضرر.

٣ ـ إن كثيراً من روايات المشي فيها ظهور يشير إلى أن الذهاب إلى الزيارة مشياً خارج ـ موضوعاً أو حكماً ـ من أدلة الضرر، أو ملاحظ فيها الضرر المناسب لهذه العبادة لا مطلق الضرر، على غرار الخروج إلى الجهاد أو الحج؛ لأنه أُخذ في نفسيهما عنوان الضرر، أو لا أقل أُخذ فيهما الضرر المناسب لهما.

٤ ـ إن المصالح المترتبة على خروج النساء وإبراز هذه الشعيرة أهم من الضرر العادي الذي يقع على الأطفال والزوج.

نعم؛ لو كان الضرر شديداً أو يؤدي إلى الوقوع بالمحرم أو تضييع الحقوق الواجبة فهو مانع من استحباب الزيارة.

كما ان الزوج يمكنه ان يرفع الضرر من خلال نهيها عن الذهاب.

تتمة:

إن تعظيم الشعائر أهم من بعض الإشكالات أو الأخطاء الشخصية أو الضرر

(١) الصدوق، ثواب الأعمال: ص٩٤ ـ ٩٦.

الشخصي، فإن الحث الوارد على إحياء الشعائر وبالخصوص شعيرة المشي رغم وجود إمكانية الاختلاط وما يكتنفه من سلبيات يفترضها المانع من المشي ـ كما هو الحالة الطبيعية لكل اختلاط ـ يشعر بأن الشعائر أهم ملاكاً من الضرر الشخصي أو حصول بعض السلبيات التي هي حالة طبيعية لكل اختلاط، وهذا لا يعني أن نحكم بمبررية هكذا سلبيات أو محرمات، بل هي باقية على حرمتها، وإن مرتكبها ربما يكون قد تحمل وزراً آخر غير وزر المخالفة في بقية الأوقات، ولكن هذا لا يبرر منع هكذا طاعات ذات ملاكات عالية وفوائد معنوية عظيمة بما كسبت أيدي البعض من المخالفات المزعومة، ولعمري ان فوائد الزيارة والمشي لها لهي من اعظم النعم على المؤمنين والمؤمنات اجرا واصلاحا وتوفيقا وطاعة ومولاة لإل محمد صلوات الله عليهم اجمعين، وهي من اعظم سبل التربية والتمهيد لظهور صاحب الامر كما بينت في بحث مستقل[١] بل هي من اعظم سبل الإصلاح الأخلاقي والاجتماعي والتربوي والثقافي والسياسي كما فصلت ذلك في بحث مستقل لم ير النور بعد.

النتيجة:

النتيجة هو الحكم باستحباب مشي النساء إلى كربلاء المقدسة وباقي المراقد المطهرة، وترتب الأجر والثواب على هذا المشي، وأنه كمشي الرجال إستحبابا واجرا ومشروعية، سواء كان من مكان قريب او من بعيد ـ كما هو صريح الروايات ـ وسواء كانت الذاهبة شابة او كبيرة في السن تمسكا باطلاق الروايات العامة والروايات الخاصة والسيرة الجارية واجماع الفقهاء.

نعم، يشترط أن يكون ذلك الخروج طبقاً للموازين الشرعية ومراعياً للحجاب

---

(١) دور زيارة الأربعين في صناعة الشخصية المهدوية مجلة الموعود العدد ٤.

والستر التام، والابتعاد عن الاختلاط إذا اكتنفته بعض المحرمات، وأخذ إذن الزوج بالنسبة للمتزوجات، وعدم الخروج في حال تحقق أذى أو حصول نهي الوالدين بالنسبة لغير المتزوجات.

والأفضل إن لم يكن واجباً أحيانا مراعاة المرأة للآداب العامة التي تحفظ حشمتها أكثر، كالابتعاد عن الرجال لمسافة، ولبس النقاب ـ مثلاً ـ وعدم التكلم بصوت عال، والمحافظة على الوقار والسكينة والمشي بهدوء وتجنب مواطن الشبهات، وان تسعى المؤمنات جاهدات في اسعاد السيدة الزهراء ـ كما عبرت الرواية ـ بزيارة الحسين عليه السلام وهي بتمام وقارها وعفتها والتزامها وان لا تغضب الزهراء وتحزنها بفعل ما يشين او يذهب بكرامتها وسمعتها او ما يعطي مبررا لنيل الاعداء من تلك الشعيرة المقدسة او لقيام البعض من التشكيك فيها او الطعن وبذلك يحققن بعض مراتب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وقى الله المؤمنات من مصائد شياطين الجن والانس، ودفع شبهات المشككين والمانعين من صلة ال البيت عليهم السلام وخصوصا الامام الحسين عليه السلام، هدانا الله لحب الحسين ولزيارته ورزقنا شفاعته... والحمد لله أولا واخرا.

البحث الخامس:

دور الزيارة الاربعينة في الاصلاح

المقدمة:

كانت ومازالت الثورة الحسينية ثورة الاصلاح الاكبر لا عند اتباع مذهب اهل البيت عليهم السلام بل عند احرار العالم اجمع، فمع مرور ما يقارب (١٤) قرنا مازالت شعلتها الوقادة تلهب في قلوب المؤمنين خاصة والاحرار عامة، ومازالت التضحية التي رسمها الحسين في عاشوراء هو واله وصحبة تنير درب الثور وتشحذ الهمم في كل بقاع الارض.

فكان الجود بالنفس سمة النصر الحسيني واصبح هذا الدم الطاهر مادة السقاء لشجرة التحرر والفداء والتضحية من اجل العدل والاصلاح والنهوض والإباء.

ومن عظمة هذه الثورة وديموميتها ان ولدَت مظاهرا وشعائر اضافت اصلاحا وتوعية الى الاصلاح الذي ولدته اصل الثورة، وهذا ما لا نجده في غيرها.

فكان عنصر الخلود والتجدد والمعاصرة مميزة لثورة الحسين عليه السلام كما ورد في الرواية عن جده العظيم: (ان لمقتل ولدي الحسين حرارة في قلوب المومنين لن تنطفئ الى يوم القيامة).

فبعد ان انحرفت الامة عن مسارها اراد الحسين بدمه ومهجته ان يوقظ الامة مما هي عليه. وهذا اشار اليه في مقولته المشهورة: «**أَنِّي لَمْ أَخْرُجْ أَشِراً وَلَا بَطِراً وَلَا مُفْسِداً**

وَلَا ظَالِماً وَإِنَّمَا خَرَجْتُ لِطَلَبِ الإِصْلَاحِ فِي أُمَّةِ جَدِّي ﷺ أُرِيدُ أَنْ آمُرَ بِالمَعْرُوفِ وَأَنْهَى عَنِ المُنْكَرِ وَأَسِيرَ بِسِيرَةِ جَدِّي وَأَبِي عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ﷺ فَمَنْ قَبِلَنِي بِقَبُولِ الحَقِّ فَاللهُ أَوْلَى بِالحَقِّ وَمَنْ رَدَّ عَلَيَّ هَذَا أَصْبِرُ حَتَّى يَقْضِيَ اللهُ بَيْنِي وَبَيْنَ القَوْمِ بِالحَقِّ وَهُوَ خَيْرُ الحَاكِمِينَ».[١]

وهذا الاصلاح الذي استهدفه الامام الحسين هو الاصلاح العام الشامل لكل النواحي سواء كانت دينية او فكرية او أيديولوجية او تربوية او سياسية.

فهو لم يستهدف الاصلاح والامر بالمعروف والنهي عن المنكر في الممارسات الفردية فحسب كما هو الاكثر شياعا بل استهدف ما هو اكبر واعظم وهو الاصلاح والامر بالمعروف والنهي عن المنكر الجماعي.

فكما ان هناك منكرا فرديا ومعروفا فرديا كذلك هناك منكر جماعي ومعروف جماعي قد يمارسه جماعة سياسية فيكون منكر سياسي او جماعة اقتصادية فيكون منكر اقتصادي او جماعة تربوية او فكرية او اعلامية.. الخ.

ونستطيع القول ان العملية الاصلاحية التي كان يستهدفها الحسين ليس اصلاح الاوضاع في زمانه فحسب بل الاصلاح في كل الازمنة، بل لعل الاصلاح في كل الازمنة كان هو المستهدف لمعرفته ﷺ ان اهل زمانه غير قابلين للاصلاح كما اشار في خطبته حيث قال «وَيْلَكُمْ مَا عَلَيْكُمْ أَنْ تُنْصِتُوا إِلَيَّ فَتَسْمَعُوا قَوْلِي وَإِنَّمَا أَدْعُوكُمْ إِلَى سَبِيلِ الرَّشَادِ فَمَنْ أَطَاعَنِي كَانَ مِنَ المُرْشَدِينَ وَمَنْ عَصَانِي كَانَ مِنَ المُهْلَكِينَ وَكُلُّكُمْ عَاصٍ لِأَمْرِي غَيْرُ مُسْتَمِعٍ قَوْلِي فَقَدْ مُلِئَتْ بُطُونُكُمْ مِنَ الحَرَامِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيْلَكُمْ أَ لَا تُنْصِتُونَ أَ لَا تَسْمَعُونَ»[٢]

---

(١) بحار الأنوار: ج٤٤، ص٣٢٩.

(٢) بحار الأنوار: ج٤٥، ص٨.

توطئة:

ان هناك مظاهر عديدة وصور متنوعة للإصلاح في شعائر الحسين عليه السلام منها مظهر الخطابة الحسينية والشعر الحسيني وغيرهما، ولعل الزيارة الحسينية من اهم تلك المظاهر الاصلاحية خصوصا الزيارات المليونية الراجلة.

وانموذجنا في هذه الكلمات زيارة الاربعين المليونية العالمية المباركة، حيث اصبحت تلك الزيارة مظهرا عالميا ورسالة كبرى في الاصلاح بكل نواحيه، وهنا نقف بصورة مختصرة على مفردة الاصلاح فحسب تاركين فوائد الزيارة الاخرى دفعا للاطالة ولكي لا نخرج من هدف البحث.

ونطرح ذلك في محاور هذا مجملها:

الاول: الاصلاح المعنوي والروحي.

الثاني: الاصلاح الاقتصادي.

الثالث: الإصلاح التعبوي.

الرابع: الاصلاح الاجتماعي.

الخامس: الاصلاح الفكري والعلمي.

السادس: الاصلاح الامني.

السابع: الاصلاح الاخلاقي.

الثامن: الاصلاح العسكري.

التاسع: الاصلاح الاعلامي.

العاشر: الاصلاح التكافلي.

الحادي عشر: الاصلاح السياسي.

الثاني عشر: الاصلاح التمريني والتدريبي.

المحور الأول: الاصلاح المعنوي والروحي

من اهم ما يساهم في الإصلاح الفردي والاجتماعي هو بناء شخصية معنوية وروحية لدى المؤمن تؤهله للقيام بوظيفته الشرعية على اتم وجه تجاه ربه ونفسه ومجتمعه، وهناك آليات عديدة لبناء الشخصية الاسلامية عموما ولعل اهم تلك الاليات هو اتخاذ القدوة الحسنة والسير على نهجها والتزود بالعلم والمعرفة وغيرها، وبناء هكذا شخصية يجعل الانسان قويا عند الشدائد صبورا عند النوائب عزيزا يأبى الذل شجاعا لا يعرف الجبن صادقا لا يكذب امينا لا يخون... الخ.

ومن الآليات المهمة ايضا هو انتهاج السلوك العبادي واتخاذه وسيلة للتقرب لله وبناء ملكات وفضائل وكسر الشهوات ومحو الرذائل، فالصلاة مثلا لها اثارها المعنوية الكبيرة كما نطقت الآيات والروايات، فهي تعطي حصانة للإنسان عن الوقوع في الفحشاء والمنكر ـ ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر[١] ـ وهي وسيلة للتقرب للساحة الالهية والابتعاد عن الخطط الشيطانية ـ الصلاة قربان كل تقي[٢] ـ وهي سبيل للعروج الى الرب ـ الصلاة ميزان امتي[٣] ـ الى غير ذلك من الاثار.

وهكذا الصوم والحج والجهاد واداء الحقوق الشرعية وغيرها كل له اثاره وبناءه لشخصية الانسان المومن وتربيتها تربية اسلامية.

وزيارة الاربعين ـ وبالخصوص مشيا ـ تمثل ممارسة عبادية متنوعة وطويلة الامد زمانا ومسافة ـ تشابه الى حد ما موسم الحج من حيث التنوع العبادي والجهد المعنوي والتعبوي، فيمارس فيها مجموعة من العبادات كالزيارة والصلاة ـ وخصوصا صلاة الجماعة ـ والتسبيح

---

(١) العنكبوت ٤٥

(٢) الكافي ج ٣ ص ٢٦٥.

(٣) الجعفريات ص ٣٣.

والوعظ والارشاد والامر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعاء والمشي ـ بناء على عباديته كما هو الصحيح ـ وغيرها.

وهذه الممارسات العبادية المتنوعة تخلق ـ خصوصا مع طول امدها واستمراريتها ـ جوا روحيا عاليا من خلال ما يحصده المؤمن من حسنات ومحو للسيئات ورفع للدرجات وتوطين النفس على الصعوبات، وخصوصا المشي مع تحمل المتاعب والحر والبرد وتورم الاقدام وتغير اللون وذبول الشفاه والجوع والخوف ـ كما في زمن الطغاة ـ وغيرها من الصعوبات.

وهذا يخلق شخصية دينية صلبة الايمان كي تكون مؤهلة لممارسة دورها الشرعي.

بعض روايات المشي واجرها:

لذا وردت روايات في المشي واهميته العبادية نذكر منها وهي مستفيضة بل متواترة وفيها الصحاح فلا حاجة لبحث سندها، منها:

١ ـ عن ابى الصامت قال سمعت ابا عبد الله عليه السلام يقول: «**مَنْ أَتَى قَبْرَ الْحُسَيْنِ عليه السلام مَاشِياً كَتَبَ اللهُ لَهُ بِكُلِّ خُطْوَةٍ الفَ حَسَنَةٍ وَمَحَا عَنْهُ الفَ سَيِّئَةٍ وَرَفَعَ لَهُ الفَ دَرَجَةٍ...**»[1].

٢ـ عن على بن ميمون الصائغ عن ابي عبد الله عليه السلام قال: «**يَا عَلِيُّ زُرِ الْحُسَيْنَ وَلَا تَدَعْهُ قَالَ قُلْتُ مَا لِمَنْ أَتَاهُ مِنَ الثَّوَابِ قَالَ مَنْ أَتَاهُ مَاشِياً كَتَبَ اللهُ لَهُ بِكُلِّ خُطْوَةٍ حَسَنَةً وَمَحَى عَنْهُ سَيِّئَةً وَرَفَعَ لَهُ دَرَجَةً فَإِذَا أَتَاهُ وَكَّلَ اللهُ بِهِ مَلَكَيْنِ يَكْتُبَانِ مَا خَرَجَ مِنْ فِيهِ مِنْ خَيْرٍ وَلَا يَكْتُبَانِ مَا يَخْرُجُ مِنْ فِيهِ مِنْ شَرٍّ وَلَا غَيْرَ ذَلِكَ فَإِذَا انْصَرَفَ وَدَّعُوهُ وَقَالُوا يَا وَلِيَّ اللهِ مَغْفُوراً لَكَ أَنْتَ مِنْ حِزْبِ اللهِ وَحِزْبِ رَسُولِهِ وَحِزْبِ أَهْلِ بَيْتِ رَسُولِهِ وَاللهِ لَا تَرَى النَّارَ بِعَيْنِكَ أَبَداً وَلَا تَرَاكَ وَلَا تَطْعَمُكَ أَبَداً**»[2].

---

(١) كامل الزيارات ص ١٣٢

(٢) المصدر السابق.

٣ ـ عن بشير الدهان عن ابي عبد الله عليه السلام: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَخْرُجُ إِلَى قَبْرِ الْحُسَيْنِ عليه السلام فَلَهُ إِذَا خَرَجَ مِنْ أَهْلِهِ بِأَوَّلِ خُطْوَةٍ مَغْفِرَةُ ذُنُوبِهِ ـ ثُمَّ لَمْ يَزَلْ يُقَدَّسُ بِكُلِّ خُطْوَةٍ حَتَّى يَأْتِيَهُ فَإِذَا أَتَاهُ نَاجَاهُ اللهُ تَعَالَى فَقَالَ عَبْدِي سَلْنِي أُعْطِكَ ادْعُنِي أُجِبْكَ اطْلُبْ مِنِّي أُعْطِكَ سَلْنِي حَاجَةً أقضيها».[١]

وغيرها.

فالروايات واضحة في دور المشي لزيارة الحسين عليه السلام في البناء المعنوي وتحصيل الاجر الرافع للدرجات وهو مما تحتاجه كل مؤمن لتحقيق سعادة الدارين.

المحور الثاني: الاصلاح الاقتصادي

ان القوة الاقتصادية وتامين الوضع المالي من اهم مقومات نجاح الامم والحركات بعد الموارد البشرية، وكذلك معرفة كيفية ادارة المال وعدم الاسراف به والتبذير وحسن الاقتصاد بالصرف يشكل قوامة اقتصادية اخرى.

فالمال والاقتصاد له أهمية في البناء الاجتماعي والفردي ودوره مهم في خلق حياة سعيدة واسرة صالحة وحياة آمنة ـ كونه احد مقوماتها ـ ولا يعني ذلك انه علة تامة لتلك الامور بل قد يكون وبالا على الانسان اذا لم يحسن التصرف، فهو سلاح ذو حدين.

والقران في اللحظة التي يبين ان المال زينة ـ المال والبنون زينة الحياة[٢] ـ يبين ان المال فتنة ـ انما اموالكم واولادكم فتنة[٣] ـ فهو زينة ومفاد ايجابي اذا صانه ووضعه في موضعه واتخذه وسيلة للأخرة وكفى به نفسه وعياله ومجتمعه وامته الاسلامية وقضى

---

(١) المصدر السابق.

(٢) الكهف ٤٦.

(٣) الانفال ٢٨.

حوائجهم، وهو فتنة وعذاب اذا ما ضيعه وبذره وجعله وسيلة للدنيا والشهوة والحرام وانتهاك الاعراض وقتل النفوس. وكذلك الروايات بينت هذه الحقيقة ومدحت المال مع الدين وذمت المال اذا كان وسيلة للعصيان ووازنت بين النظرتين.[١]

ومن الممارسات الايجابية للمال والاقتصاد هو ما تقوم به الجموع المؤمنة من ممارسات عبادية في الاربعين وتوظيف القوة المالية في احياء هذه المناسبة ـ من خلال الصرف المالي على المواكب واطعام الاطعام الذي تمارسه المواكب لملايين الزائرين ـ تمثل قوة اقتصادية كامنة في الامة الحسينية، فلا ميزانية مالية ولا دعم دولة ولا حزب وانما هي تمويل من شعب الحسين لزوار الحسين، وهذا التمويل الهائل ما هو الا ممارسة وتدريب اقتصادي على الصرف المالي المنضبط الذي يمارسه الحسينيون لتحقيق الإصلاح الاقتصادي في الحياة الفردية والاجتماعي

وهذه الممارسة والاستعداد للصرف بل والصرف الفعلي لم يكن لولا هذه الزيارة المباركة، خصوصا وان بعض المؤمنين يقاسم زوار الحسين قوت عياله ومونته السنوية لكي ينفقها في موسم الزيارة بل بعضهم ـ كما سمعت ورأيت بأم عيني ـ يبيع بيته او سيارته ويشتري ما هو اقل منهما اذا لم يكف ما جمعه للموسم.

فهكذا عمل يصدر من هكذا شعب حسيني يؤهلهم لتكوين مجتمع ملتزم وواع يقود الامة الى بر الامان ويبني اقتصادا رصينا يكف حاجة الامة.

المحور الثالث: الاصلاح التعبوي

من المفاهيم المهمة في عالم الدعوة وتجميع الجماهير والانصار هو مفهوم التعبئة وهي قوة شعبية كامنة او ظاهرة لها حضورها في كل نواحي الحياة لخدمة قضية ما تهم الوطن

(١) راجع بحار الانوار ج ٦٩ ص ٥٧ وما بعدها حيث وازن بين اشكالية كون المال فتنة وكونه زينة.

او المواطن، وهي على انواع فقد تكون تعبئة عسكرية او اعلامية او اجتماعي او غيرها.

ومن اهم انواعها هو التعبئة الاجتماعية وهي تحريك واستنفار المجتمع بكل قطاعاته للمشاركة الإيجابية لتحقيق الأهداف المطلوبة. ولا بد أن تشمل التعبئة الاجتماعية جميع قطاعات المجتمع من المسؤولين الرسميين والسياسيين، قادة الرأي، القادة المحليين وجموع المواطنين (نساء، رجال، بل الأطفال من مدارسهم).

وهذا ما يحصل فعلا في زيارة الاربعين فان هناك تعبئه جماهيرية عامة لتحقيق هدف ديني هام في حياة الفرد والمجتمع.

فمن اهم ما تحتاجه كل دعوة سماوية اكانت ام ارضية هو وجود قوة معنوية او مادية او شخصية قيادية تمتلك (كاريزما) عالية تستطيع ان تخلق جمهورا واتباعا من خلال التعبئة الجماهيرية الواسعة التي تقدم الولاء والخدمة مجانا وبلا مقابل.

والذي يلاحظ زيارة الاربعين لا يجد اي مجهود في التعبئة الجماهيرية بل الجمهور مقبل على الزيارة وعلى الخدمات بلا نظير بل كثير من الجماهير ينفق اموالا وجهدا مضاعفا في تلك الايام ويبتهج بذلك الصرف وبهذا الجهد.

وهذا العمل التطوعي العظيم لا تجد له نظير في كل العالم وهو مفخرة يتميز بها اتباع ال البيت عليهم السلام وهو من ثمرات الثورة الحسينية الخالدة.

فدور زيارة الاربعين في تعبئة المؤمنين لاي طارئ واضحة وفعالة من خلال الحرارة التي تكونت في قلبهم بمقتل الحسين عليه السلام.

المحور الرابع: الاصلاح الاجتماعي

من اهم ما يميز المجتمع الناجح والصالح هو قوة الترابط الاجتماعي بين افراده وعملهم

كخلية النحل الواحدة لإنجاز مهامهم المناطة بهم، مما يساعد على البناء السليم لكل مفاصل الحياة سواء كانت فردية او اجتماعية ويساعد على ان ينال كل فرد فرصته في الحياة.

لذا نجد الروايات اهتمت كثيرة بالترابط الاجتماعي بين كل افراد المجتمع سواء كانوا من الارحام ام لا، ومن هذه الروايات:

عن مرازم قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «**عليكم بالصلاة في المساجد وحسن الجوار للناس وإقامة الشهادة وحضور الجنائز، إنه لا بد لكم من الناس إن أحداً لا يستغني عن الناس حياته والناس لا بد لبعضهم من بعض**»[١]

وعن حبيب الخثعمي قال: «**سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «عليكم بالورع والاجتهاد واشهدوا الجنائز وعودوا المرضى واحضروا مع قومكم مساجدكم وأحبوا للناس ما تحبون لأنفسكم أما يستحيي الرجل منكم أن يعرف جاره حقه ولا يعرف حق جاره**»[٢]

وعن زيد الشحام عن ابي عبد الله: «**... صلوا عشائركم واشهدوا جنائزهم وعودوا مرضاهم، وأدوا حقوقهم، فإن الرجل منكم إذا ورع في دينه وصدق الحديث وادي الأمانة وحسن خلقه مع الناس قيل هذا جعفري فيسرني ذلك ويدخل علي منه السرور...**».[٣]

الى غيرها من الروايات وآداب التعاشر والترابط الاجتماعي[٤].

وبالمقابل من اهم ما يدمر المجتمع هو كثرة النزاعات والخلافات والتحزبات وتحوله الى شيع يتلاعب به الظلمة ـ ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلاَ فِي الأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعاً يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾[٥] ـ وهذه سنة قائمة يتخذها

---

(١) الكافي ج٢ ص ٦٣٥.

(٢) المصدر والصفحة

(٣) المصدر ص ٢٣٦

(٤) راجع آداب العشرة في الوسائل او غيرها من الموسوعات الحديثية.

(٥) القصص ٤.

الظالمون لأضعاف المجتمع.

كما ان التنازع سببا واضحا لهدر الطاقات وضياع الفرص والتراجع الفردي والاجتماعي على كل المستويات.

لذا يحرص علماء الاجتماع في البلدان على خلق جو اجتماعي بين افراد مجتمعاتهم بعيدا عن الخلافات والصراعات والشتات والحرص على خلق روح التعاون والمحبة وتقوية الروابط الاجتماعية والاسرية.

والذي يلاحظ الزيارة الاربعينية يرى قوة الترابط بين افراد الزائرين كبارا وصغارا رجالا ونساء اثرياء وفقراء رؤساء ومرؤوسين، فلا تميز بين غني او فقير ولا بين مشهور او مغمور... الخ.

فالكل سواسية بل في بعض الاحيان ينقلب الميزان وترى الكبير يخدم الصغير او المشهور يخدم المغمور او الرئيس يخدم المرؤوس وهكذا.

فترى الترابط الاجتماعي بأعلى صورة وبأجمل ما يكون، وكأنك تسير في مجتمع ملائكي وهذا البناء انما هو بناء نابع من هذه الزيارة المباركة.

وهذا الترابط الاجتماعي ليس بين مدينة ومدينة بل بين دولة ودولة بل بين دول ودول وشعوب وشعوب، فان هناك جماهير من عشرات الدول تلتقي فيما بينها فتكون اواصر ووشائج قوية.

وهذا فضلا عن ان هناك حواجز اجتماعية ونفسية وثقافية بين شعوب بعض البلدان والبلدان الاخرى بسبب حروب او غيرها، ولكننا نراها قد ذابت بسبب هذا الملتقى العام الحاصل في زيارة الاربعين.

فزيارة الاربعين تجعل الترابط الاجتماعي ليس بين ابناء بلد ما فحسب بل بين

الشعوب والبلدان الاخرى مما يعزز خلق نسيج اجتماعي كبير يربط دولا وشعوبا فيما بينها بالرغم من اختلافها باللغة او اللون او الثقافة او غيرها لخلق مجتمع صالح ومصلح.

ان زيارة الاربعين تلغي الطبقية وتلغي القطرية وتلغي العرقية وتلغي القومية وتلغي العنصرية وتخلق مجتمع مترابط يرتبط بمنقذ عالمي اسمه المهدي عجل الله فرجه.

فزيارة الاربعين تعمق الوجود التعارفي الذي خلق له الانسان كما عبرت الاية: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[1]

ان زيارة الاربعين فرصة كبيرة للانفتاح الحضاري بين امة الايمان ومجال لحوار الحضارات على اسس دينية تدعونا الى الانتظار للامام والاعداد له كل من دولته ولغته وعرقه وقوميته، فيكون ذلك تمهيد ودعوة الى عالمية الامام الحجة عليه السلام أيضا فضلا عن الإصلاح الاني.

المحور الخامس: البناء الفكري والعلمي

ان تحصين الامة فكريا وعلميا من اهم الواجبات التي تقع على عاتق المؤسسات الدينية، ولعل تسويق المعلومة الى الجمهور يعد من اهم المشكلات التي تواجه المبلغ.

لذا يجب علينا استثمار المواسم التي يسهل فيها تسويق المعلومات الى الجمهور، والمتابع لسيرة النبي وال البيت عليهم السلام يرى انهم يدأبون على استثمار المواسم العبادية لإيصال صوتهم للجماهير كما في مواسم الحج والعمرة وصلاة العيد والجمعة والجماعة والمجالس والمآتم الحسينية.

---

(١) الحجرات ٢٦

لذا كانت لهم خطب وكلمات ومواقف في تلك المواسم سجلها التاريخ ونقلتها الاحاديث.

ولعل شعائر الحسين عليه السلام عموما وزيارة الاربعين خصوصا من اهم ما يسوق المعلومات الدينية للجمهور في هذه الايام.

ان خلق مجتمع متعلم على سبيل النجاة يعد من اهم ركائز البناء الديني للفرد والمجتمع بل هو قوام للدين والدنيا، كما ورد عن امير المومنين: (قوام الدين والدنيا باربعة عالم مستعمل علمه وجاهل لا يستنكف ان يتعلم...)[١].

ومن جملة البناء الديني المهم في للمومن هو بنائه على كافة الأصعدة عقيدة وفقها واخلاقا وذلك من خلال استثمار ذلك الموسم لتبليغ تلك العلوم للناس وتعريفهم بتفاصيلها وتحصينهم فكريا ضد الدجالين والمدعين والمشوهين.

فيكون موسم الزيارة موسم تبليغ وترويج وتطبيق للدين والتدين، ويقع هذا التبليغ على عاتق الجميع ـ خصوصا اهل التخصص الديني كطلبة العلوم ـ من خلال المحاضرات والارشادات والنشرات والكتب وغيرها.

المحور السادس: الاصلاح الامني

تشكل الحصانة الامنية للشعوب والدول ركيزة اساسية في البناء السليم لها ودفع المخاطر عنها، لذلك تقاس قوة الدول وقدرتها على مقاومة المخاطر بقوة نظامها الامني العام.

ان التحصين الامني يعد اليوم من اهم مقومات النجاح لاي حركة تريد الاصلاح

---

(١) جامع احاديث الشيعة ج ١٣ ص ٥٤٠.

والتغيير، وهذا التحصين الامني لا ينفع كثيرا اذا لم يخرج من النظرية الى التطبيق فلا يكتفى بمعرفة البناء الامني والمباني الامنية من دون ان تحول تلك المعرفة الى تطبيق عملي على ارض الواقع.

وال البيت عليهم السلام جعلوا نظاما امنيا كبيرا ـ يستحق دراسات مستقلة ـ في كيفية التعامل مع الصديق والعدو، ولعل اهم مفاصلة روايات التقية[١] وروايات كشف الاسرار والاذاعة[٢]، فهي تؤسس لنظام امني مركز في التعامل العام وكيفية تحصين الامة المؤمنة.

وزيارة الاربعين هي بناء وتدريب أمني معمق لعموم المكلفين وبالأخص لأصحاب المسؤولية في المواكب والزيارة.

فهم يعملون على عدم السماح بالاختراق لأي شخص غريب او غير معرف سواء داخل الموكب او اثناء المسير او ممن يوزع الطعام او غيرها من الخدمات، وحتى من يشتبه به يبقى تحت المراقبة والاختبار حتى يرفع اللبس عنه ويتبين امره.

وهذا ملاحظ بشكل كثير خصوصا من له تجربة عملية مع اصحاب المواكب والخدمات والزائرين، فهم يلاحظون حركات وتصرفات وسكنات الزائر وتوجهاته وحتى كلامه ومواقفه، ويسهرون الى الصباح للحفاظ على امن الزائر وممتلكاته وحرمته. خصوصا امن الزائرات المؤمنات، لذا ترى ان المرأة تعيش ايام الزيارة حالة من الامن من كل النواحي فلا تخاف على عرضها ولا على مالها ولا على حياتها ما دامت سائرة في هذا الطريق المبارك، وحتى الزائرات الاجنبيات عن العراق يسرن لوحدهن بل احيانا امرأة منفردة لوحدها تسير بلا خوف.

---

(١) وسائل الشيعة ج ١٦ ص ٢٠٣.

(٢) المصدر ص ٢٤٧.

وهذا كله بسبب النظام الامني العالي الذي يكتنف الزيارة، وهو يفوق اي نظام امني في العالم وفي اعظم الدول الامنية، فلا تجد مشاكل ولا تعديا ولا غير ذلك وهذا لا يحصل في اعظم المجتمعات بسبب الاحتكاك والاختلاط.

وفي هذا الصدد نقل لي احد اساتذتي عن احد السياسيين العراقيين ان احد القادة الامنيين الامريكيين رأى زيارة الاربعين - ابان الاحتلال الامريكي للعراق - وان هذا الامريكي كان يقول: (اني اتعجب من الشعور بالأمن طوال زيارة الاربعين وعدم وجود المشاكل بين الزائرين وعدم التعدي على حرمة الزائرات طوال وقت الزيارة، والحال اننا في امريكا لو اصبح خلل في الطاقة الكهربائية في واشنطن او نيويورك لكانت مئات حالات الاغتصاب والتعدي والسرقة والخ، ثم قال لي اي شخص ربى هكذا مجتمع ؟ فقلت ان الذي رباه شخص اسمه الحسين).

فهذا البناء العملي الامني يعطينا دروسا عملية تنفعنا كثيرا في مجالات الحياة والإصلاح.

المحور السابع: الاصلاح الاخلاقي

من اهم المبادئ التي ركز عليها التشريع هو خلق ملكات اخلاقية وصفات نفسانية في الفرد والمجتمع، وقد دأب المشرع على التنظير لذلك بعشرات الآيات ومئات الروايات من جهة وارسل ائمة وانبياء بمكارم الاخلاق العظيمة عمليا من جهة اخرى.

وزيارة الاربعين تعتبر من الدروس الاخلاقية العملية التي تكون ملكات اخلاقية من جهة وتكشف عمليا عن مستوانا الاخلاقي ودرجته من جهة اخرى.

ففي زيارة الحسين مشيا عدة معطيات اخلاقية نذكرها اجمالا:

١ـ **الصبر:** فان الصبر قيمة اخلاقية عالية اكدت عليها الآيات والروايات واليك جملة منها:

اما الايات كما في قوله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الخَوْفِ وَالجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الأَمْوَالِ وَالأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ المُهْتَدُونَ﴾[١]

اما الروايات: فنمها:

ما عن أَبِي بَصِيرٍ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ الله عليه السلام يَقُولُ: «... **الصَّبْرُ يُعْقِبُ خَيْراً فَاصْبِرُوا وَوَطِّنُوا أَنْفُسَكُمْ عَلَى الصَّبْرِ تُوجَرُوا**»[٢]

وعن حَمْزَةَ بْنِ حُمْرَانَ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ «**الجَنَّةُ مَحْفُوفَةٌ بِالمَكَارِهِ وَالصَّبْرِ فَمَنْ صَبَرَ عَلَى المَكَارِهِ فِي الدُّنْيَا دَخَلَ الجَنَّةَ وَجَهَنَّمُ مَحْفُوفَةٌ بِاللَّذَّاتِ وَالشَّهَوَاتِ ـ فَمَنْ أَعْطَى نَفْسَهُ لَذَّتَهَا وَشَهْوَتَهَا دَخَلَ النَّارَ**»[٣]

وعن أَبِي سَيَّارٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ الله عليه السلام قَالَ «**إِذَا دَخَلَ المُؤْمِنُ فِي قَبْرِهِ كَانَتِ الصَّلَاةُ عَنْ يَمِينِهِ وَالزَّكَاةُ عَنْ يَسَارِهِ وَالبِرُّ مُطِلٌّ عَلَيْهِ وَيَتَنَحَّى الصَّبْرُ نَاحِيَةً فَإِذَا دَخَلَ عَلَيْهِ المَلَكَانِ اللَّذَانِ يَلِيَانِ مُسَاءَلَتَهُ قَالَ الصَّبْرُ لِلصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالبِرِّ دُونَكُمْ صَاحِبَكُمْ فَإِنْ عَجَزْتُمْ عَنْهُ فَأَنَا دُونَهُ**»[٤]

فتبين ان الصبر له قيمة معنوية عالية ولها اجر عظيم واثر بالغ في الدنيا والبرزخ والاخرة.

---

(١) البقرة ١٥٥ ـ ١٥٧.

(٢) الكافي ج ٢ ص٨٩

(٣) المصدر والصفحة.

(٤) المصدر ص ٩٠.

والمشي في الاربعين وتحمل عناء السفر ووعثائه وما يحدث من صعاب لهو من المصاديق الواضحة للصبر وخصوصا المشي من اماكن بعيدة مع كثرة الزحام والابتلاءات.

فزيارة الاربعين تعطينا دروسا عملية في الصبر على ما نكره من تحمل الاذى او الجوع او الالم او غيرها والصبر على ما نحب من طاعات.

٢ ـ **التواضع**: ان سمة التواضع من اهم سمات وفضائل المؤمن، وهي تقع في قبال رذيلة التكبر، وقد وقع التواضع موضوعا للمدح في العديد من الآيات والروايات.

فمن الايات: قوله تعالى: ﴿وَ عِبَادُ الرَّحْمٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْناً وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الجَاهِلُونَ قَالُوا سَلاَماً﴾[١] وقوله تعالى: ﴿وَ اخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[٢]

ومن الروايات نذكر رواية واحدة: فى مستدرك الوسائل عن مِصْبَاحُ الشَّرِيعَةِ، قَالَ الصَّادِقُ عليه السلام: «التَّوَاضُعُ أَصْلُ كُلِّ شَرَفٍ وَخَيْرٍ وَنَفِيسٍ وَمَرْتَبَةٍ رَفِيعَةٍ وَلَوْ كَانَ لِلتَّوَاضُعِ لُغَةٌ يَفْهَمُهَا الخَلْقُ لَنَطَقَ عَنْ حَقَائِقِ مَا فِي مَخْفِيَّاتِ العَوَاقِبِ وَالتَّوَاضُعُ مَا يَكُونُ للهِ وَفِي الله وَمَا سِوَاهُ مَكْرٌ وَمَنْ تَوَاضَعَ للهِ شَرَّفَهُ الله عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ وَلِأَهْلِ التَّوَاضُعِ سِيمَاءُ يَعْرِفُهَا أَهْلُ السَّمَاوَاتِ مِنَ المَلَائِكَةِ وَأَهْلُ الأَرْضِ مِنَ العَارِفِينَ قَالَ الله عَزَّ وَجَلَّ ﴿وَ عَلَى الأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ﴾ وَقَالَ أَيْضاً ﴿مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ﴾ الآيَةَ وَأَصْلُ التَّوَاضُعِ مِنْ إِجْلَالِ الله وَهَيْبَتِهِ وَعَظَمَتِهِ وَلَيْسَ للهِ عَزَّ وَجَلَّ عِبَادَةٌ يَقْبَلُهَا وَيَرْضَاهَا إِلَّا وَبَابُهَا التَّوَاضُعُ وَلَا يَعْرِفُ مَا فِي مَعْنَى حَقِيقَةِ التَّوَاضُعِ إِلَّا المُقَرَّبُونَ مِنْ عِبَادِهِ المُتَّصِلُونَ بِوَحْدَانِيَّتِهِ قَالَ الله عَزَّ وَجَلَّ ﴿وَ عِبَادُ الرَّحْمٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْناً وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَاماً﴾ وَقَدْ أَمَرَ الله عَزَّ وَجَلَّ أَعَزَّ خَلْقِهِ وَسَيِّدَ بَرِيَّتِهِ مُحَمَّداً صلى الله عليه وآله

---

(١) الفرقان ٦٣

(٢) الحجر ٨٨

بِالتَّوَاضُعِ فَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ وَالتَّوَاضُعُ مَزْرَعَةُ الْخُشُوعِ وَالْخُضُوعِ وَالْخَشْيَةِ وَالْحَيَاءِ وَإِنَّهُنَّ لَا يَنْبُتْنَ إِلَّا مِنْهَا وَفِيهَا وَلَا يَسْلَمُ الشَّوْقُ التَّامُّ الْحَقِيقِيُّ إِلَّا لِلْمُتَوَاضِعِ فِي ذَاتِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى»[١]

وفي المشي الى كربلاء يمر الماشي بتمارين واضحة في التواضع والبساطة، فقد يبات على فراش غير لائق او يأكل اقل قليل او يمشي في الطرق الوعرة او يخدم غيره من الزوار او يبتدأ بالسلام على من يلاقيه، وهذه كلها من علامات التواضع كما في الرواية، ففى مشكاة الأنوار قَالَ رَسُولُ الله ﷺ «مِنْ رَأْسِ التَّوَاضُعِ أَنْ تَبْدَأَ بِالسَّلَامِ عَلَى مَنْ لَقِيتَ وَتَرُدَّ عَلَى مَنْ سَلَّمَ عَلَيْكَ ـ وَأَنْ تَرْضَى بِالدُّونِ مِنَ الْمَجْلِسِ وَلَا تُحِبَّ الْمِدْحَةَ وَالتَّزْكِيَةَ».[٢]

كما ان ما يقدمه اصحاب الموكب هو من اعظم صور التواضع فيقومون بفرش الفراش للزوار واطعامهم والسهر على خدمتهم وتوفير كل الامور لهم تواضعا لله وخدمة لعنوان قد تعنونوا به وهو عنوان زائر الحسين.

٣ ـ الايثار: من الكمالات التي تكشف عن رقي نفس الانسان اتصافه بالايثار و(هو تقديم الطرف الاخر لمصلحته وتفضيله على النفس مراعاة له وتقديمه بمادة (مال مثلا) او منفعة او حق من الحقوق)[٣].

وقد جاءت الايات والروايات مادحة لهذه الصفة.

فمن الايات: قوله تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ

(١) ج ١١ ص ٢٩٨

(٢) الطبرسي، مشكاة الأنوار في غرر الأخبار ص ٢٠٠

(٣) الايثار في النظومة الخلقية (العباس نموذجا)

الله وَاللهُ رَؤُفٌ بِالعِبادِ﴾.[١]

ومن الروايات: ما عن عَلِيِّ بْنِ سُوَيْدٍ السَّائِيِّ عَنْ أَبِي الحَسَنِ مُوسَى عليه السلام قَالَ: قُلْتُ لَهُ أَوْصِنِي فَقَالَ «آمُرُكَ بِتَقْوَى الله ثُمَّ سَكَتَ فَشَكَوْتُ إِلَيْهِ قِلَّةَ ذَاتِ يَدِي وَقُلْتُ وَالله لَقَدْ عَرِيتُ حَتَّى بَلَغَ مِنْ عُرْيِي أَنَّ أَبَا فُلَانٍ نَزَعَ ثَوْبَيْنِ كَانَا عَلَيْهِ فَكَسَانِيهِمَا فَقَالَ صُمْ وَتَصَدَّقْ فَقُلْتُ أَتَصَدَّقُ بِمَّا وَصَلَنِي بِهِ إِخْوَانِي وَإِنْ كَانَ قَلِيلًا قَالَ تَصَدَّقْ بِمَا رَزَقَكَ الله وَلَوْ آثَرْتَ عَلَى نَفْسِكَ».[٢]

عن أبان بن تغلب، قَالَ «كُنْتُ أَطُوفُ مَعَ أَبِي عَبْدِ الله عليه السلام فَعَرَضَ لِي رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِنَا كَانَ سَأَلَنِي الذَّهَابَ مَعَهُ فِي حَاجَةٍ فَأَشَارَ إِلَيَّ فَكَرِهْتُ أَنْ أَدَعَ أَبَا عَبْدِ الله عليه السلام وَأَذْهَبَ إِلَيْهِ فَبَيْنَا أَنَا أَطُوفُ إِذْ أَشَارَ إِلَيَّ أَيْضاً فَرَآهُ أَبُو عَبْدِ الله عليه السلام فَقَالَ يَا أَبَانُ إِيَّاكَ يُرِيدُ هَذَا قُلْتُ نَعَمْ قَالَ فَمَنْ هُوَ قُلْتُ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِنَا قَالَ هُوَ عَلَى مِثْلِ مَا أَنْتَ عَلَيْهِ قُلْتُ نَعَمْ قَالَ فَاذْهَبْ إِلَيْهِ قُلْتُ فَأَقْطَعُ الطَّوَافَ قَالَ نَعَمْ قُلْتُ وَإِنْ كَانَ طَوَافَ الفَرِيضَةِ قَالَ نَعَمْ قَالَ فَذَهَبْتُ مَعَهُ ثُمَّ دَخَلْتُ عَلَيْهِ بَعْدُ فَسَالتُهُ فَقُلْتُ أَخْبِرْنِي عَنْ حَقِّ المُؤْمِنِ عَلَى المُؤْمِنِ فَقَالَ يَا أَبَانُ دَعْهُ لَا تَرِدْهُ قُلْتُ بَلَى جُعِلْتُ فِدَاكَ فَلَمْ أَزَلْ أُرَدِّدُ عَلَيْهِ فَقَالَ يَا أَبَانُ تُقَاسِمُهُ شَطْرَ مَالِكَ ثُمَّ نَظَرَ إِلَيَّ فَرَأَى مَا دَخَلَنِي فَقَالَ يَا أَبَانُ أَ مَا تَعْلَمُ أَنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ قَدْ ذَكَرَ المُؤْثِرِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ قُلْتُ بَلَى جُعِلْتُ فِدَاكَ فَقَالَ أَمَّا إِذَا أَنْتَ قَاسَمْتَهُ فَلَمْ تُؤْثِرْهُ بَعْدُ إِنَّمَا أَنْتَ وَهُوَ سَوَاءٌ إِنَّمَا تُؤْثِرُهُ إِذَا أَنْتَ أَعْطَيْتَهُ مِنَ النِّصْفِ الآخَرِ»[٣]

وفى الاربعين نجد مصاديق الايثار واضحة فان تقديم الاخرين على النفس من اعظم ما يقوم به السائر الى الحسين والخادم في موكب الحسين فيقدم مصلحة الزائر على مصلحة

---

(١) الحشر ٩.

(٢) الكافي ج ٤ ص ١٨

(٣) المصدر ج ٢ ص ١٧١

نفسه وراحة الزائر على راحة نفسه وينفق من ماله لكي لا ينفق الزائر من ماله وهكذا، فيتعلم من الزيارة درسا عظيما وهو الايثار.

٤ـ **التضحية:** فان الماشي الى زيارة الحسين يقدم الجهد الجهيد والتضحية بماله او بوقته او بنفسه تضحيته منه لأجل هذه الشعيرة وهذا الدين، وفي ذلك تمرين على التضحية لأجل المبادئ والقيم السامية، وقد اشار الامام الصادق الى ذلك في دعائه لهم: «... **اغْفِرْ لِي وَلِإِخْوَانِي وَزُوَّارِ قَبْرِ أَبِيَ الْحُسَيْنِ الَّذِينَ أَنْفَقُوا أَمْوَالَهُمْ وَأَشْخَصُوا أَبْدَانَهُمْ رَغْبَةً فِي بِرِّنَا وَرَجَاءَ لِمَا عِنْدَكَ فِي صِلَتِنَا وَسُرُوراً أَدْخَلُوهُ عَلَى نَبِيِّكَ وَإِجَابَةً مِنْهُمْ لِأَمْرِنَا وَغَيْظاً أَدْخَلُوهُ عَلَى عَدُوِّنَا... وَأَعْطِهِمْ أَفْضَلَ مَا أَمَّلُوا مِنْكَ فِي غُرْبَتِهِمْ عَنْ أَوْطَانِهِمْ وَمَا آثَرُونَا بِهِ عَلَى أَبْنَائِهِمْ وَأَهَالِيهِمْ وَقَرَابَاتِهِم..**»[١]

٥ ـ **العفة:** من الصفات التي ركزت عليها الشريعة صفة العفة في البطن والفرج، بل وصفت العفة بانها من افضل العبادات، وجاءت النصوص مبينة لذلك:

فمن القران: قوله تعالى: ﴿**وَ الَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ...**﴾[٢] وقوله تعالى: ﴿**وَالحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالحَافِظَاتِ...**﴾[٣].

ومن الروايات: ما عَنْ المُفَضَّلِ قَالَ قَالَ أَبُو عَبْدِ الله عليه السلام «**إِيَّاكَ وَالسَّفِلَةَ فَإِنَّمَا شِيعَةُ عَلِيٍّ مَنْ عَفَّ بَطْنُهُ وَفَرْجُهُ وَاشْتَدَّ جِهَادُهُ وَعَمِلَ لِخَالِقِهِ وَرَجَا ثَوَابَهُ وَخَافَ عِقَابَهُ فَإِذَا رَأَيْتَ أُولَئِكَ فَأُولَئِكَ شِيعَةُ جَعْفَرٍ**»[٤].

فان الزيارة فيها نحو من انحاء الاختلاط وهو وجود الزائرات والزائرين في مكان

---

(١) المصدر ج ٤ ص ٥٨٢

(٢) المومنون ٥

(٣) الاحزاب ٣٥

(٤) الكافي ج ٢ ص ٢٣٣

واحد، وهنا تبرز العفة في التعامل مع الجنس الاخر من خلال غض البصر وحفظ اللسان وحفظ اليد والفرج عن التعدي، ومنع النظرات المحرمة والتزام الحجاب الشرعي والتعامل مع الاخر بانه من المحارم كما ورد في الروايات: صحيح صَفْوَانَ الجَمَّالِ قَالَ قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ الله عليه السلام قَدْ عَرَفْتَنِي بِعَمَلِي تَأْتِينِي المَرْأَةُ أَعْرِفُهَا بِإِسْلَامِهَا وَحُبِّهَا إِيَّاكُمْ وَوَلَايَتِهَا لَكُمْ لَيْسَ لَهَا مَحْرَمٌ قَالَ «إِذَا جَاءَتِ المَرْأَةُ المُسْلِمَةُ فَاحْمِلْهَا فَإِنَّ المُؤْمِنَ مَحْرَمُ المُؤْمِنَةِ ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الآيَةَ ﴿وَالمُؤْمِنُونَ وَالمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾»[١].

لذا ذهب الفقهاء الى عدم اشتراط المحرم في الحج والزيارة ما دامت المراة مأمونة على نفسها كما بينت ذلك في بحث مستقل بعنوان (مشي النساء الى كربلاء)[٢].

٦ ـ **الشجاعة:** فان الزيارة تعلم الانسان الشجاعة في اتخاذ الموقف والصبر على الخوف وقوة الاقدام خصوصا مع المنع للزيارة كما كان يحصل ايام الطاغية.

ففيها توطين للنفس على المواجهة والتعدي للموت والقتل والسجن والتعذيب وما هذا الا صور رائعة من صور الشجاعة والاقدام في سبيل المبادئ والقيم الدينية.

لذا وردت الروايات في الحث على الزيارة حتى في مثل هكذا محن وشدائد.

منها:

١ ـ **اجر من حبس في طريق الحسين:** في الوسائل عن هشام بن سالم قال: قُلْتُ للامام الصادق: فَمَا لِمَنْ حُبِسَ فِي إِتْيَانِهِ قَالَ «**لَهُ بِكُلِّ يَوْمٍ يُحْبَسُ وَيَغْتَمُّ فَرْحَةُ يَوْمِ القِيَامَةِ**».[٣]

---

(١) من لا يحضره الفقيه ج٢ ص ٤٣٩

(٢) مشي النساء الى كربلاء مجلة الاصلاح الحسيني العدد ٥.

(٣) ج ١٤ ص ٤٤٢

٢ ـ **اجر من ضرب بطريق الحسين** عليه السلام: في مستدرك الوسائل فى حديث طويل لهشام عن الصادق قُلْتُ فَإِنْ ضُرِبَ بَعْدَ الحَبْسِ فِي إِتْيَانِهِ قَالَ «**لَهُ بِكُلِّ ضَرْبَةٍ حَوْرَاءُ وَبِكُلِّ وَجَعٍ يَدْخُلُ عَلَيْهِ الفُ الفِ حَسَنَةٍ وَيُمْحَى بِهَا عَنْهُ الفُ الفِ سَيِّئَةٍ**»[١]

٣ ـ **اجر من مات في طريق الحسين** عليه السلام: في بحارالأنوار: «... **فَإِنْ هَلَكَ فِي سَفَرِهِ نَزَلَتِ المَلَائِكَةُ فَغَسَّلَتْهُ وَفُتِحَ لَهُ بَابٌ إِلَى الجَنَّةِ يَدْخُلُ عَلَيْهِ رَوْحُهَا حَتَّى يُنْشَرَ وَإِنْ سَلِمَ فُتِحَ البَابُ الَّذِي يَنْزِلُ مِنْهُ رِزْقُهُ فَجُعِلَ لَهُ بِكُلِّ دِرْهَمٍ أَنْفَقَهُ عَشَرَةُ آلَافِ دِرْهَمٍ وَذُخِرَ ذَلِكَ لَهُ فَإِذَا حُشِرَ قِيلَ لَهُ لَكَ بِكُلِّ دِرْهَمٍ عَشَرَةُ آلَافِ دِرْهَمٍ وَإِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى نَظَرَ لَكَ وَذَخَرَهَا لَكَ عِنْدَهُ**».[٢]

٤ ـ **اجر من قتل في طريق الحسين** عليه السلام: حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ سَالِمٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ عليه السلام فِي حَدِيثٍ لَهُ طَوِيلٍ قَالَ أَتَاهُ رَجُلٌ فَقَالَ لَهُ يَا ابْنَ رَسُولِ اللهِ هَلْ يُزَارُ وَالِدُكَ قَالَ فَقَالَ «**نَعَمْ**» إِلَى أَنْ قَالَ قُلْتُ فَمَا لِمَنْ قُتِلَ عِنْدَهُ جَارَ عَلَيْهِ سُلْطَانٌ فَقَتَلَهُ قَالَ «**أَوَّلُ قَطْرَةٍ مِنْ دَمِهِ يُغْفَرُ لَهُ بِهَا كُلُّ خَطِيئَةٍ وَتُغْسَلُ طِينَتُهُ الَّتِي مِنْهَا خُلِقَ المَلَائِكَةُ حَتَّى تَخْلُصَ كَمَا خَلَصَتْ لِلْأَنْبِيَاءِ المُخْلَصِينَ وَيَذْهَبُ عَنْهَا مَا كَانَ خَالَطَهَا مِنْ أَجْنَاسِ طِينِ أَهْلِ الكُفْرِ وَيُغْسَلُ قَلْبُهُ وَيُشْرَحُ صَدْرُهُ وَيُمْلَأُ إِيمَاناً فَيَلْقَى اللهَ وَهُوَ مُخْلَصٌ مِنْ كُلِّ مَا تُخَالِطُهُ الأَبْدَانُ وَالقُلُوبُ**»[٣]

فان هذه مراكز تدريب ميدانية على الشجاعة والاقدام وعدم التهيب من الاعداء والطغاة فتكون من اهم وسائل الاعداد الجهادي لانصار الامام الحجة عليه السلام.

٧ ـ **الموالاة والبراءة**: من المفاهيم العقائدية التي ركزها ال البيت في نفوس اتباعهم مفهوم الولاء لاولياء الله والبراءة من اعداء الله تعالى، وهو ان تجعل حبك ومودتك وطاعتك

---

(١) ج١٠ ص ٢٧٩

(٢) ج ٤٥ ص ١٧٢

(٣) كامل الزيارات ص ١٢٣

لاولياء الله وبغضك وعصيانك لاعداء الله، وهذان المفهومان لهما تاثير على المستوي العقدي فلا ايمان حقيقي الا بهما، وعلى المستوى العملي فلا قبول بل لا صحة للعمل ـ على خلاف ـ الا بهما، وهذا ما اشارت له الكثير من الايات والروايات.

فمن الايات: وقوله تعالى: ﴿لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوادُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كانُوا آباءَهُمْ أَوْ أَبْناءَهُمْ أَوْ إِخْوانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ...﴾[١]

وقوله تعالى: ﴿لا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الكافِرِينَ أَوْلِياءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللهِ فِي شَيْءٍ إِلاَّ أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقاةً...﴾[٢]

ومن الروايات: ـ

عَنْ سَعِيدٍ الأَعْرَجِ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ عليه السلام قَالَ «مِنْ أَوْثَقِ عُرَى الإِيمَانِ أَنْ تُحِبَّ فِي اللهِ وَتُبْغِضَ فِي اللهِ وَتُعْطِيَ فِي اللهِ وَتَمْنَعَ فِي اللهِ»[٣]

وعَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عَمَّارٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ عليه السلام قَالَ «كُلُّ مَنْ لَمْ يُحِبَّ عَلَى الدِّينِ وَلَمْ يُبْغِضْ عَلَى الدِّينِ فَلَا دِينَ لَهُ»[٤]

وعن أَبِي مُحَمَّدٍ العَسْكَرِيِّ عَنْ آبَائِهِ عليهم السلام قَالَ قَالَ «رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله لِبَعْضِ أَصْحَابِهِ ذَاتَ يَوْمٍ يَا عَبْدَ اللهِ أَحْبِبْ فِي اللهِ وَأَبْغِضْ فِي اللهِ وَوَالِ فِي اللهِ وَعَادِ فِي اللهِ فَإِنَّهُ لَا تَنَالُ وَلَايَةَ اللهِ إِلَّا بِذَلِكَ وَلَا يَجِدُ رَجُلٌ طَعْمَ الإِيمَانِ وَإِنْ كَثُرَتْ صَلَاتُهُ وَصِيَامُهُ حَتَّى يَكُونَ كَذَلِكَ وَقَدْ صَارَتْ مُوَاخَاةُ النَّاسِ يَوْمَكُمْ هَذَا أَكْثَرَهَا فِي الدُّنْيَا عَلَيْهَا يَتَوَادُّونَ وَعَلَيْهَا يَتَبَاغَضُونَ وَذَلِكَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللهِ شَيْئاً فَقَالَ لَهُ وَكَيْفَ لِي أَنْ أَعْلَمَ أَنِّي قَدْ وَالَيْتُ وَعَادَيْتُ فِي اللهِ عَزَّ وَجَلَّ

---

(١) المجادلة ٢٢.

(٢) ال عمران ٢٨

(٣) الكافي ج ٢ ص ١٢٥

(٤) المصدر ص ١٢٧

وَمَنْ وَلِيُّ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ حَتَّى أُوَالِيَهُ وَمَنْ عَدُوُّهُ حَتَّى أُعَادِيَهُ فَأَشَارَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى عَلِيٍّ عليه السلام فَقَالَ أَ تَرَى هَذَا فَقَالَ بَلَى قَالَ وَلِيُّ هَذَا وَلِيُّ اللهِ فَوَالِهِ وَعَدُوُّ هَذَا عَدُوُّ اللهِ فَعَادِهِ وَالِ وَلِيَّ هَذَا وَلَوْ أَنَّهُ قَاتِلُ أَبِيكَ وَوَلَدِكَ وَعَادِ عَدُوَّ هَذَا وَلَوْ أَنَّهُ أَبُوكَ وَوَلَدُكَ»[1]

وزيارة الاربعين مصداق واضح لتقوية الولاء لإل البيت عليهم السلام والبراءة من اعدائهم وخصوصا اذا اكتنفها الشعارات الدالة على ذلك مما يعزز العنصرين المهمين في عقيدة الانسان الحقة وعمله المقبول، وهذا التولي والتبري يفعله زوار الحسين من خلال احياء الشعائر التي يمارسوها في شعيرة الاربعين استجابة لامر ال البيت وغاضة لاعدائهم، الروايات تشير لذلك، منها: عن معاوية بن وهب عن الصادق: «... **اغْفِرْ لِي وَلِإِخْوَانِي وَزُوَّارِ قَبْرِ أَبِيَ الْحُسَيْنِ الَّذِينَ أَنْفَقُوا أَمْوَالَهُمْ وَأَشْخَصُوا أَبْدَانَهُمْ رَغْبَةً فِي بِرِّنَا وَرَجَاءً لِمَا عِنْدَكَ فِي صِلَتِنَا وَسُرُوراً أَدْخَلُوهُ عَلَى نَبِيِّكَ وَإِجَابَةً مِنْهُمْ لِأَمْرِنَا وَغَيْظاً أَدْخَلُوهُ عَلَى عَدُوِّنَا...**».[2]

وفي هذه الصور الولائية البرائية عدة امور:

١ ـ ايصال رسالة الى العالم اجمع باننا سائرون على هذا النهج الذي رسمه ال البيت عليهم السلام وخصوصا الامام الحسين في رفض الظلم والدفاع عن عقيدة الامة واصلاحها ولو كلف ذلك الحياة.

٢ ـ ايصال رسالة باننا رافضون للنهج التكفيري والاموي المستبيح للنفوس والاعراض والاموال لاغراض سلطوية ودنيوية وان هذا النهج لابد ان يحار كي لا يتكرر في التاريخ.

٣ ـ ايصال رسالة للعالم بان مذهب ال البيت هو مذهب الاعتدال والانسانية والاصلاح وان معيار موالاة اهل طاعة الله وبغض اهل معصية الله وسيلة لاصلاح العباد والبلاد وردع للظالمين وتقوية للمومنين، وان الناس لا تقاس على اساس العرق او اللون او

---

(١) بحارالأنوار ج٦٦ ص ٢٣٦.

(٢)المصدر ج ٤ ص ٥٨٢

القرابة وانما على اساس الايمان والتقوى والولاء لله واولياءه والبراءة من الشيطان واتباعه من الجن والانس.

وغيرها من الرسائل.

٨ ـ **التدرب على التعايش السلمي مع الاخر:** من اهم الاشكاليات التي تواجه الامم والديانات هو التدرب على التعايش السلمي مع الاخرين، وكيفية التعامل معهم وعدم الغائهم فكريا او معنويا او حتى ماديا، وهذا ما تسعى لتحقيقه المنظمات الدولية وخصوصا الامم المتحدة، وتجعل برامجا لذلك، وتعمل على نفي الصراعات ونشوء حركات وتوجهات تدعوا للقتل والتقاتل كالحركات النازية او الشعوبية او الوهابية او ما تمخض عن ذلك كداعش والقاعدة والنصرة واخواتهن.

وهذا ما جاء به الدين الحنيف من رسم علاقتك مع الاخر وان اختلف معك في المذهب او العرق او الدين على اسس لا تكفير فيه ولا قتل فيها الا اذا بادرك للحرب والحرابة او تعدى على مقدساتك ومعتقداتك، بل الاسلام رسم لنا نمطا في التعاطي مع الاعداء فضلا عن غيرهم[١].

فامير المومنين حدد مجمل علاقتك بالناس من خلال العهد المبارك ـ عهد مالك الاشتر ـ والذي هو برنامج اساسي للعلاقات الداخلية والخارجية، والذي منه: «**أشعر قلبك الرحمة للرعيّة، والمحبّة لهم، واللطف بهم، ولا تكوننّ عليهم سبعا ضاريا تغتنم أكلهم، فإنّهم صنفان: إمّا أخ لك في الدين، أو نظير لك في الخلق، يفرط منهم الزلل، وتعرض لهم العلل، ويؤتى على أيديهم في العمد والخطأ، فأعطهم من عفوك وصفحك مثل الذي تحبّ وترضى أن يعطيك الله من عفوه وصفحه، فإنّك فوقهم، ووالي الأمر عليك فوقك، والله**

(١) راجع بحث (نمط التعاطي مع الاعداء) بحث نشرته مجلة المنهج العدد ٢.

فوق من ولّاك...»[١]

والزيارة بهذه السعة المليونية تعتبر موسما للانفتاح على حضارات ولغات وثقافات من كل العالم وذلك يجعلنا نكتسب خبرة عالية مع التعامل مع الاخر حتى مع اختلافنا معه في اللون او القومية او الثقافة او البلد او المذهب او حتى الدين.

٩ ـ **الغاء الطبقية والتعالي والتكبير:** فان من اهم الامراض التي تنسف بالمجتمعات هو بروز الطبقية بين افراده مما ينتج التعالي والتكبر واستعباد الاخرين بسبب السلطة او المال او الجاه، فيحتاج الانسان ما يكسر جموح النفس ويضعف هذه الصفات، ولعل اهم ما يعمل على ذلك هو التعاطي العملي والسيرة العملية مع افراد المجتمع، وموسم الاربعين انما هو درس عملي لإلغاء التكبر والتعالي، خصوصا ما يمارسه اصحاب المواكب من الغاء الذات والتواضع وتقديم الخدمات بتفاني لكل الناس، فترى الكبير يخدم الصغير والغني يخدم الفقير بل ورب العمل يخدم عماله كما اشرنا في ما مر من نقطتي التواضع والايثار.

١٠ ـ **الشعور بالمسؤولية:** ان تحمل المسؤوليات من اهم المقومات لصناعة الانسان وكلما كانت المسؤوليات اكبر كانت الصناعة اقوى لأنها سوف تدخل في كبرى ان الابتلاء مدرسة لصناعة العظماء.

فتبرز امامنا مسؤولية عظمى نسال عنها يوم القيامة وهي نعيم ال البيت عليهم السلام الذي يجب علينا اداء حقه وابراز الصورة الحقيقية لما هم عليه من اخلاق وقيم ومعارف.

ففي رواية المحاسن: «... **ذَكَرْت الآيَةُ الَّتِي فِي كِتَابِ الله ـ ﴿لَتُسْئَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ فَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام لَا إِنَّمَا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَنْتُمْ عَلَيْهِ مِنَ الحَقِّ**»[٢]

---

(١) نهج البلاغة عهد مالك الاشتر.

(٢) المحاسن ج ٢ ص ٤٠٠

في المحاسن عن أَبِي حَمْزَةَ قَالَ كُنَّا عِنْدَ أَبِي عَبْدِ الله عليه السلام جَمَاعَةً فَدَعَا بِطَعَامٍ مَا لَنَا عَهْدٌ بِمِثْلِهِ لَذَاذَةً وَطِيباً حَتَّى تَمَلَّيْنَا وَأُتِينَا بِتَمْرٍ يَنْظُرُ فِيهِ إِلَى وُجُوهِنَا مِنْ صَفَائِهِ وَحُسْنِهِ فَقَالَ رَجُلٍ ﴿لَتُسْئَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ عَنْ هَذَا النَّعِيمِ الَّذِي نُعِّمْتُمْ عِنْدَ ابْنِ رَسُولِ الله صلى الله عليه وآله فَقَالَ أَبُو عَبْدِ الله عليه السلام «الله أَكْرَمُ وَأَجَلُّ مِنْ أَنْ يُطْعِمَكُمْ طَعَاماً فَيُسَوِّغَكُمُوهُ ثُمَّ يَسْأَلَكُمْ عَنْهُ وَلَكِنَّهُ أَنْعَمَ عَلَيْكُمْ بِمُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله»[١]

فان هذه الزيارة تدعونا الى تحمل المسؤولية الدينية في ايصال رسالة عامة لكل العالم باننا مجتمع يملك من الصفات والمقومات الحضارية والاجتماعية والتربوية والادارية العالية.

فهي فرصة لبيان الاسلام المحمدي العلوي الناصع من خلال عكس الصورة الحقيقية للمذهب، لا كما ينقل بعض عن تخلف الاسلام والمسلمين من خلال عكس صورة لأناس يدعون انتحالهم للإسلام والاسلام براء منهم كبعض الحركات السلفية والوهابية وبعض الدول المتخلفة دينيا وقيميا والمتحللة اخلاقيا وتربويا، وان تلك الفئات لا تمثل الاسلام.

المحور الثامن: الاصلاح العسكري

ان المؤسسة العسكرية لا تقاس بقوة تسليحها فقط وانما الاهم فيها هو وجود الموارد البشرية فيها، خصوصا الموارد البشرية الشابة والتي لها استعداد عالي للتضحية والفداء والاباء.

وزيارة الاربعين لهي من اهم موارد بناء الشباب المهدوي العسكري المقاوم والمضحي، ولعل تجربة مقاومة الاحتلال الامريكي للعراق وتجربة الحشد الشعبي في

(١) ج ٢ ص ٤٠٠

العراق من اكبر الشواهد على ذلك فان من اهم ما بنى هذه الشخصيات الشابة والمضحية التي تتحدى الصعاب وتواجه اشرس الاعداء مع قلة العدة والعدد هو حضور شخصية الحسين عليه السلام بين ظهرانينا والتي تبرز في مواسم منها موسم الزيارة، فتكون الشخصية الحسينية صانعة لشخصية مقاومة ومجاهدة.

فما سطره الابطال في ساحات القتال من تضحيات لم يكن وليد اللحظة بل هو صناعة حسينية بمستقبل مهدوي، لذا كانت شعاراتهم في المعركة هي شعارات الحسين والعباس والاكبر و... وتحركاتهم وتطلعاتهم تطلعات مهدوية ثائرة تعد لعصر الظهور.

فالتضحية ـ بالنفس بالمال بالراحة ـ لأجل الغير ولأجل المبدأ ولأجل الدين ولأجل الاسلام ولأجل المقدسات ولأجل العزة انما هي دروس تعلمناها من مدرسة الحسين ومن شعائر الحسين، ربطت بالموعود ومستقبل العالم الذي يقوده الامام المهدي.

فهناك جيش عالمي قد تم اعداده سابقا وخاض التجارب في عدة دول ونجح نجاحات باهرة قد يكون هو نواة من جيش المهدي المنتظر، وزيارة الاربعين هي الرافد الاساسي لهذا الجيش القادم الذي يقوده صاحب الامر نحو تحقيق العدل والقسط والسلام.

المحور التاسع: الاصلاح الاعلامي

من العادات الجارية لدى القوى السياسية او غيرها استعراض جماهيرها من خلال مظاهرات او تجمعات او احتفالات او مناورات او غيرها، وذلك لإيصال رسالة الى الاخر بان لنا جماهير ونحن اقوياء من باب ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾[1] كل بحسب موقعه وعمله وقدرته.

---

(١) الانفال ٦٠

والمؤمنون لابد لهم من ذلك ايضا، وما يحصل من تجمع مليوني ليس له نظير وبشكل عفوي وبتنظيم ذاتي وبتمويل شخصي لهو اعظم صور الاستعراض الاعلامي للجمهور المومن، فالشعيرة الاربعينية ليست عبادة فردية فحسب بل اصبحت ذات طابع يحوي عبادة جماعية كشعائر الحج وصلاة الجمعة، وهذا يعطي اهمية كبرى وثراء معنويا وانفجارا اعلاميا يوصل رسالة واضحة للجميع (... باننا حسينيون... باننا ممهدون... باننا مؤمنون... باننا اقوياء... باننا منظمون... باننا متكافلون... باننا مصلحون... وهكذا).

خصوصا اذا عكسنا الصورة التي اراد لنا ال البيت عكسها للإنسانية وان الدين الاسلامي هو الخاتم وان المهدي هو المخلص وانه لا نجاة الا به.

فيبرز لنا امور:

١ ـ تحقيق منجز عددي وان جماهيرنا مليونيه وبتزايد كل عام بحيث لا يسع المكان الجمهور.

٢ ـ تحقيق منجز نوعي بان جماهيرنا مؤمنة وقوية ومخلصة ومطيعة لله ورسوله واله.

٣ ـ تحقيق منجز دولي بان زيارتنا دولية وليست اقليمية او قطرية اذ يأتيها الناس من كل فج عميق.

٤ ـ تحقيق منجز حضاري باننا منظمون ولا يتعدى بعضنا على بعض طوال ايام الزيارة.

٥ ـ تحقيق منجز تعارفي بين لغات مختلفة وثقافات متعددة وقوميات متنوعة لتبادل الخبرات والهموم والمشكلات ومعالجة الاوضاع والشعور بالأخر.

وهكذا منجزات جعلت الغرب يقول على لسان احد العلماء الغربيين: (لو قدر لقائد ان ينهض بهكذا جماهير لاحتل العالم كله).

المحور العاشر: المحور التكافلي

من العناصر المهمة في الشخصية الممهدة للظهور وجود روح التكافل والايثار في تلك الشخصية، ومن اهم سبل تحقيق هذا البناء هو التدرب على التكافل ومساعدة الاخرين وايثار راحة الاخرين على راحة النفس حتى مع التعب والخصاصة، والمشي في زيارة الاربعين هو موسم تكافلي عظيم حيث ان الخدمات تقدم مجانا بلا منة ولا ضجر بل بفرحة وبهجة، ولعل التكافل الذي يقدمه اصحاب المواكب من اعظم صور التكافل والخدمة، وهذا واضح بالوجدان لكل من مشى للزيارة، وكذلك روح الايثار والمساعدة بين الزائرين وعطف الكبير على الصغير وتوقير الصغير للكبير ومساعدة الرجل للمرأة والعكس وهكذا.

والتكافل والايثار له صور:

منها:

التكافل والايثار بالطعام ولو بقيت جائعا.

التكافل والايثار بالمبيت ولو بقيت سهرانا.

التكافل والايثار بالفراش والغطاء.

التكافل والايثار حال الرجوع من خلال اعطاء مقعدك لغيرك والبقاء واقفا.

التكافل والايثار بتفضيل راحة الاخرين على راحة النفس.

وهكذا غيرها من الصور.

المحور الحادي عشر: البناء السياسي:

ان زيارة الحسين موسم مهم لاستذكار مبادئ ثورته ومنها المبدأ السياسي وهو البراءة من الظالمين والثورة عليهم وخلق ارادة سياسية صادقة لدى المؤمن للتغيير والخروج على

الظالمين والاستعداد لذلك تحت قيادة الامام الحجة ﷺ كي يعز الاولياء ويذل الاعداء ويملئها قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا، كما انها رفض للاتجاه السياسي المستبد وان تلبس بلبوس الدين وادعى النيابة عن المسلمين، وكذلك رفض للسياسة الداعية الى الخضوع والتذلل للقوى العالمية المستبدة تحت ذريعة سياسة الامر الواقع ومداهنة الاعداء مما يضيع معالم الدين والعباد والبلاد.

فاستذكار شعارات الحسين في الثورة كخطابه ـ «**أَيُّهَا النَّاسُ ! إِنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: مَنْ رَأى سُلْطَانَاً جَائِراً مُسْتَحِلًّا لِحُرُمِ الله نَاكِثاً لِعَهْدِ الله مُخَالِفاً لِسُنَّةِ رَسُولِ الله ﷺ، يَعْمَلُ فِي عِبَادِ الله بِالإِثْمِ وَالعُدْوَانِ، فَلَمْ يُغَيِّرْ عَلَيْهِ بِفِعْلٍ وَلَا قَوْلٍ، كَانَ حَقّاً عَلَى الله أَنْ يُدْخِلَهُ مَدْخَلَه**»[1] ـ يكون حافزا كبيرا للاستعداد السياسي والتمهيد السياسي للامام الحجة من خلال نشر الافكار الدالة على ان الامام هو المخلص السياسي من ظلم الدول الجائرة.

وبذلك تنخلق ارادة سياسية لدى الامة المؤمنة تحفز المومن للالتحاق بالشخصية المنقذة والبراءة من الامة الظالمة والقاتلة والراضية بذلك كما ورد في الزيارة: (**لَعَنَ الله أُمَّةً قَتَلَتْكَ وَلَعَنَ الله أُمَّةً ظَلَمَتْكَ وَلَعَنَ الله أُمَّةً خَذَلَتْكَ وَلَعَنَ الله أُمَّةً خَدَعَتْكَ**).[2]

خصوصا اذا كانت الزيارة مقترنة ببعض النصوص التي تشير الى نصرة ال البيت وخاتمهم الامام الحجة ﷺ كما في الزيارة: «**اللهمَّ أَنْتَ مَنَنْتَ عَلَيَّ بِزِيَارَةِ مَوْلَايَ وَوَلَايَتِهِ وَمَعْرِفَتِهِ فَاجْعَلْنِي مِمَّنْ تَنْصُرُهُ وَتَنْصُرُ بِهِ [يُنْتَصَرُ بِهِ وَيَنْصُرُهُ] ـ وَمُنَّ عَلَيَّ بِنَصْرِكَ لِدِينِكَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ**».[3]

---

(١) بحار الانوار ج ٧٨ ص ١٢٨

(٢) كامل الزيارت ص ٤٣

(٣) المصدر ص ٤٥

وبالأخص الاستعداد للنصرة الوارد في زيارة عاشوراء: «فَأَسْأَلُ اللهَ الَّذِي أَكْرَمَ مَقَامَكَ أَنْ يُكْرِمَنِي بِكَ وَيَرْزُقَنِي طَلَبَ ثَارِكَ مَعَ إِمَامٍ مَنْصُورٍ مِنْ آلِ محمد».[١].

فزيارة الاربعين كفيلة بهكذا بناء سياسي للمجتمع المهدوي الذي يأبى الظلم والضيم ويثور على الظالمين والمعتدين ولا يداهن المنحرفين والمستبدين وان علوا وتغطرسوا.

المحور الثاني عشر: الاصلاح التمريني والتدريبي

ان الانسان بطبعة يميل الى الدعة والراحة وعدم الدخول بالصعاب، فاذا مر بصعوبات قد يودي به الى الضعف او الانهيار او ترك المبادي او التخلي عن بعضها، لذا يحتاج الى دورة تدريبية لرفع ذلك.

و موسم الزيارة مع طول المسافات وكثرة الصعوبات وشدة الابتلاءات ـ خصوصا مع البرد القارص او الحر الشديد او الخوف من الظالم كما في عهد النظام المقبور ـ لهو مركز تدريبي عام وشامل لتحمل انواع الصعاب والمحن والثبات على المبدأ الذي رسمه ال البيت عليهم السلام.

فالزيارة تمثل مركزا لتدريب المومن للاستعداد والاعداد للإصلاح والتوجه لعصر الظهور فيدخل ذلك في الاعداد للمهدوي والنهوض معه في ثورته العالمية وتحمل الصعاب، فلا يتفاجئ اذا ما بلي بصعوبة او شدة بل يواجهها بعزم حسيني ومستقبل مهدوي.

فهذه الصعوبات والزلازل والمحن التي يمر بها المومن ما هي الا تقوية لصلبه وتمرينا له لمواجهة العدو.

فالزيارة الاربعينية ورشة عمل معمقة لصناعة الشخصية قوية ومدربة.

---

(١) المصدر.

والنتيجة ان زيارة الاربعين فيها عظيم البركات في كل المستويات المادية والمعنوية، ومن اعظم البركات دور واهمية هذه الزيارة المليونية في الاعداد العملي للإصلاح في كل مستوياته ومحاربة الفساد ومفسدين تطبيقا لمقولة الامام الحسين انما خرجت لطلب الإصلاح... فحري بنا ان نجعل تلك الزيارة منارا لنا في الإصلاح تنظيرا وتطبيقا.

هذا ما اردنا ذكره من محاور وهناك محاور اخرى قد تظهر للمتتبع لم نذكرها دفعا للإطالة.

البحث السادس:

الامام العباس مدرسة الايثار

مُقَدمَة:

من المفاهيم الأخلاقية التي لها الاثر الأكبر في مسار الإنسان الأخلاقي وسيره إلى الله تعالى والتي تنمُّ عن تربية روحية عالية هو التحلي بصفة الإيثار في التعامل العام مع البشرية بل مع المخلوقات ككل.

إنَّ هذه الصفة العظيمة تكشف عن ملكات أخلاقية كامنة في ذات الإنسان أهَّلته أن يكون مقدماً غيره على نفسه، ومتخيراً ما هو أصعب وأحزم كي يأخذ غيره ما هو أسهل وألين، ومتخذاً ذلك وسيلة للتقرب إلى الله تعالى، فهو من نفسه في تعب والناس منه في راحة.

وهذه الصفة الحميدة نابعة من مجموعة فضائل ولاغية لمجموعة رذائل، فهي نابعة من فضيلة الشجاعة والتواضع والعفاف والسخاء والأُلفة والمحبة وغيرها، ولاغية لرذيلة الجبن والتكبر والشهوة والبخل والانفراد والبغض وغيرها.

فلو لم يكن المُؤْثِر شجاعاً لما آثر غيره عليه، ولو لم يكن متواضعاً لما قدَّم غيره على نفسه، ولو لم يكن سخياً لما فضَّل غيره عليه وهكذا باقي الصفات.

وعلماء النفس الاجتماعي يرون أن هذه الصفة من أعظم صفات الإنسان فهي سلوك

اجتماعي إيجابي يهدف إلى رعاية الآخرين ورفاهيتهم بلا ملاحظة منفعة شخصية.

وفي هذا البحث نقف إجمالاً على مفهوم الإيثار في النظام الأخلاقي لغة وكتاباً وسنة وما هي آثاره ومعطياته، ونطبق ذلك على ما قام به سيدنا العباس عليه السلام من إيثار في واقعة الطف حيث مارسه في أحنك الظروف وأشدها وأضراها، بعد أن سدَّ العدو جميع الطرق على الإمام الحسين وآله وأصحابه عليهم السلام وبلغت القلوب الحناجر، فبرز الموقف الحقيقي والمعدن الأصيل والعنصر الطاهر الذي كان عليه العباس بن علي عليهما السلام، فآثر بنفسه وفداها ــ والجود بالنفس أعظم غاية الجود ــ فاستحق بذلك صفة أبي الفضل، وجاد بالجود ولم يشرب الماء ــ مع شدة عطشه ــ حتى كان رمزاً للجود.

عرض البحث:

يقع الكلام في أربعة مباحث:

المبحث الأول: الإيثار في اللغة

قبل الدخول في صلب البحث لابدَّ أن نستعرض بعض كلمات اللغويين لنقف على الحقيقية اللغوية لهذا المصطلح ومن ثم نبين معناه الشرعي من خلال القيود التي تبينها الآيات والروايات:

١ ـ الصحاح ـ تاج اللغة وصحاح العربية للجوهرى[١]: (وآثَرْت فلاناً على نفسى، من الإيثار).

٢ ـ مفردات ألفاظ القرآن[٢]: (والإيثار للتفضل ومنه: آثرته، وقوله تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلىٰ أَنْفُسِهِمْ﴾[٣] وقال: ﴿تَاللهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللهُ عَلَيْنا﴾[٤] ﴿وبَلْ تُؤْثِرُونَ الحَيٰاةَ الدُّنْيا﴾[٥].

---

(١) ج٢ ص ٥٧٥.

(٢) ص٦٢.

(٣) الحشر ٩.

(٤) يوسف ٩١.

(٥) الاعلى ١٦.

٣ ـ لسان العرب[١]: (وآثرتُ فلاناً على نفسي: من الإيثار. الأَصمعي: آثَرْتُك إيثاراً أَي فَضَّلْتُك).

٤ـ التحقيق في كلمات القرآن الكريم[٢]: (... وأمّا حقيقة الإيثار: فهي إثبات الأثر وتقديم ما له الفضل وانتخابه واختياره على غيره).

المستفاد من كلماتهم هو التالي:

أوّلاً: إنَّ الإيثار يأتي بمعنى التفضيل، أي تفضيل شي على شي أو شخص على شخص.

ثانياً: إنَّه يأتي بمعنى الاختيار بنحو التعيين من بين عدة خيارات وهو يرجع إلى تفضيل المختار على غيره.

ثالثاً: إنَّ هذا الاختيار والتفضيل الحاصل من الإيثار هو أن يقدِّم الشخص شخصاً على آخر على نفسه أي يفضل الآخر على نفسه مراعاة لمصلحة ذلك الشخص أو التسهيل عليه.

رابعاً: إنَّ الإيثار قد يكون من شخص ثالث بأنْ يختار فلاناً على فلان ويقدِّمه ويفضله كما هو ظاهر الآية في اختيار يوسف النبي عليه السلام على أخوته وتفضيله من قبل الله تعالى عليهم ﴿لَقَدْ آثَرَكَ اللهُ عَلَيْنَا﴾ (يوسف: ٩١).

ويَتحصَّل من ذلك:

إنَّ الإيثار: (هو تقديم مصلحة الطرف الآخر وتفضيله على النفس مراعاة له وتقديمه بمادة (مال مثلاً) أو منفعة أو حق من الحقوق، وهذا المعنى هو المراد به هنا).

---

(١) ج٤ ص ٧.

(٢) ج١ ص ٣١.

وقد يقيد ذلك التعريف بالتقديم والتفضيل للآخر على النفس مع الحاجة الماسة والحاجة الملحة وهذا هو ظاهر بعض الروايات الآتية وظاهر بعض آخر أنَّك لا تكون مؤثراً حتى تقاسمه نصف ما تملك وتعطيه من نصفك أيضاً.

كما يأتي بمعنى اختيار أحد الأطراف لأنَّه أصلح وأنفع كما في اختيار الله تعالى لبعض دون آخر وتفضيلهم على الاخرين أو اختيارنا لفلان دون فلان، وليس هذا المعنى محل كلامنا.

*****

المبحث الثاني: الإيثار في القرآن والسنة:

أوّلاً: الآيات الكريمة منها:

إنَّ الآيات أشارت إلى الإيثار مرة بلفظه ومرة بمعناه:

قال تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كانَ بِهِمْ خَصاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ﴾[1].

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جاؤُ مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنا وَلِإِخْوانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونا بِالإِيمانِ﴾[2].

وقوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغاءَ مَرْضاتِ اللهِ وَاللهُ رَؤُفٌ بِالعِبادِ﴾[3].

وقوله تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللهِ لاَ نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلاَ شُكُوراً﴾[4].

---

(١) الحشر الاية ٩

(٢) الحضر الاية ١٠

(٣) البقرة ٢٠٧

(٤) الانسان ٨

وهذه الآيات تبين أنَّ الإيثار له صورة عديدة فقد يكون بالمال (المادة) أو الدعاء أو النفس، فيكون الإيثار في القرآن أوسع دائرة من الإيثار اللغوي أي بما يشمل الأمور المعنوية كالدعاء للآخرين دون النفس أو تقديم الآخرين بالدعاء لهم قبل الدعاء لنفس الشخص.

وتتضح الآيات أكثر من خلال بعض الروايات الآتية المفسرة لها.

ثانياً: الإيثار في السُنّة:

الروايات الواردة في الإيثار كثيرة نذكر بعضها مع تعليق مختصر عليها:

الرواية الأولى: ما رواه مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ الحُسَيْنِ[١] بِإِسْنَادِهِ عَنْ جَمِيلٍ فِي حَدِيثٍ أَنَّهُ قَالَ لِأَبِي عَبْدِ الله عليه السلام مَنْ غُرَرُ أَصْحَابِي قَالَ «**هُمُ البَارُّونَ بِالإِخْوَانِ فِي العُسْرِ وَاليُسْرِ ثُمَّ قَالَ يَا جَمِيلُ أَمَا إِنَّ صَاحِبَ الكَثِيرِ يَهُونُ عَلَيْهِ ذَلِكَ وَقَدْ مَدَحَ الله فِي ذَلِكَ صَاحِبَ القَلِيلِ فَقَالَ فِي كِتَابِهِ وَيُؤْثِرُونَ عَلى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كانَ بِهِمْ خَصاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ**»[٢].

بيان الرواية:

الرواية الشريفة تبين أنَّ البر بالأخ صورة من صور الإيثار وأنَّ هذا الإيثار يعظم ويكبر إذا كان المُؤْثر مقلاً وليس بمكثر تطبيقاً للآية الشريفة للإيثار.

الرواية الثانية: عن أَنَسِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ أَبِيهِ جَمِيعاً عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ آبَائِهِ عليهم السلام فِي وَصِيَّةِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله لِعَلِيٍّ عليه السلام قَالَ: «**يَا عَلِيُّ ثَلَاثٌ مِنْ حَقَائِقِ الإِيمَانِ الإِنْفَاقُ مِنَ الإِقْتَارِ وَإِنْصَافُكَ النَّاسَ مِنْ نَفْسِكَ وَبَذْلُ العِلْمِ لِلْمُتَعَلِّمِ**»[٣].

---

(١) وسائل الشيعة ج ٩ ص ٤٢٩

(٢) الحشر الاية ٩

(٣) الخصال ج ١ ص ١٢٥

بيان الرواية:

هذه الرواية تجعل الانفاق عن حاجة (وهو الإيثار) من الصفات الكاشفة عن حقيقة الايمان والتدين، فالمؤثر غيره على نفسه في الانفاق قد كسب صفة الايمان حقيقة.

الرواية الثالثة: موثقة عُثْمَانَ بْنِ عِيسَى عَنْ سَمَاعَةَ قَالَ: «**سَالتُ أَبَا عَبْدِ الله عليه السلام عَنِ الرَّجُلِ لَيْسَ عِنْدَهُ إِلَّا قُوتُ يَوْمِهِ أَ يَعْطِفُ مَنْ عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ عَلَى مَنْ لَيْسَ عِنْدَهُ شَيْءٌ وَيَعْطِفُ مَنْ عِنْدَهُ قُوتُ شَهْرٍ عَلَى مَنْ دُونَهُ وَالسَّنَةُ عَلَى نَحْوِ ذَلِكَ أَمْ ذَلِكَ كُلُّهُ الكَفَافُ الَّذِي لَا يُلَامُ عَلَيْهِ فَقَالَ هُوَ أَمْرَانِ أَفْضَلُكُمْ فِيهِ أَحْرَصُكُمْ عَلَى الرَّغْبَةِ وَالأَثَرَةِ عَلَى نَفْسِهِ فَإِنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ وَيُؤْثِرُونَ على أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كانَ بِهِمْ خَصاصَة**[1] ــ **وَالأَمْرُ الآخَرُ لَا يُلَامُ عَلَى الكَفَافِ وَاليَدُ العُلْيَا خَيْرٌ مِنَ اليَدِ السُّفْلَى وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ**»[2].

بيان الرواية:

الرواية تخير بين الإيثار مع الحاجة أو الكفاف ولكن تعطي ميزة وفضل للذي يحرص على الإيثار وتقديم غيره على النفس تطبيقاً للآية الشريفة وتقديما لفضل اليد العليا التي تنفق على اليد السفلى.

الرواية الرابعة: عن عَلِيِّ بْنِ سُوَيْدٍ السَّائِيِّ عَنْ أَبِي الحَسَنِ مُوسَى عليه السلام قَالَ: «**قُلْتُ لَهُ أَوْصِنِي فَقَالَ آمُرُكَ بِتَقْوَى الله ثُمَّ سَكَتَ فَشَكَوْتُ إِلَيْهِ قِلَّةَ ذَاتِ يَدِي وَقُلْتُ وَالله لَقَدْ عَرِيتُ حَتَّى بَلَغَ مِنْ عُرْيِي أَنَّ أَبَا فُلَانٍ نَزَعَ ثَوْبَيْنِ كَانَا عَلَيْهِ فَكَسَانِيهِمَا فَقَالَ صُمْ وَتَصَدَّقْ فَقُلْتُ أَتَصَدَّقُ مِمَّا وَصَلَنِي بِهِ إِخْوَانِي وَإِنْ كَانَ قَلِيلًا قَالَ تَصَدَّقْ بِمَا رَزَقَكَ الله وَلَوْ آثَرْتَ عَلَى نَفْسِكَ**»[3].

---

(١) الحشر الاية ٩

(٢) وسائل الشيعة ج ٩ ص ٤٣١

(٣) المصدر والصفحة.

بيان الرواية:

في هذه الوصية أُمر بالإيثار ولو بلغ الأمر بأن تبقى بثوب واحد حتى لو كان ذلك الثوب قد تصدق به عليك غيرك، وهذا التصدق من باب إيثار غيرك على نفسك.

الرواية الخامسة: عَنْ أَبِي بَصِيرٍ عَنْ أَحَدِهِمَا عليهما السلام قَالَ: «**قُلْتُ لَهُ أَيُّ الصَّدَقَةِ أَفْضَلُ قَالَ جُهْدُ الْمُقِلِّ أَمَا سَمِعْتَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصاصَةٌ﴾[1] ــ تَرَى هَاهُنَا فَضْلًا**»[2].

بيان الرواية:

إنَّ جهد المقل ــ كما في النهاية وغيرها أي قدر ما يحتمله حال القليل المال ــ وهو افضل الصدقة ولعل علة افضليته لأنه انفاق بإيثار بل هو الإيثار المالي بعينه.

الرواية السادسة: عن أبان بن تغلب، عن أبي عبد الله عليه السلام، قلت: (أخبرني عن حق المؤمن على المؤمن ؟ فقال: «**يا أبان، دعه لا ترده**». قلت: بلى جعلت فداك، فلم أزل اردد عليه، فقال: «**يا أبان، تقاسمه شطر مالك**» ثم نظر إلي فرأى ما دخلني، فقال: «**يا أبان، ألم تعلم أن الله عز وجل قد ذكر المؤثرين على أنفسهم ؟**» قلت: بلى جعلت فداك فقال: «**إذا قاسمته، فلم تؤثره بعد، إنما أنت وهو سواء، إنما إذا أعطيته من النصف الآخر**)[3].

بيان الرواية:

وهذا الرواية تضيف مقياسا للإيثار لم تشر اليه الآيات والروايات ولا اللغة وهو أنَّ الإيثار لا يصدق إلَّا بأن تعطي نصف ما عندك وزيادة، فلو كنت تملك الف دينار واعطيت نصفه فقط فانك منفق وليست مؤثراً حتى تعطي نصفك او بعض نصفك فتكون مؤثراً.

---

(١) الحشر الاية ٩

(٢) وسائل الشيعة ج ٩ ص ٤٣٢.

(٣) المصدر ص ٤٢٧.

الرواية السابعة: الشيخ في (أماليه) باسناده حدثنا عاصم بن كليب، عن أبيه، عن أبي هريرة، قال: (جاء رجل إلى النبي ﷺ فشكا إليه الجوع، فبعث رسول الله ﷺ إلى بيوت أزواجه فقلن: ما عندنا إلا الماء. فقال رسول الله ﷺ: «من لهذا الرجل الليلة» ؟ فقال علي بن أبي طالب عليه السلام: «**أنا له يا رسول الله، فأتى فاطمة عليها السلام فقال لها: «ما عندك يا ابنة رسول الله ؟» فقالت: «ما عندنا إلا قوت الصبية، لكنا نؤثر ضيفنا». فقال علي عليه السلام: «يا ابنة محمد، نومي الصبية، وأطفئي المصباح» فلما أصبح علي عليه السلام غدا على رسول الله ﷺ، فأخبره الخبر، فلم يبرح حتى أنزل الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾**»[1].

بيان الرواية:

هذه الرواية تبين الحال التى كان يعيشها النبي الاعظم ﷺ من الفقر المدقع مواساة للأمة في فقرها وتقديراً لنفسه بضعفة الناس كيلا يتبيغ بالفقير فقره، وتبين سبب نزول آية الإيثار وانها نزلت في علي وآل علي عليهم السلام بعد أن آثروا غيرهم بكل ما يملكون من طعام وأناموا صبيتهم جياعاً لكي تشبع بطون الفقراء، وهنا نقول لأنفسنا أين نحن من علي وآل علي عليهم السلام ؟

الرواية الثامنة: عن جابر بن يزيد، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: «**أوتي رسول الله ﷺ بمال وحلل، وأصحابه حوله جلوس، فقسمه عليهم حتى لم يبق منه حلة ولا دينار، فلما فرغ منه جاء رجل من فقراء المهاجرين وكان غائباً، فلما رآه رسول الله ﷺ قال: أيكم يعطي هذا نصيبه ويؤثره على نفسه ؟ فسمعه علي عليه السلام فقال: نصيبي. فأعطاه إياه، فأخذه رسول الله ﷺ فأعطاه الرجل، ثم قال: يا علي، إن الله جعلك سباقاً للخير[2]، سخاء بنفسك عن**

---

(١) المصدر ص ٤٦٢.

(٢) في المصدر: للخيرات.

المال، أنت يعسوب المؤمنين، والمال يعسوب الظلمة، والظلمة هم الذين يحسدونك ويبغون عليك ويمنعونك حقك بعدي»[١].

بيان الرواية:

وهذه الرواية تبين أيضاً ما يتميز به أمير المؤمنين عن كل الباقين من إيثاره غيره على نفسه، وفيها بيان لعظيم منزلته التي خصه الله بها من بين الباقين.

الرواية التاسعة: عن جابر بن يزيد، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: **«إن رسول الله صلى الله عليه وآله كان جالسا ذات يوم وأصحابه جلوس حوله، فجاء علي عليه السلام وعليه سمل ثوب متخرق عن بعض جسده، فجلس قريباً من رسول الله صلى الله عليه وآله، فنظر إليه ساعة ثم قرأ: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كانَ بِهِمْ خَصاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾. ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام: أما إنك رأس الذين نزلت فيهم هذه الآية وسيدهم وإمامهم. ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام: أين حلتك التي كسوتكها يا علي ؟ فقال: يا رسول الله، إن بعض أصحابك أتاني يشتكي عريه وعري أهل بيته، فرحمته وآثرته بها على نفسي، وعرفت أن الله سيكسوني خيراً منها، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: صدقت أما إن جبرئيل قد أتاني يحدثني أن الله اتخذ لك مكانها في الجنة حلة خضراء من إستبرق، وصنفتها من ياقوت وزبرجد، فنعم الجواز جواز ربك بسخاوة نفسك وصبرك على شملتك هذه المنخرقة، فأبشر يا علي. فانصرف علي عليه السلام فرحاً مستبشراً بما أخبره به رسول الله صلى الله عليه وآله»**[٢].

بيان الرواية:

هذه الرواية تحكي إيثار علي عليه السلام في حوادث متكررة فكانت هذه الصفة من الصفات

---

(١) بحار الانوار ج ٣٦ ص ٦٠.

(٢) المصدر والصفحة.

التي امتاز بها ـ وكل صفاته جميلة ـ وتسلط الضوء على ما للمؤثر من فضل عظيم وجزاء أُخروي جزيل جزاء بما اعطى وبذل.

الرواية العاشرة: قَالَتْ عَائِشَةُ: «**مَا شَبِعَ رَسُولُ الله ﷺ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ مُتَوَالِيَةً حَتَّى فَارَقَ الدُّنْيَا وَلَوْ شَاءَ لَشَبِعَ وَلَكِنَّهُ كَانَ يُؤْثِرُ عَلَى نَفْسِهِ**»[١].

بيان الرواية:

هذه الرواية تبين إيثار رسول الله ﷺ بماله وطعامه وما يملك للفقراء بحيث أنَّ الإيثار اصبح سمة غالبة لكل حياته من اولها الى آخرها فلم تستهوه الدنيا بالرغم من أنَّه سيِّد الخلق، فكان كما عبَّر الأمير عليه السلام: «**قَضَمَ الدُّنْيَا قَضْماً وَلَمْ يُعِرْهَا طَرْفاً أَهْضَمُ أَهْلِ الدُّنْيَا كَشْحاً وَأَخْمَصُهُمْ مِنَ الدُّنْيَا بَطْناً عُرِضَتْ عَلَيْهِ الدُّنْيَا فَأَبَى أَنْ يَقْبَلَهَا... وَلَقَدْ كَانَ ﷺ يَأْكُلُ عَلَى الأَرْضِ وَيَجْلِسُ جِلْسَةَ العَبْدِ وَيَخْصِفُ بِيَدِهِ نَعْلَهُ وَيَرْقَعُ بِيَدِهِ ثَوْبَهُ**»[٢]، وهذا مما جعل الرسول الاعظم ﷺ هو أعظم الخلق أجمع فلا يدانية نبي مرسل ولا ملك مقرب وهذا ما نطقت به الرواية الآتية:

قَالَ سَهْلُ بْنُ عَبْدِ الله قَالَ مُوسَى عليه السلام: «**يَا رَبِّ أَرِنِي دَرَجَاتِ مُحَمَّدٍ وَأُمَّتِهِ قَالَ يَا مُوسَى إِنَّكَ لَنْ تُطِيقَ ذَلِكَ وَلَكِنْ أُرِيكَ مَنْزِلَةً مِنْ مَنَازِلِهِ جَلِيلَةً عَظِيمَةً فَضَّلْتُهُ بِهَا عَلَيْكَ وَعَلَى جَمِيعِ خَلْقِي قَالَ فَكَشَفَ لَهُ عَنْ مَلَكُوتِ السَّمَاءِ فَنَظَرَ إِلَى مَنْزِلِهِ كَادَتْ تَتْلَفُ نَفْسُهُ مِنْ أَنْوَارِهَا وَقُرْبِهَا مِنَ الله عَزَّ وَجَلَّ قَالَ يَا رَبِّ بِمَا ذَا بَلَّغْتَهُ إِلَى هَذِهِ الكَرَامَةِ قَالَ بِخُلُقٍ اخْتَصَصْتُهُ بِهِ مِنْ بَيْنِهِمْ وَهُوَ الإيثار يَا مُوسَى لَا يَأْتِينِي أَحَدٌ مِنْهُمْ قَدْ عَمِلَ بِهِ وَقْتاً مِنْ عُمُرٍ إِلَّا اسْتَحْيَيْتُ مِنْ مُحَاسَبَتِهِ وَبَوَّأْتُهُ مِنْ جَنَّتِي حَيْثُ يَشَاءُ**»[٣].

---

(١) مجموعة ورام ج ١ ص ١٧٢.

(٢) نهج البلاغة.

(٣) مجموعة ورام ج ١ ص ١٧٣

لذا كان علي عليه السلام سيّد الإيثار بعد النبي صلى الله عليه وآله فما تردد أن يوثر حتى بحياته لأجل الإسلام ونبي السلام، وهذا ما استفاض نقله عن الرواة والمورخين: «وَبَاتَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام عَلَى فِرَاشِ رَسُولِ الله صلى الله عليه وآله فَأَوْحَى الله إِلَى جَبْرَئِيلَ وَمِيكَائِيلَ إِنِّي آخَيْتُ بَيْنَكُمَا وَجَعَلْتُ عُمُرَ الوَاحِدِ مِنْكُمَا أَطْوَلَ مِنْ عُمُرِ الآخَرِ فَأَيُّكُمَا يُؤْثِرُ صَاحِبَهُ بِالحَيَاةِ فَاخْتَارَ كِلَاهُمَا الحَيَاةَ فَأَوْحَى الله عَزَّ وَجَلَّ إِلَيْهِمَا أَ فَلَا كُنْتُمَا مِثْلَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام آخَيْتُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله فَبَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ يَفْدِيهِ بِنَفْسِهِ فَيُؤْثِرُهُ بِالحَيَاةِ اهْبِطَا إِلَى الأَرْضِ فَاحْفَظَاهُ مِنْ عَدُوِّهِ فَكَانَ جَبْرَئِيلُ عِنْدَ رَأْسِهِ وَمِيكَائِيلُ عِنْدَ رِجْلَيْهِ وَجَبْرَئِيلُ يُنَادِي بَخٍ بَخٍ مَنْ مِثْلُكَ يَا ابْنَ أَبِي طَالِبٍ يُبَاهِي الله بِكَ المَلَائِكَةَ فَأَنْزَلَ الله تَعَالَى وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغاءَ مَرْضاتِ الله وَالله رَؤُفٌ بِالعِبادِ»[1].

فكان الإيثار السمة الأبرز عند آل البيت عليهم السلام وفي حياتهم عشرات بل مئات الحوادث التي آثروا بها الآخرين على أنفسهم، ولم يقتصر الإيثار على الدائرة الأولى (النبي والزهراء والائمة الاثني عشر) بل تعدى إلى أبنائهم وبناتهم، ولعل العباس عليه السلام أبرزهم إيثاراً وسنقف على صورة من إيثاره في مبحث لاحق.

*****

(١) المصدر والصفحة.

المبحث الثالث: أثر الإيثار في منظومة الأخلاق:

إنَّ تكوين منظومة الأخلاق عند الفرد المؤمن تعد من أهم ما يقع على عاتقه، فالأخلاق مع العقيدة والفقه تشكل البنى الأساسية للفرد والتي بدونها لا يكون مومناً حقيقياً، فلابد من عقيدة حقة وسلوك مستقيم طبقا لمنظومة الفقه والأخلاق.

والإيثار يعد من أهم الفضائل التي تشكل منظومة الاخلاق والسلوكيات وتحفز للعلو بالدرجات ونيل المكرمات، وهذا ما بينته الروايات، منها ما مر وما سيأتي.

ولعل أبرزها ما يلي:

الأوّل: ان الإيثار من أعظم ما يرفع درجه الإنسان عند ربه وان أكثرنا إيثاراً أكثرنا درجة عند الله، لذا كان النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وعلي عليه السلام هم أعظم الخلق أجمعين لأنَّهم أشد الخلق إيثاراً كما اتضح من روايات سابقة، لذا ورد في الرواية عن أمير المومنين عليه السلام «**الإيثار أَعْلَى المَكَارِمِ**»[1] و«**الإيثار أَشْرَفُ الكَرَمِ**»[2]

الثاني: إنَّ الإيثار من أعلى درجات التعبُّد لله تعالى، لذا ورد في الرواية «**الإيثار أَفْضَلُ**

---

(١) علي بن محمد، عيون الحكم و المواعظ (الليثي).

(٢) علي بن محمد، عيون الحكم و المواعظ (الليثي).

عِبَادَةٍ وَأَجَلُّ سِيَادَةٍ»[١]

الثالث: إنَّ الإيثار كاشف عن درجة الايمان وأنَّ الإنسان الأشد إيثاراً أشد إيماناً، وهذا واضح في الروايات، منها: «**الإيثار أَعْلَى الإِيمَانِ**»[٢].

الرابع: إنَّ الإيثار من أهم أسباب المغفرة التي يطلبها الجميع، لذا ورد في الرواية: «**أَيُّمَا امْرِئٍ اشْتَهَى شَهْوَةً فَرَدَّ شَهْوَتَهُ وَآثَرَ عَلَى نَفْسِهِ غُفِرَ لَهُ**».

الخامس: إنَّ المكارم لا تتم إلَّا بأسباب ومن أسبابها هو الإيثار، لذا ورد: «**لَا يَكْمُلُ المَكَارِمُ إِلَّا بِالعَفَافِ وَالإيثار**»[٣].

السادس: إنَّ الإيثار عمل تُنال به الجنة كما ورد في الروايات منها: ما في تفسير الصافي[٤] قال: «**وفي المجمع اشترى عليٌّ عليه السلام ثوباً فأعجبه فتصدق به وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول من آثر على نفسه آثره الله يوم القيامة بالجنة ومن أحب شيئاً فجعله لله قال الله يوم القيامة قد كان العباد يكافئون فيما بينهم بالمعروف وأنا أكافيك اليوم بالجنة**»[٥].

وفي الكافي[٦] عن مُحَمَّدِ بْنِ قَيْسٍ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: «**إِنَّ للهِ عَزَّ وَجَلَّ جَنَّةً لَا يَدْخُلُهَا إِلَّا ثَلَاثَةٌ رَجُلٌ حَكَمَ عَلَى نَفْسِهِ بِالحَقِّ وَرَجُلٌ زَارَ أَخَاهُ المُؤْمِنَ فِي الله وَرَجُلٌ آثَرَ أَخَاهُ المُؤْمِنَ فِي الله**».

السابع: لا يكون المؤمن متوكلاً بحق إلَّا بالايثار:

---

(١) علي بن محمد، عيون الحكم و المواعظ (الليثي).

(٢) في الغرر ٩٥١: الإحسان.

(٣) علي بن محمد، عيون الحكم و المواعظ (الليثي).

(٤) ج١ ص ٣٥٥.

(٥) محمد محسن بن شاه مرتضى، تفسير الصافي.

(٦) ج ٣ ص ١٧٨.

عَنْ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ عليه السلام: «أَنَّهُ رَأَى يَوْماً جَمَاعَةً فَقَالَ مَنْ أَنْتُمْ قَالُوا نَحْنُ قَوْمٌ مُتَوَكِّلُونَ فَقَالَ مَا بَلَغَ بِكُمْ تَوَكُّلُكُمْ قَالُوا إِذَا وَجَدْنَا أَكَلْنَا وَإِذَا فَقَدْنَا صَبَرْنَا فَقَالَ عليه السلام هَكَذَا يَفْعَلُ الكِلَابُ عِنْدَنَا فَقَالُوا كَيْفَ نَفْعَلُ يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ فَقَالَ كَمَا نَفْعَلُهُ إِذَا فَقَدْنَا شَكَرْنَا وَإِذَا وَجَدْنَا آثَرْنَا»[١].

الثامن: من كان مؤثراً كان موديا لحقوق المؤمنين:

في مستدرك الوسائل عن سِبْطُ الشَّيْخِ الطَّبْرِسِيِّ فِي مِشْكَاةِ الأَنْوَارِ، عَنِ الصَّادِقِ عليه السلام: «أَنَّهُ سُئِلَ مَا أَدْنَى حَقِّ المُؤْمِنِ عَلَى أَخِيهِ قَالَ أَنْ لَا يَسْتَأْثِرَ عَلَيْهِ بِمَا هُوَ أَحْوَجُ إِلَيْهِ مِنْهُ»[٢].

التاسع: إنَّ الإيثار من صفات الأبرار.

فى مستدرك الوسائل عَنْ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ عليه السلام أَنَّهُ قَالَ: «قَدْ فَرَضَ الله التَّحَمُّلَ عَلَى الأَبْرَارِ فِي كِتَابِ الله قِيلَ وَمَا التَّحَمُّلُ قَالَ إِذَا كَانَ وَجْهُكَ آثَرَ مِنْ وَجْهِهِ التَمَسْتَ لَهُ وَقَالَ فِي قَوْلِ الله عَزَّ وَجَلَّ وَيُؤْثِرُونَ عَلىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَقَالَ لَا تَسْتَأْثِرْ عَلَيْهِ بِمَا هُوَ أَحْوَجُ إِلَيْهِ مِنْكَ»[٣].

هذه بعض آثار الإيثار ولعل المتتبع يجد آثاراً أُخرى من خلال استقراء تام للنصوص.

*****

(١) مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل: ج٧ ص٢١٧.

(٢) مستدرك الوسائل ج ٧ ص ٢١٢.

(٣) المصدر.

المبحث الرابع: العباس عليه السلام مدرسة الإيثار في واقعة الطف:

من أبرز شخصيات واقعة الطف بعد الإمام الحسين عليه السلام هي شخصية أبي الفضل العباس عليه السلام بالرغم من وجود شخصيات فذة وكبيرة، فكان بحق وزير الحسين في مشروع كربلاء، وهذا التميز لم يكن نابعاً من كون العباس أخاً للحسين فقط بل لتميُّز العباس بصفات قل نظيرها جعلته بهذا التميز وهذه الصفات كما عبر بعض اساتذتنا: (اصطفائية وليس عصبة عشائرية بشرية عرقية عنصرية)[1].

فكان شجاعاً قوياً صلب الإرادة نافذ البصيرة، كما وصفه الإمام الصادق عليه السلام فقد روى أبو عمر البخاري عن المفضل بن عمر، أنَّه قال: قال الصادق عليه السلام: (كان عمنا العباس بن علي نافذ البصيرة صلب الايمان جاهد مع أبي عبد الله وأبلى بلاءً حسناً، ومضى شهيداً)[2].

ولكن يبقى هناك شيء كان له الأَثر الأوضح في هذا التميُّز، إلَّا وهي صفة الإيثار حيث آثر بنفسه وبشبابه وبأخوته وبعطشه، ففدى بنفسه نفس الحسين عليه السلام وبعطشه عطش الحسين عليه السلام... فكان مدرسة للإيثار تتعلم منه الأجيال دروساً وعبراً.

فإنَّ الإيثار له أصناف ودرجات فقد يؤثر الانسان بالدعاء والعبادة بأنْ يُقدِّم الدعاء

---

(١) الشيخ الاستاذ محمد السند في كتابه الدائرة الاصطفائية الثانية.

(٢) شرح الاخبار ج٣ ص ١٩١.

للناس على الدعاء للنفس كما كان دَأبُ الزهراء عليها السلام، أو يُؤثِر الآخرين بالمال كما ذكرنا ذلك في الروايات المتقدمة، ومنها الإيثار بالنفس كما فعل أبو الفضل العباس عليه السلام.

والإيثار بالنفس يعد من أعلى درجات الإيثار والجود كما عبر الشاعر:

يجود بالنفس إذ ظنَّ الجواد بها والجود بالنفس أقصى غاية الجودِ

فالعباس عليه السلام جاد عِدَّة مرات، جادَ على نفسه إذ لم يشرب الماء لأنَّه تذكَّر عطش الحسين كما سنذكر، وجادَ بنفسه عندما نزل للمعركة فداء للحسين.

وبالرغم من وجود من آثر بنفسه في كربلاء كما دلَّت كلماتهم وهذه جملة من كلماتهم:

أوّلاً: كلمة أهل بيته والتي يقولون فيها: لِم نفعل لنبقى بعدَك لا أرانا الله ذلك أبداً.

ثانياً: كلمة بني عقيل والتي يقولون فيها: لا والله لا نفعل تفديك أنفُسنا وأموالُنا وأهلونا، ونقاتل معك حتى نرد موردك فقبّح الله العيش بعدك.

ثالثاً: كلمة مسلم بن عوسجة والتي يقول فيها: أما والله لا أفارقك حتى أكسر في صدورهم رمحي وأضربُهم بسيفي ما ثبت قائمُه في يدي، ولا أُفارقك ولو لم يكن معي سلاح أقاتلهم به لقذفتُهم بالحجارة دونك حتى أموت معك.

رابعاً: كلمة سعد بن عبد الله الحنفي والتي يقول فيها: والله لو علمتُ أني أُقتلُ ثم أحيا ثم أُحرقُ حيَّاً ثم أُذرُّ يُفعلُ ذلك بي سبعين مرةً ما فارقتُك حتى ألقى حِمامي دونك، فكيف لا أفعل ذلك وإنما هي قتلةٌ واحدةٌ ثم هيَ الكرامة لا انقضاء لها أبداً.

خامساً: كلمة زهير بن القين والتي يقول فيها: والله لوددت أني قُتلتُ ثم نُشرت ثم قُتلتُ حتى أُقتل كذا ألف قتلةٍ وأن الله يدفعُ بذلك القتل عن نفسك وعن أنفُس هؤلاء الفتية من أهل بيتك.

سادساً: كلمة جماعة من أصحابه والتي يقولون فيها: والله لا نُفارقُك، ولكن أنفُسنا لك الفداء تقيك نحورنا وجباهنا وأيدينا فإذا نحن قُتلنا كُنا وفينا وقضينا ما علينا.

سابعاً: كلمة بشر الحضرمي والتي يقول فيها: أكلتني السباعُ حيّاً إن فارقتُك.

ثامناً: كلمة نافع بن هلال والتي يقول فيها: ثكلتني أمي، إن سيفي بألفٍ وفرسي مثلهُ، فو الله الذي مَنَّ بِكَ عليَّ لا فارقتُكَ حتى يَكلا من فري وجري.

تاسعاً: كلمة القاسم بن الحسن عليه السلام لمَّا قال له الحسين عليه السلام يا بني كيف الموت عندك ؟ قال: يا عم فيك أحلى من العسل.

وغيرها من كلماتهم.

ولكن يبقى العباس هو الاكثر إيثاراً من بينهم.

وإليك جُملة من الروايات الدّالة على عظيم إيثاره وتضحيته:

وقد نقلت الروايات هذا المعنى بألسن عديدة، نذكر منها:

اللسان الأوّل: ما ورد فيها كلمة إيثار ومواساة نصاً:

الرواية الأولى في الخصال: عَنْ ثَابِتِ بْنِ أَبِي صَفِيَّةَ[1] قَالَ قَالَ عَلِيُّ بْنُ الحُسَيْنِ عليه السلام : **«رَحِمَ اللهُ العَبَّاسَ ــ يَعْنِي ابْنَ عَلِيٍّ ــ فَلَقَدْ آثَرَ وَأَبْلَى وَفَدَى أَخَاهُ بِنَفْسِهِ حَتَّى قُطِعَتْ يَدَاهُ فَأَبْدَلَهُ اللهُ بِهِمَا جَنَاحَيْنِ يَطِيرُ بِهِمَا مَعَ المَلَائِكَةِ فِي الجَنَّةِ كَمَا جَعَلَ لِجَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَإِنَّ لِلْعَبَّاسِ عِنْدَ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَمَنْزِلَةً يَغْبِطُهُ بِهَا جَمِيعُ الشُّهَدَاءِ يَوْمَ القِيَامَةِ»**[2].

هذه الرواية واضحة في عظيم إيثار العباس عليه السلام وهي صادرة من شاهد حاضر في

---

(١) هو أبو حمزة الثمالي ـ بضم المثلثة و اسم أبيه دينار، كوفيّ مات في خلافة المنصور.

(٢) ابن بابويه، محمد بن على، الخصال – ج١ ص ٤٨

واقعة الطف تحكي لنا قصة إيثار وفداء قام العباس بتسطير حروفها على رمضاء كربلاء كتب فيها فداءه للحسين عليه السلام بنفسه، فحصل بذلك على مرتبة يغبطه عليها كل الشهداء، وهذا النص يعطي منزلة للعباس عليه السلام لم تعط لكل الشهداء، وهذا واضح لأنَّ الإيثار الذي قدمه لم يقدمه غيره، وقد بيَّنا سابقاً أنَّ الإيثار كلما كان أكبر كانت المنزلة أعظم والمقام أعلى.

فقد وقى نفس الحسين بنفسه كما نقل عنه مرتجزاً:

نفسي لنفس الطاهر الطهر وقا

الرواية الثانية: قال السيد ابن طاووس في الإقبال بالأعمال الحسنة: (فصل (١٤) فيما نذكره من زيارة الشهداء في يوم عاشوراء، رويناها بإسنادنا إلى جدّي أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي رحمه الله قال: حدثنا الشيخ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عياش، قال: حدثني الشيخ الصالح أبو منصور بن عبد المنعم بن النعمان البغدادي رحمه الله، قال: خرج من الناحية سنة اثنتين وخمسين ومائتين على يد الشيخ محمد بن غالب الأصفهاني حين وفاة أبي رحمه الله، وكنت حديث السنّ، وكتبت استأذن في زيارة مولاي أبي عبد الله عليه السلام وزيارة الشهداء (رضوان الله عليهم)، فخرج اليّ منه[١]: «... **السَّلامُ عَلى أَبِي الفَضْلِ العَبَّاسِ بْنِ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ، المُواسِي أَخاهُ بِنَفْسِهِ، الآخِذُ لِغَدِهِ مِنْ أَمْسِهِ، الفادِي لَهُ، الواقِي السّاعِي إِلَيْهِ بِمائِهِ، المَقْطُوعَةِ يَداهُ، لَعَنَ اللهُ قاتِلِيهِ[٢] يَزِيدَ بْنَ الرُّقادِ الحَيْتِي[٣] وَحَكِيمَ بْنَ الطُّفَيْلِ الطَّائِي...**»[٤].

فالزيارة المهدوية لعمه العباس تبين مقدار ما آثر به في واقعة الطف حيث قدم نفسه فداء للحسين عليه السلام ولم يشرب الماء مع مكنته منه سعياً لأنْ يشرب الحسين وآل

---

(١) ابن طاووس، علي بن موسى، الإقبال بالأعمال الحسنة ج ٣ ص ٧٣

(٢) (٦) قاتله(خ ل).

(٣) (٧) في البحار: الجهني.

(٤) ابن طاووس، علي بن موسى، الإقبال بالأعمال الحسنة.

الحسين عليه السلام قبله رغم عظيم عطشه.

وقد نُسبَ لأبي الفضل العباس عليه السلام شعراً بذلك.

ففي شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار عليهم السلام[1]: (فهزم القوم ودخل المشرعة وأراد أن يشرب الماء، فذكر عطش الحسين عليه السلام فصبّ الماء من يده، ولم يشرب، وملأ القربة وخرج منها قائلاً:

يا نفس من بعد الحسين هوني ... من بعده لا كنت أن تكوني

هذا حسين شارب المنون ... و تشربين بارد المعين

هيهات ما هذا فعال ديني ... و لا فعال صادق اليقين

اللسان الثاني: ما ورد من تعابير دالة على الإيثار في الزيارة الواردة في حقه:

فقد وردت مجموعة عبائر في زيارته تشير أو تشعر بالفداء العظيم والإيثار الواضح لأخيه الحسين عليه السلام، منها:

العبارة الاولى: إيثار طاعة الله ورسوله وآله وخصوص الحسين على طاعة نفسه وهواها:

ففي كتاب المزار ـ (للمفيد)[2]: «**وَقُلْ السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا العَبْدُ الصَّالِحُ المُطِيعُ للهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَمِيرِ المُؤْمِنِينَ وَلِلْحَسَنِ وَالحُسَيْنِ صَلَّى الله عَلَيْهِمْ وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ الله وَبَرَكَاتُهُ وَمَغْفِرَتُهُ وَرِضْوَانُهُ**».

العبارة الثانية: إيثار الجهاد على الراحة، والمناصحة على الخيانه، من خلال ابراز عنصر الولاء لآل الله والبراءة من أعداء الله.

ففي كتاب المزار: «**أُشْهِدُ الله أَنَّكَ مَضَيْتَ عَلَى مَا مَضَى بِهِ البَدْرِيُّونَ وَالمُجَاهِدُونَ فِي**

---

(١) ج٣؛ ص١٩٢

(٢) ص ١٢٢.

سَبِيلِ اللهِ المُنَاصِحُونَ لَهُ فِي جِهَادِ أَعْدَائِهِ المُبَالِغُونَ فِي نُصْرَةِ أَوْلِيَائِهِ الذَّابُّونَ عَنْ أَحِبَّائِهِ»[١].

العبارة الثالث: المبالغة في النصيحة واعطاء غاية المجهود وترك الراحة والدعة إيثاراً منه لأخيه الحسين ونصيحة لله عزَّ وجلَّ ورسوله ﷺ، وهذه النصرة والمبالغة في النصيحة لم تكن في امر يسير بل في اعظم مشروع ديني يحفظ الاسلام حتى ظهور القائم عجل الله فرجه الشريف ، فهو عليه السلام لم يبذل المجهود بل أعطى غاية المجهود.

ففي كتاب المزار: «أَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَالَغْتَ فِي النَّصِيحَةِ وَأَعْطَيْتَ غَايَةَ المَجْهُودِ.. أَشْهَدُ لَقَدْ نَصَحْتَ للهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَخِيكَ فَنِعْمَ الأَخُ المُوَاسِي»[٢].

العبارة الرابعة: إيثار الدفاع عن الأخ والتضحية بالنفس لأجل بقائه وإيثار نصرته والدفاع عنه في أحنك الظروف ولو كلف ذلك الحياة.

ففي كتاب المزار: «فَنِعْمَ الصَّابِرُ المُجَاهِدُ المُحَامِي النَّاصِرُ وَالأَخُ الدَّافِعُ عَنْ أَخِيه»[٣].

تتمة:

إيثار العباس في بعض الأشعار:

قد كتبت في سيدنا العباس عليه السلام آلاف الأبيات من الأشعار قديماً وحديثاً وثقت بطولاته وتضحياته ومن هذه الأشعار ما وثقت إيثاره الذي هو محل كلامنا، نذكر منها نماذج:

النموذج الأوّل:

ما جاء في شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار عليهم السلام[١]:

---

(١) المصدر والصفحة.

(٢) الصفحة.

(٣) ص ١٢٤.

إني لأذكـــر العبـــاس موقفـــه ... بكـــربلاء وهـــام القـــوم تختلـــف
يحمـي الحسـين ويسـقيه علـى ظمـا ... ولا يـــولي ولا يـــثني ولا يقـــف

النموذج الثاني:

وقال شاعر آخر[٢]:

بـــذلت يـــا عبـــاس نفســـا نفيســـة ... بنصر حسـين عـزّ بالنصـر مـن قبـل
أبيـــت التـــذاذ المـــاء قبـــل التـــذاذه ... فحسن فعال المـرء فـرع مـن الاصـل
فأنـت أخـو السـبطين في يـوم مفخـر ... وفي يوم بذل المـاء أنـت أبـو الفضـل

النموذج الثالث:

وقال شاعر ثالث[٣]:

أحـــق النـــاس أن يبكـــى عليـــه ... إذا ابكـــى الحســـين بكـــربلاء
أخـــوه وابـــن والـــده علـــي ... أبـــو الفضـــل المضـــرّج بالـــدماء
و مـــن واســـاه لا يثنيـــه شـــيء ... و جـــاء لـــه علـــى عطـــش بمـــاء

النموذج الرابع:

حتّـى حـوى بحرهـا الطـامي فـراتهم ... والجـاري ببحـر مـن الهنـديّ ملـتطم
فكـفّ كفّـاً مـن الـورد المبـاح وفي ... أحشـائه ضـرم ناهيـك مـن ضـرم

---

(١) ج ٣ ص ١٩٣.
(٢) المصدر السابق.
(٣) المصدر السابق.

وهـل تـرى صـادقاً دعـوى إخوتـه روى حشـاً وأخـوه في الهجـير ظمـي
حتّـى مـلا مطمـئنّ الجـاش قربتـه ثم أنـثنى مسـتهلاً قاصـد الحـرم

إلى غيرها من مئات القصائد وآلاف الأبيات.

*****

والنتيجة:

إنَّ الإيثار صفة سامية وخصلة حميدة تدلُّ على علوِّ مقام صاحبها وارتفاع منزلته وتكشف عن وجود ملكات أخلاقية أهَّلته أنْ يحصل على هذه الصفة فلا يرى لماله أو منافعه أو نفسه قيمة إذا ما جازَ له أن يؤثِر الآخرين بها ويقدمهم على مصالحه ونفسه.

وقد مثَّل ذلك كله سيدنا العباس عليه السلام ـ في واقعة الطف ـ عندما جادَ بكل ما يملك دفاعاً عن أخيه الحسين عليه السلام عن عقل وبصيرة ودين وكان بحق الشخصية الثانية بعد إمامه الحسين عليه السلام في واقعة الطف، فكان حامل اللواء والمواسي للعيال والنساء والمفدي روحه لسيِّد الشهداء عليه السلام، فسلامٌ عليه يوم ولد ويوم استشهد ويوم يبعث حياً.

البحث السابع:

دور زيارة الاربعين
في صناعة الشخصية المهدوية

دور الاربعين في صناعة الشخصية المهدوية

مقدمة:

من أهم الارصدة المعنوية الماضية التي يمتلكها اتباع مذهب آل البيت عليهم السلام هو وجود امام ثائر عندهم، كانت وما زالت ثورته نبراس الثورات وتضحيته ام التضحيات وحرارة مقتله من اشد المهيجات، فتولد لديهم ببركة ثورته ما لم يتولد عند غيرهم وهو عنصر الاصلاح لا لمصلحة دنيوية ولو كلف ذلك الحياة، وان الذلة لا وجود لها في صفحة الحياة... ايمانا منهم بتضحياته وبكلماته... والتي منها:

«ما اخرجت اشرا ولا بطرا وانما لطلب الاصلاح...»[1]

«... هيهات منا الذلة...»[2]

«... لا اعطي بيدي اعطاء الذليل ولا اقر لكم اقرار العبيد...»[3]

«... مثلي لا يبايع لمثله...»[4]

---

(١) مثير الاحزان: ص ٤.

(٢) الاحتجاج: ج٢ ص٣٠٠.

(٣) بحار الانوار: ج٤٥ ص٧.

(٤) مثير الاحزان: ص٢٤.

ومن الارصدة المعنوية المستقبلية التي يمتلكها اتباع مذهب آل البيت عليهم السلام الايمان بالأمام الغائب المنقذ الذي يملؤها قسطا وعدلا بعد ما ملئت ظلما وجورا، وانه امامهم الثاني عشر وهذا الايمان هو مما يحفزهم على العمل الجاد في التمهيد لظهوره والاستعداد للانخراط تحت قيادته والانتظار لفرجه.

فان الانتظار للأمام المنقذ عجل الله فرجه من اهم المحفزات على العمل الديني والاجتماعي والاعداد لذلك من اهم الطاعات.

فبين تراث الماضي وامل المستقبل تكون الحاضر الإيماني والتعبوي لدى اتباع الحق وتولدت حالة معنوية عالية تمخض منها عدة فعاليات وعبادات وتحركات.

منها: الروح الجهادية والقتالية التي يمتلكها الاتباع دون غيرهم ونموذج الحشد الشعبي شاهد على ذلك، وهذا يحتاج الى افراد ابحاث مستقلة للوقوف على هذه الظاهرة.

ومنها: عدم الانصياع للحكومات الظالمة وعدم الارتباط بها من كل النواحي.

ومنها: الاستقلالية في ادارة المذهب فكريا واقتصاديا وعدم الارتباط باي اجندة.

وغيرها العشرات.

ومن هذه الفعاليات العبادية المهمة فعالية الزيارة الاربعينية المقدسة، فهذه الفعالية تميزت بربط الماضي الحسيني بالمستقبل المهدوي لتوليد حاضر يفرض علينا واقعا يجعلنا ننظم انفسنا من كل النواحي استعدادا وتمهيدا لدولة الحق.

فالذي يطلع على وقائع زيارة الاربعين وما يراه من تجمهر عشرات الملايين زمانا ومكانا وبلغات وقوميات وتوجهات شتى ـ يجمعهم رجل واحد اسمه الحسين عليه السلام وينادون بنداء واحد هو اللهم عجل لوليك الفرج وسهل له المخرج ـ يرى بوضوح ان تلك الزيارة من اهم ممهدات الظهور.

وفي هذا البحث المختصر نقف على اهم تلك المعطيات التي لها دور في الظهور، وسنغض النظر عن ما للزيارة من اهمية واضحة ومعطيات جمة في شتى المجالات، لان هدفنا هو التركيز على هذه المفردة العظيمة وهو دور الاربعين في التمهيد للظهور وصناعة الشخصية المهدوية.

فالتمهيد وانتظار الفرج اهم المفردات التي تشغل ذهن البشرية المؤمنة، فالعمل عليه ومعرفة ما يقرب الظهور ويرفع الموانع من اهم العبادات في الغيبة كما ورد في الروايات افضل الاعمال انتظار الفرج، ففي الإمامة والتبصرة من الحيرة: «**ان النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: أَفْضَلُ أَعْمَالِ أُمَّتِي انْتِظَارُ الفَرَجِ، وَلَا يَزَالُ شِيعَتُنَا فِي حُزْنٍ حَتَّى يَظْهَرَ وَلَدِيَ الَّذِي بَشَّرَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّهُ يَمْلَأُ الأَرْضَ عَدْلًا وَقِسْطاً، كَمَا مُلِئَتْ ظُلْماً وَجَوْراً**».[١]

ولكن ليس كل انتظار هو ممدوح وانما الانتظار مع الايمان والعمل الجاد في التمهيد للإمام عليه السلام والعمل طبقا لمراد الشريعة لا الانتظار مع الخمول واليأس وارتكاب المحرمات والتسليم للظلم والظالمين.

وهناك جملة من الاعمال تمهد للظهور وترفع بعض موانعه وهي تقع على عاتق المؤمنين، منها اكمال عدة (٣١٣)[٢] الذين يشكلون النواة القيادية الاولى حول الامام عليه السلام ومنها الدعاء له بالفرج وغيرها، ففي الرواية: «**فَإِذَا اجْتَمَعَتْ لَهُ هَذِهِ العِدَّةُ مِنْ أَهْلِ الإِخْلَاصِ أَظْهَرَ أَمْرَهُ**»[٣]، فظاهر الرواية ان اجتماع العدة (٣١٣) شرط لإظهار امره.

---

(١) ابن بابويه، على بن حسين، الإمامة و التبصرة من الحيرة ص ٢١.

(٢) كفاية الأثر في النص على الأئمة الإثني عشر؛ ص ٢٨١ ما روي عن ال البيت عليهم السلام متواترا في ان عدة اصحاب الامام الحجة (٣١٣): منها ما روي: (... يَجْتَمِعُ إِلَيْهِ مِنْ أَصْحَابِهِ عَدَدُ أَهْلِ بَدْرٍ ثَلَاثُمِائَةٍ وَ ثَلَاثَةَ عَشَرَ رَجُلًا مِنْ أَقَاصِي الأَرْضِ وَ ذَلِكَ قَوْلُ الله عَزَّ وَ جَلَ أَيْنَ ما تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ الله جَمِيعاً إِنَّ الله عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ فَإِذَا اجْتَمَعَتْ لَهُ هَذِهِ العِدَّةُ مِنْ أَهْلِ الإِخْلَاصِ أَظْهَرَ أَمْرَهُ فَإِذَا أُكْمِلَ لَهُ العَقْدُ وَ هِيَ عَشَرَةُ آلاف [آلَافِ] رَجُلٍ خَرَجَ بِإِذْنِ الله فَلَا يَزَالُ يَقْتُلُ أَعْدَاءَ الله حَتَّى يَرْضَى الله تَبَارَكَ وَ تَعَالَى...).

(٣) المصدر السابق. وقد بحثت ذلك في بحث مستقل قد يطبع لاحقا.

ومن جملة الممهدات والمربيات لمجتمع الظهور هي زيارة الاربعين لما لها من ابعاد مختلفة وعديدة، نحاول التركيز عليها وبيانها وتطويرها والدفع بالمؤمنين نحو جعلها من الطرق العبادية التي يتمسك بها لبناء شخصية الظهور.

ونطرح دور الاربعين في البناء للظهور في محاور هذا مجملها:

الاول: البناء المعنوي والروحي.

الثاني: البناء الاقتصادي.

الثالث: البناء التعبوي.

الرابع: البناء الاجتماعي.

الخامس: البناء الفكري والعلمي.

السادس: البناء الامني.

السابع: البناء الاخلاقي.

الثامن: المحور العسكري.

التاسع: المحور الاعلامي.

العاشر: المحور التمريني والتدريبي.

الحادي عشر: المحور التكافلي.

الثاني عشر: البناء السياسي.

تفصيل المحاور:

المحور الأول: البناء المعنوي والروحي

من أهم ما يساهم في التمهيد للظهور هو بناء شخصية معنوية وروحية لدى المؤمن تؤهله لنصرة القيام المهدوي، وهناك آليات عديدة لبناء الشخصية الإسلامية عموما ولعل أهم تلك الآليات هو اتخاذ القدوة الحسنة والسير على نهجها والتزود بالعلم والمعرفة وغيرها، وبناء هكذا شخصية يجعل الانسان قويا عند الشدائد صبورا عند النوائب عزيزا يأبى الذل شجاعا لا يعرف الجبن صادقا لا يكذب امينا لا يخون... الخ.

ومن الآليات المهمة ايضا هو انتهاج السلوك العبادي واتخاذه وسيلة للتقرب لله وبناء ملكات وفضائل وكسر الشهوات ومحو الرذائل، فالصلاة مثلا لها اثارها المعنوية الكبيرة كما نطقت الآيات والروايات، فهي تعطي حصانة للإنسان عن الوقوع في الفحشاء والمنكر ــ ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر[1] ـ وهي وسيلة للتقرب للساحة الالهية والابتعاد عن الخطط الشيطانية ـ الصلاة قربان كل تقي[2] ــ وهي سبيل للعروج الى الرب ــ الصلاة

---

(١) العنكبوت: ٤٥.

(٢) الكافي: ج٣ ص٢٦٥.

ميزان امتي[١] ـ الى غير ذلك من الاثار.

وهكذا الصوم والحج والجهاد واداء الحقوق الشرعية وغيرها كل له اثاره وبناءه لشخصية الانسان المومن وتربيتها تربية اسلامية.

وزيارة الاربعين ـ وبالخصوص مشيا ـ تمثل ممارسة عبادية متنوعة وطويلة الامد زمانا ومسافة ـ تشابه الى حد ما موسم الحج من حيث التنوع العبادي والجهد المعنوي والتعبوي، فيمارس فيها مجموعة من العبادات كالزيارة والصلاة ـ وخصوصا صلاة الجماعة ـ والتسبيح والوعظ والارشاد والامر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعاء والمشي ـ بناء على عباديته ـ وغيرها.

وهذه الممارسات العبادية المتنوعة تخلق ـ خصوصا مع طول امدها واستمراريتها ـ جوا روحيا عاليا من خلال ما يحصده المؤمن من حسنات ومحو للسيئات ورفع للدرجات وتوطين النفس على الصعوبات، وخصوصا المشي مع تحمل المتاعب والحر والبرد وتورم الاقدام وتغير اللون وذبول الشفاه والجوع والخوف ـ كما في زمن الطغاة ـ وغيرها من الصعوبات.

وهذا يخلق شخصية دينية صلبة الايمان كي تكون مؤهلة ومستعدة لنصرة الامام الحجة ﷺ مما يوفر احد مقتضيات تعجيل الظهور وهو وجود الموارد البشرية الناضجة والمستعدة استعدادا حقا لنصرة المنقذ سواء من عدة (٣١٣) او من عدة (١٠٠٠٠) كما نطقت الروايات، منها: «... **فَإِذَا أُكْمِلَ لَهُ العَقْدُ وَهِيَ عَشَرَةُ ألف [آلَافٍ] رَجُلٍ خَرَجَ بِإِذْنِ الله فَلَا يَزَالُ يَقْتُلُ أَعْدَاءَ الله حَتَّى يَرْضَى الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى**»[٢]، فاكمال العدة يمثل احد المقتضيات المهمة للظهور، فلا يبقى الا بعض المقتضيات الاخرى وزوال المانع.

---

(١) الجعفريات: ص ٣٣.

(٢) كفاية الأثر في النصّ على الأئمة الإثني عشر ص ٢٨١

بعض روايات المشي وأجرها:

لذا وردت روايات في المشي واهميته العبادية نذكر منها وهي مستفيضة بل متواترة وفيها الصحاح فلا حاجة لبحث سندها، منها:

١ ـ عن ابى الصامت قال سمعت ابا عبد الله عليه السلام يقول: «**مَنْ أَتَى قَبْرَ الْحُسَيْنِ عليه السلام مَاشِياً كَتَبَ اللهُ لَهُ بِكُلِّ خُطْوَةٍ الفَ حَسَنَةٍ وَمَحَا عَنْهُ الفَ سَيِّئَةٍ وَرَفَعَ لَهُ الفَ دَرَجَةٍ...**»[١].

٢ـ عن على بن ميمون الصائغ عن ابي عبد الله عليه السلام قال: «**يَا عَلِيُّ زُرِ الْحُسَيْنَ وَلَا تَدَعْهُ قَالَ قُلْتُ مَا لِمَنْ أَتَاهُ مِنَ الثَّوَابِ قَالَ مَنْ أَتَاهُ مَاشِياً كَتَبَ اللهُ لَهُ بِكُلِّ خُطْوَةٍ حَسَنَةً وَمَحَى عَنْهُ سَيِّئَةً وَرَفَعَ لَهُ دَرَجَةً فَإِذَا أَتَاهُ وَكَّلَ اللهُ بِهِ مَلَكَيْنِ يَكْتُبَانِ مَا خَرَجَ مِنْ فِيهِ مِنْ خَيْرٍ وَلَا يَكْتُبَانِ مَا يَخْرُجُ مِنْ فِيهِ مِنْ شَرٍّ وَلَا غَيْرَ ذَلِكَ فَإِذَا انْصَرَفَ وَدَّعُوهُ وَقَالُوا يَا وَلِيَّ اللهِ مَغْفُوراً لَكَ أَنْتَ مِنْ حِزْبِ اللهِ وَحِزْبِ رَسُولِهِ وَحِزْبِ أَهْلِ بَيْتِ رَسُولِهِ وَاللهِ لَا تَرَى النَّارَ بِعَيْنِكَ أَبَداً وَلَا تَرَاكَ وَلَا تَطْعَمُكَ أَبَداً**»[٢].

٣ ـ عن بشير الدهان عن ابي عبد الله عليه السلام: «**إِنَّ الرَّجُلَ لَيَخْرُجُ إِلَى قَبْرِ الْحُسَيْنِ عليه السلام فَلَهُ إِذَا خَرَجَ مِنْ أَهْلِهِ بِأَوَّلِ خُطْوَةٍ مَغْفِرَةُ ذُنُوبِهِ ثُمَّ لَمْ يَزَلْ يُقَدَّسُ بِكُلِّ خُطْوَةٍ حَتَّى يَأْتِيَهُ فَإِذَا أَتَاهُ نَاجَاهُ اللهُ تَعَالَى فَقَالَ عَبْدِي سَلْنِي أُعْطِكَ ادْعُنِي أُجِبْكَ اطْلُبْ مِنِّي أُعْطِكَ سَلْنِي حَاجَةً أقضيها**»[٣].

وغيرها.

فالروايات واضحة في دور المشي لزيارة الحسين عليه السلام في البناء المعنوي وتحصيل

---

(١) كامل الزيارات ص ١٣٢

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

الاجر الرافع للدرجات وهو مما تحتاجه الشخصية الممهدة للامام الحجة ﷺ خصوصاً مع اقتران الزيارة بالدعاء بالفرج من قبل هذا الزائر الذي يقول له الله تعالى ـ كما في الرواية الماضية ـ (ادعني اجبك...).

المحور الثاني: البناء الاقتصادي

ان القوة الاقتصادية وتامين الوضع المالي من اهم مقومات نجاح الامم والحركات بعد الموارد البشرية، وكذلك معرفة كيفية ادارة المال وعدم الاسراف به والتبذير وحسن الاقتصاد بالصرف يشكل قوامة اقتصادية اخرى.

فالمال والاقتصاد له اهمية في البناء الاجتماعي والفردي ودوره مهم في خلق حياة سعيدة واسرة صالحة وحياة امنة ـ كونه احد مقوماتها ـ ولا يعني ذلك انه علة تامة لتلك الامور بل قد يكون وبالا على الانسان اذا لم يحسن التصرف، فهو سلاح ذو حدين.

والقران في اللحظة التي يبين ان المال زينة ـ المال والبنون زينة الحياة[١] ـ يبين ان المال فتنة ـ انما اموالكم واولادكم فتنة[٢] ـ فهو زينة ومفاد ايجابي اذا صانه ووضعه في موضعه واتخذه وسيلة للأخرة وكفى به نفسه وعياله ومجتمعه وامته الاسلامية وقضى حوائجهم، وهو فتنة وعذاب اذا ما ضيعه وبذره وجعله وسيلة للدنيا والشهوة والحرام وانتهاك الاعراض وقتل النفوس. وكذلك الروايات بينت هذه الحقيقة ومدحت المال مع الدين وذمت المال اذا كان وسيلة للعصيان ووازنت بين النظرتين[٣].

ومن الممارسات الايجابية للمال والاقتصاد هو ما تقوم به الجموع المؤمنة من

---

(١) الكهف: ٤٦.

(٢) الانفال: ٢٨.

(٣) راجع (بحار الانوار) ج ٦٩ ص ٥٧ وما بعدها حيث وازن بين اشكالية كون المال فتنة وكونه زينة.

ممارسات عبادية في الاربعين وتوظيف القوة المالية في احياء هذه المناسبة ــ من خلال الصرف المالي على المواكب واطعام الاطعام الذي تمارسه المواكب لملايين الزائرين ـ وهذا ما يمثل قوة اقتصادية كامنة في الامة الحسينية التي هي امة الامام المهدي ﷺ وناصرته، فلا ميزانية مالية ولا دعم دولة ولا حزب وانما هي تمويل من شعب الحسين لزوار الحسين عليه السلام، وهذا التمويل الهائل ما هو إلَّا ممارسة وتدريب اقتصادي على الصرف المالي المنضبط الذي يمارسه الممهدون للظهور وثقافة متقنة على الصرف والبذل في سبيل الدين وانجاح الثورة المهدوية.

وهذه الممارسة والاستعداد للصرف بل والصرف الفعلي لم يكن لولا هذه الزيارة المباركة، فاذا كان عصر الظهور فلا يجد المؤمن حرجا في الصرف المالي بعد ان مارس الصرف لعشرات السنين على جمهور الحسين عليه السلام.

خصوصا وان بعض المؤمنين يقاسم زوار الحسين عليه السلام قوت عياله ومونته السنوية لكي ينفقها في موسم الزيارة بل بعضهم ـ كما سمعت ورأيت بأم عيني ــ يبيع بيته او سيارته ويشتري ما هو اقل منهما اذا لم يكف ما جمعه للموسم.

فهكذا عمل يصدر من هكذا شعب حسيني يؤهلهم لتكوين مجتمع مهدوي يقود الامة الى بر الامان ويبني اقتصادا رصينا يكف حاجة الامة.

المحور الثالث: البناء التعبوي

من المفاهيم المهمة في عالم الدعوة وتجميع الجماهير والانصار هو مفهوم التعبئة وهي قوة شعبية كامنة او ظاهرة لها حضورها في كل نواحي الحياة لخدمة قضية ما تهم الوطن او المواطن، وهي على انواع فقد تكون تعبئة عسكرية او اعلامية او اجتماعي او غيرها.

ومن اهم انواعها هو التعبئة الاجتماعية وهي تحريك واستنفار المجتمع بكل قطاعاته للمشاركة الإيجابية لتحقيق الأهداف المطلوبة. ولا بد أن تشمل التعبئة الاجتماعية جميع قطاعات المجتمع من المسؤولين الرسميين والسياسيين، قادة الرأي، القادة المحليين وجموع المواطنين (نساء، رجال، بل الأطفال من مدارسهم).

وهذا ما يحصل فعلا في زيارة الاربعين فان هناك تعبئه جماهيرية عامة لتحقيق هدف ديني هام في حياة الفرد والمجتمع.

فمن اهم ما تحتاجه كل دعوة سماوية اكانت ام ارضية هو وجود قوة معنوية او مادية او شخصية قيادية تمتلك (كاريزما) عالية تستطيع ان تخلق جمهورا واتباعا من خلال التعبئة الجماهيرية الواسعة التي تقدم الولاء والخدمة مجانا وبلا مقابل.

والذي يلاحظ زيارة الاربعين لا يجد اي مجهود في التعبئة الجماهيرية بل الجمهور مقبل على الزيارة وعلى الخدمات بلا نظير بل كثير من الجماهير ينفق اموالا وجهدا مضاعفا في تلك الايام ويبتهج بذلك الصرف وبهذا الجهد.

وهذا العمل التطوعي العظيم لا تجد له نظير في كل العالم وهو مفخرة يتميز بها اتباع ال البيت عليهم السلام وهو من ثمرات الثورة الحسينية الخالدة.

وهذه التعبئة الجماهيرية في الزيارة انما هي صورة من صور التعبئة للإمام المهدي عجل الله فرجه حال قيامه بالثورة العالمية المباركة.

فالجمهور الحسيني معبأ للحركة المهدوية ومستعدا لها على احسن ما يكون، فلا نحتاج ان نعد برامجا تعبويه كثيرة لأجل الحركة المهدوية ـ من هذه الجهة ـ لانها معدة اعدادا واضحا وبخبرة تمتد مئات السنين، نعم نحتاج الى برامج مهدوية اخرى من جهات اخرى.

فدور زيارة الاربعين في تعبئة المؤمنين تعبئة مهدوية واضحة وفعالة من خلال الحرارة التي تكونت في قلبهم بمقتل الحسين عليه السلام.

المحور الرابع: البناء الاجتماعي

من أهم ما يميز المجتمع الناجح والصالح هو قوة الترابط الاجتماعي بين افراده وعملهم كخلية النحل الواحدة لإنجاز مهامهم المناطة بهم، مما يساعد على البناء السليم لكل مفاصل الحياة سواء كانت فردية او اجتماعية ويساعد على ان ينال كل فرد فرصته في الحياة.

لذا نجد الروايات اهتمت كثيرة بالترابط الاجتماعي بين كل افراد المجتمع سواء كانوا من الارحام أم لا، ومن هذه الروايات:

عن مرازم قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «**عليكم بالصلاة في المساجد وحسن الجوار للناس وإقامة الشهادة وحضور الجنائز، إنه لا بد لكم من الناس إن أحداً لا يستغني عن الناس حياته والناس لا بد لبعضهم من بعض**»[1].

وعن حبيب الخثعمي قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «**عليكم بالورع والاجتهاد واشهدوا الجنائز وعودوا المرضى واحضروا مع قومكم مساجدكم وأحبوا للناس ما تحبون لأنفسكم أما يستحيي الرجل منكم أن يعرف جاره حقه ولا يعرف حق جاره**»[2].

وعن زيد الشحام عن أبي عبد الله عليه السلام: «**... صلوا عشائركم واشهدوا جنائزهم وعودوا مرضاهم، وأدوا حقوقهم، فإن الرجل منكم إذا ورع في دينه وصدق الحديث وادي الأمانة وحسن خلقه مع الناس قيل هذا جعفري فيسرني ذلك ويدخل علي منه السرور...**»[3].

---

(١) الكافي: ج٢ ص٦٣٥.

(٢) المصدر والصفحة.

(٣) المصدر ص٢٣٦.

إلى غيرها من الروايات وآداب التعاشر والترابط الاجتماعي[١].

وبالمقابل من اهم ما يدمر المجتمع هو كثرة النزاعات والخلافات والتحزبات وتحوله الى شيع يتلاعب به الظلمة ـ ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلاَ فِي الأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعاً يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾[٢] ـ وهذه سنة قائمة يتخذها الظالمون لأضعاف المجتمع.

كما ان التنازع سبباً واضحاً لهدر الطاقات وضياع الفرص والتراجع الفردي والاجتماعي على كل المستويات.

لذا يحرص علماء الاجتماع في البلدان على خلق جو اجتماعي بين افراد مجتمعاتهم بعيدا عن الخلافات والصراعات والشتات والحرص على خلق روح التعاون والمحبة وتقوية الروابط الاجتماعية والاسرية.

والذي يلاحظ الزيارة الاربعينية يرى قوة الترابط بين افراد الزائرين كبارا وصغارا رجالا ونساء اثرياء وفقراء رؤساء ومرؤوسين، فلا تميز بين غني او فقير ولا بين مشهور او مغمور... الخ.

فالكل سواسية بل في بعض الاحيان ينقلب الميزان وترى الكبير يخدم الصغير او المشهور يخدم المغمور او الرئيس يخدم المرؤوس وهكذا.

فترى الترابط الاجتماعي بأعلى صورة وبأجمل ما يكون، وكأنك تسير في مجتمع ملائكي وهذا البناء انما هو بناء نابع من هذه الزيارة المباركة.

وهذا الترابط الاجتماعي ليس بين مدينة ومدينة بل بين دولة ودولة بل بين دول ودول

---

(١) راجع (آداب العشرة في الوسائل) أو غيرها من الموسوعات الحديثية.

(٢) القصص: ٤.

وشعوب وشعوب، فان هناك جماهير من عشرات الدول تلتقي فيما بينها فتكون اواصر ووشائج قوية.

وهذا فضلا عن ان هناك حواجز اجتماعية ونفسية وثقافية بين شعوب بعض البلدان والبلدان الاخرى بسبب حروب او غيرها، ولكننا نراها قد ذابت بسبب هذا الملتقى العام الحاصل في زيارة الاربعين.

فزيارة الاربعين تجعل الترابط الاجتماعي ليس بين ابناء بلد ما فحسب بل بين الشعوب والبلدان الاخرى مما يعزز خلق نسيج اجتماعي كبير يربط دولا وشعوبا فيما بينها بالرغم من اختلافها باللغة او اللون او الثقافة او غيرها لخلق مجتمع مهدوي منسجم فيما بينه مما يسهم في الظهور.

ان زيارة الاربعين تلغي الطبقية وتلغي القطرية وتلغي العرقية وتلغي القومية وتلغي العنصرية وتخلق مجتمع مترابط يرتبط بمنقذ عالمي اسمه المهدي عجل الله فرجه.

فزيارة الاربعين تعمق الوجود التعارفي الذي خلق له الانسان كما عبرت الآية: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[1].

ان زيارة الاربعين فرصة كبيرة للانفتاح الحضاري بين امة الايمان ومجال لحوار الحضارات على اسس دينية تدعونا الى الانتظار للإمام والاعداد له كل من دولته ولغته وعرقه وقوميته، فيكون ذلك تمهيد ودعوة الى عالمية الامام الحجة عجل الله فرجه.

المحور الخامس: البناء الفكري والعلمي

ان تحصين الامة فكريا وعلميا من اهم الواجبات التي تقع على عاتق المؤسسات

(١) الحجرات: ٢٦.

الدينية، ولعل تسويق المعلومة الى الجمهور يعد من اهم المشكلات التي تواجه المبلغ.

لذا يجب علينا استثمار المواسم التي يسهل فيها تسويق المعلومات الى الجمهور، والمتابع لسيرة النبي وال البيت عليهم السلام يرى انهم يدأبون على استثمار المواسم العبادية لإيصال صوتهم للجماهير كما في مواسم الحج والعمرة وصلاة العيد والجمعة والجماعة والمجالس والمآتم الحسينية.

لذا كانت لهم خطب وكلمات ومواقف في تلك المواسم سجلها التاريخ ونقلتها الاحاديث.

ولعل شعائر الحسين عليه السلام عموما وزيارة الاربعين خصوصا من اهم ما يسوق المعلومات الدينية للجمهور في هذه الايام.

ان خلق مجتمع متعلم على سبيل النجاة يعد من أهم ركائز البناء الديني للفرد والمجتمع بل هو قوام للدين والدنيا، كما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام: «**قوام الدين والدنيا بأربعة عالم مستعمل علمه وجاهل لا يستنكف ان يتعلم...**»[1].

ومن جملة البناء الديني المهم في عقيدة المومن هو بنائه مهدويا وذلك من خلال استثمار ذلك الموسم لتبليغ القضية المهدوية للناس وتعريفهم بتفاصيلها وتحصينهم فكريا ضد الدجالين والمدعين والمشوهين.

فيكون موسم الزيارة موسم تبليغ وترويج لقضية الامام المهدي عجل الله فرجه، ويقع هذا التبليغ على عاتق الجميع ـ خصوصا اهل التخصص بالقضية المهدوية ـ من خلال المحاضرات والارشادات والنشرات والكتب وغيرها.

فالزيارة فرصة كبيرة لتسويق القضية المهدوية للعالم ككل وتوعية الجماهير بها

---

(١) جامع احاديث الشيعة ج ١٣ ص ٥٤٠.

والتركيز على عنصر الانتظار والاستعداد للظهور وبناء الدولة العالمية الالهية المنقذة لكل الشعوب المظلومة.

ومن نماذج ذلك:

أولاً: العمل على ازالة الشبهات التي تثار حول قضية الامام المهدي ﷺ كولادته وطول عمره وفائدته في زمن الغيبة وارهاصات ظهوره وغيرها.

ثانياً: رد الشبهات المعاصرة كشبهة ابن كويطع وغيره بطرق علمية مبسطة.

ثالثاً: تشخيص القضايا المهدوية المهمة وبيانها للمجتمع بطرق سهلة ومناسبة.

ويتم ذلك من خلال:

١. عقد الندوات والبرامج المهدوية في وسائل الاعلام وخصوصا المرئية.

٢. اجراء المسابقات العامة للاستكتاب في قضايا معاصرة تخص القضية المهدوية.

٣. اجراء المسابقات العامة بين المؤمنين من خلال طرح اسئلة والاجابة عنها.

٤. الكتابة بالصحف والمجلات العامة وخصوصا المجلات العالمية وبلغات مختلفة لإيصال القضية المهدوية للعالم.

٥. ارسال المبلغين المتخصصين الى المجتمع لتبليغ القضية المهدوية واستثمار المواسم العامة لذلك.

٦. حث الخطباء عموما وخطباء المنبر الحسيني خصوصا على طرح القضية المهدوية وكتابة محاضرات تخصصية لهم في ذلك.

٧. انشاء مراكز تخصصية علمية وبحثية في الامام المهدي ﷺ وابعاد حركته.

٨. انشاء مؤسسات تهتم بإقامة فعاليات ميدانية وكشافة ومخيمات ودورات للجامعيين وطلاب المدارس تعرفهم بالأمام المهدي وحركته.

وغيرها من الوسائل[١].

---

(١) للمزيد يراجع العدد ٢ مجلة الموعود ص ٢٩٥.

المحور السادس: البناء الامني

تشكل الحصانة الامنية للشعوب والدول ركيزة اساسية في البناء السليم لها ودفع المخاطر عنها، لذلك تقاس قوة الدول وقدرتها على مقاومة المخاطر بقوة نظامها الامني العام.

ان التحصين الامني يعد اليوم من اهم مقومات النجاح لأي حركة تريد الاصلاح والتغيير، وهذا التحصين الامني لا ينفع كثيرا اذا لم يخرج من النظرية الى التطبيق فلا يكتفى بمعرفة البناء الامني والمباني الامنية من دون ان تحول تلك المعرفة الى تطبيق عملي على ارض الواقع.

وآل البيت عليهم السلام جعلوا نظاما امنيا كبيرا ـ يستحق دراسات مستقلة ـ في كيفية التعامل مع الصديق والعدو، ولعل اهم مفاصلة روايات التقية[١] وروايات كشف الاسرار والاذاعة[٢]، فهي تؤسس لنظام امني مركز في التعامل العام وكيفية تحصين الامة المؤمنة.

وزيارة الاربعين هي بناء وتدريب أمني معمق لعموم المكلفين وبالأخص لأصحاب المسؤولية في المواكب والزيارة.

فهم يعملون على عدم السماح بالاختراق لأي شخص غريب او غير معرف سواء داخل الموكب او اثناء المسير او ممن يوزع الطعام او غيرها من الخدمات، وحتى من يشتبه به يبقى تحت المراقبة والاختبار حتى يرفع اللبس عنه ويتبين امره.

وهذا ملاحظ بشكل كثير خصوصا من له تجربة عملية مع اصحاب المواكب والخدمات والزائرين، فهم يلاحظون حركات وتصرفات وسكنات الزائر وتوجهاته وحتى

---

(١) وسائل الشيعة: ج١٦ ص٢٠٣.

(٢) المصدر ص٢٤٧.

كلامه ومواقفه، ويسهرون الى الصباح للحفاظ على امن الزائر وممتلكاته وحرمته. خصوصا امن الزائرات المؤمنات، لذا ترى ان المرأة تعيش ايام الزيارة حالة من الامن من كل النواحي فلا تخاف على عرضها ولا على مالها ولا على حياتها ما دامت سائرة في هذا الطريق المبارك، وحتى الزائرات الاجنبيات عن العراق يسرن لوحدهن بل احيانا امرأة منفردة لوحدها تسير بلا خوف.

وهذا كله بسبب النظام الامني العالي الذي يكتنف الزيارة، وهو يفوق اي نظام امني في العالم وفي اعظم الدول الامنية، فلا تجد مشاكل ولا تعديا ولا غير ذلك وهذا لا يحصل في اعظم المجتمعات بسبب الاحتكاك والاختلاط.

وفي هذا الصدد نقل لي احد اساتذتي عن احد السياسيين العراقيين ان احد القادة الامنيين الامريكيين رأى زيارة الاربعين ــ ابان الاحتلال الامريكي للعراق ــ وان هذا الامريكي كان يقول: (اني اتعجب من الشعور بالأمن طوال زيارة الاربعين وعدم وجود المشاكل بين الزائرين وعدم التعدي على حرمة الزائرات طوال وقت الزيارة، والحال اننا في امريكا لو اصبح خلل في الطاقة الكهربائية في واشنطن او نيويورك لكانت مئات حالات الاغتصاب والتعدي والسرقة والخ، ثم قال لي اي شخص ربى هكذا مجتمع ؟ فقلت ان الذي رباه شخص اسمه الحسين عليه السلام).

فهذا البناء العملي الامني يعطينا دروسا عملية تنفعنا كثيرا في التمهيد للحركة المهدوية المباركة والحفاظ عليها ومراقبة من يسير فيها.

المحور السابع: البناء الاخلاقي

من اهم المبادئ التي ركز عليها التشريع هو خلق ملكات اخلاقية وصفات نفسانية في الفرد والمجتمع، وقد دأب المشرع على التنظير لذلك بعشرات الآيات ومئات الروايات

من جهة وارسل ائمة وانبياء بمكارم الاخلاق العظيمة عمليا من جهة اخرى.

وزيارة الاربعين تعتبر من الدروس الاخلاقية العملية التي تكون ملكات اخلاقية من جهة وتكشف عمليا عن مستوانا الاخلاقي ودرجته من جهة اخرى.

ففي زيارة الحسين عليه السلام مشياً عدة معطيات اخلاقية نذكرها اجمالا:

١. **الصبر:** فان الصبر قيمة اخلاقية عالية اكدت عليها الآيات والروايات واليك جملة منها:

اما الآيات كما في قوله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الخَوْفِ وَالجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الأَمْوَالِ وَالأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ المُهْتَدُونَ﴾[١].

اما الروايات: فنمها:

ما عن أَبِي بَصِيرٍ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ الله عليه السلام يَقُولُ: «... **الصَّبْرُ يُعْقِبُ خَيْراً فَاصْبِرُوا وَوَطِّنُوا أَنْفُسَكُمْ عَلَى الصَّبْرِ تُوجَرُوا**»[٢].

وعن حَمْزَةَ بْنِ حُمْرَانَ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: «**الجَنَّةُ مَحْفُوفَةٌ بِالمَكَارِهِ وَالصَّبْرِ فَمَنْ صَبَرَ عَلَى المَكَارِهِ فِي الدُّنْيَا دَخَلَ الجَنَّةَ وَجَهَنَّمُ مَحْفُوفَةٌ بِاللَّذَّاتِ وَالشَّهَوَاتِ فَمَنْ أَعْطَى نَفْسَهُ لَذَّتَهَا وَشَهْوَتَهَا دَخَلَ النَّارَ**»[٣].

وعن أَبِي سَيَّارٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ الله عليه السلام قَالَ: «**إِذَا دَخَلَ المُؤْمِنُ فِي قَبْرِهِ كَانَتِ الصَّلَاةُ عَنْ يَمِينِهِ وَالزَّكَاةُ عَنْ يَسَارِهِ وَالبِرُّ مُطِلٌّ عَلَيْهِ وَيَتَنَحَّى الصَّبْرُ نَاحِيَةً فَإِذَا دَخَلَ عَلَيْهِ**

---

(١) البقرة: ١٥٥ ـ ١٥٧.

(٢) الكافي: ج٢ ص٨٩.

(٣) المصدر والصفحة.

المَلَكَانِ اللَّذَانِ يَلِيَانِ مُسَاءَلَتَهُ قَالَ الصَّبْرُ لِلصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالبِرِّ دُونَكُمْ صَاحِبَكُمْ فَإِنْ عَجَزْتُمْ عَنْهُ فَأَنَا دُونَهُ»[1].

فتبين ان الصبر له قيمة معنوية عالية ولها أجر عظيم وأثر بالغ في الدنيا والبرزخ والاخرة.

والمشي في الاربعين وتحمل عناء السفر ووعثائه وما يحدث من صعاب لهو من المصاديق الواضحة للصبر وخصوصا المشي من اماكن بعيدة مع كثرة الزحام والابتلاءات.

فزيارة الاربعين تعطينا دروساً عملية في الصبر على ما نكره من تحمل الأذى أو الجوع أو الألم أو غيرها والصبر على ما نحب من طاعات.

٢. **التواضع:** ان سمة التواضع من أهم سمات وفضائل المؤمن، وهي تقع في قبال رذيلة التكبر، وقد وقع التواضع موضوعا للمدح في العديد من الآيات والروايات.

فمن الآيات: قوله تعالى: ﴿**وَعِبَادُ الرَّحْمٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْناً وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الجَاهِلُونَ قَالُوا سَلاَماً**﴾[2] وقوله تعالى: ﴿**وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ**﴾[3].

ومن الروايات نذكر رواية واحدة: في مستدرك الوسائل عن مِصْبَاحُ الشَّرِيعَةِ، قَالَ الصَّادِقُ عليه السلام: «**التَّوَاضُعُ أَصْلُ كُلِّ شَرَفٍ وَخَيْرٍ وَنَفِيسٍ وَمَرْتَبَةٍ رَفِيعَةٍ وَلَوْ كَانَ لِلتَّوَاضُعِ لُغَةٌ يَفْهَمُهَا الخَلْقُ لَنَطَقَ عَنْ حَقَائِقِ مَا فِي مَخْفِيَّاتِ العَوَاقِبِ وَالتَّوَاضُعُ مَا يَكُونُ للهِ وَفِي اللهِ وَمَا سِوَاهُ مَكْرٌ وَمَنْ تَوَاضَعَ للهِ شَرَّفَهُ اللهُ عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ وَلِأَهْلِ التَّوَاضُعِ سِيمَاءُ يَعْرِفُهَا أَهْلُ السَّمَاوَاتِ مِنَ المَلَائِكَةِ وَأَهْلُ الأَرْضِ مِنَ العَارِفِينَ قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَعَلَى الأَعْرَافِ**

(١) المصدر ص ٩٠.

(٢) الفرقان: ٦٣.

(٣) الحجر: ٨٨.

رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ﴾ وَقَالَ أَيْضاً: ﴿مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ﴾ الآيَةَ. وَأَصْلُ التَّوَاضُعِ مِنْ إِجْلَالِ الله وَهَيْبَتِهِ وَعَظَمَتِهِ وَلَيْسَ للهِ عَزَّ وَجَلَّ عِبَادَةٌ يَقْبَلُهَا وَيَرْضَاهَا إِلَّا وَبَابُهَا التَّوَاضُعُ وَلَا يَعْرِفُ مَا فِي مَعْنَى حَقِيقَةِ التَّوَاضُعِ إِلَّا الْمُقَرَّبُونَ مِنْ عِبَادِهِ الْمُتَّصِلُونَ بِوَحْدَانِيَّتِهِ قَالَ الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْناً وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَاماً﴾ وَقَدْ أَمَرَ الله عَزَّ وَجَلَّ أَعَزَّ خَلْقِهِ وَسَيِّدَ بَرِيَّتِهِ مُحَمَّداً ﷺ بِالتَّوَاضُعِ فَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ وَالتَّوَاضُعُ مَزْرَعَةُ الْخُشُوعِ وَالْخُضُوعِ وَالْخَشْيَةِ وَالْحَيَاءِ وَإِنَّهُنَّ لَا يَنْبُتْنَ إِلَّا مِنْهَا وَفِيهَا وَلَا يَسْلَمُ الشَّوْقُ التَّامُّ الْحَقِيقِيُّ إِلَّا لِلْمُتَوَاضِعِ فِي ذَاتِ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى»[١].

وفي المشي الى كربلاء يمر الماشي بتمارين واضحة في التواضع والبساطة، فقد يبات على فراش غير لائق أو يأكل أقل قليل أو يمشي في الطرق الوعرة أو يخدم غيره من الزوار أو يبتدأ بالسلام على من يلاقيه، وهذه كلها من علامات التواضع كما في الرواية، ففى مشكاة الأنوار قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مِنْ رَأْسِ التَّوَاضُعِ أَنْ تَبْدَأَ بِالسَّلَامِ عَلَى مَنْ لَقِيتَ وَتَرُدَّ عَلَى مَنْ سَلَّمَ عَلَيْكَ وَأَنْ تَرْضَى بِالدُّونِ مِنَ الْمَجْلِسِ وَلَا تُحِبَّ الْمِدْحَةَ وَالتَّزْكِيَةَ»[٢].

كما ان ما يقدمه اصحاب الموكب هو من اعظم صور التواضع فيقومون بفرش الفراش للزوار واطعامهم والسهر على خدمتهم وتوفير كل الامور لهم تواضعا لله وخدمة لعنوان قد تعنونوا به وهو عنوان زائر الحسين.

٣ـ **الايثار:** من الكمالات التي تكشف عن رقي نفس الانسان اتصافه بالايثار و(هو تقديم الطرف الاخر لمصلحته وتفضيله على النفس مراعاة له وتقديمه بمادة (مال مثلاً) أو منفعة أو حق من الحقوق)[٣].

---

(١) مستدرك الوسائل: ج١١ ص٢٩٨.

(٢) الطبرسي، مشكاة الأنوار في غرر الأخبار ص ٢٠٠.

(٣) الايثار في النظومة الخلقية (العباس نموذجا).

وقد جاءت الآيات والروايات مادحة لهذه الصفة.

فمن الآيات: قوله تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغاءَ مَرْضاتِ اللهِ وَاللهُ رَؤُفٌ بِالعِبادِ﴾[١].

ومن الروايات: ما عن عَلِيِّ بْنِ سُوَيْدٍ السَّائِيِّ عَنْ أَبِي الحَسَنِ مُوسَى عليه السلام قَالَ: «قُلْتُ لَهُ أَوْصِنِي فَقَالَ آمُرُكَ بِتَقْوَى اللهِ ثُمَّ سَكَتَ فَشَكَوْتُ إِلَيْهِ قِلَّةَ ذَاتِ يَدِي وَقُلْتُ وَاللهِ لَقَدْ عَرِيتُ حَتَّى بَلَغَ مِنْ عُرْيِي أَنَّ أَبَا فُلَانٍ نَزَعَ ثَوْبَيْنِ كَانَا عَلَيْهِ فَكَسَانِيهِمَا فَقَالَ صُمْ وَتَصَدَّقْ فَقُلْتُ أَتَصَدَّقُ مِمَّا وَصَلَنِي بِهِ إِخْوَانِي وَإِنْ كَانَ قَلِيلًا قَالَ تَصَدَّقْ بِمَا رَزَقَكَ اللهُ وَلَوْ آثَرْتَ عَلَى نَفْسِكَ»[٢].

عن أبان بن تغلب، قَالَ كُنْتُ أَطُوفُ مَعَ أَبِي عَبْدِ اللهِ عليه السلام فَعَرَضَ لِي رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِنَا كَانَ سَأَلَنِي الذَّهَابَ مَعَهُ فِي حَاجَةٍ فَأَشَارَ إِلَيَّ فَكَرِهْتُ أَنْ أَدَعَ أَبَا عَبْدِ اللهِ عليه السلام وَأَذْهَبَ إِلَيْهِ فَبَيْنَا أَنَا أَطُوفُ إِذْ أَشَارَ إِلَيَّ أَيْضاً فَرَآهُ أَبُو عَبْدِ اللهِ عليه السلام فَقَالَ: «يَا أَبَانُ إِيَّاكَ يُرِيدُ هَذَا قُلْتُ نَعَمْ قَالَ فَمَنْ هُوَ قُلْتُ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِنَا قَالَ هُوَ عَلَى مِثْلِ مَا أَنْتَ عَلَيْهِ قُلْتُ نَعَمْ قَالَ فَاذْهَبْ إِلَيْهِ قُلْتُ فَأَقْطَعُ الطَّوَافَ قَالَ نَعَمْ قُلْتُ وَإِنْ كَانَ طَوَافَ الفَرِيضَةِ قَالَ نَعَمْ قَالَ فَذَهَبْتُ مَعَهُ ثُمَّ دَخَلْتُ عَلَيْهِ بَعْدُ فَسَالتُهُ فَقُلْتُ أَخْبِرْنِي عَنْ حَقِّ المُؤْمِنِ عَلَى المُؤْمِنِ فَقَالَ يَا أَبَانُ دَعْهُ لَا تَرِدْهُ قُلْتُ بَلَى جُعِلْتُ فِدَاكَ فَلَمْ أَزَلْ أُرَدِّدُ عَلَيْهِ فَقَالَ يَا أَبَانُ تُقَاسِمُهُ شَطْرَ مَالِكَ ثُمَّ نَظَرَ إِلَيَّ فَرَأَى مَا دَخَلَنِي فَقَالَ يَا أَبَانُ أَ مَا تَعْلَمُ أَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ ذَكَرَ المُؤْثِرِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ قُلْتُ بَلَى جُعِلْتُ فِدَاكَ فَقَالَ أَمَّا إِذَا أَنْتَ قَاسَمْتَهُ فَلَمْ تُؤْثِرْهُ بَعْدُ إِنَّمَا أَنْتَ وَهُوَ سَوَاءٌ إِنَّمَا تُؤْثِرُهُ إِذَا أَنْتَ أَعْطَيْتَهُ مِنَ النِّصْفِ الآخَرِ»[٣].

---

(١) الحشر: ٩.

(٢) الكافي: ج٤ ص ١٨.

(٣) المصدر ج ٢ ص ١٧١.

وفى الاربعين نجد مصاديق الايثار واضحة فان تقديم الاخرين على النفس من اعظم ما يقوم به السائر الى الحسين والخادم في موكب الحسين فيقدم مصلحة الزائر على مصلحة نفسه وراحة الزائر على راحة نفسه وينفق من ماله لكي لا ينفق الزائر من ماله وهكذا، فيتعلم من الزيارة درسا عظيما وهو الايثار.

٤ـ **التضحية:** فان الماشي الى زيارة الحسين يقدم الجهد الجهيد والتضحية بماله او بوقته او بنفسه تضحيته منه لأجل هذه الشعيرة وهذا الدين، وفي ذلك تمرين على التضحية لأجل المبادئ والقيم السامية، وقد اشار الامام الصادق الى ذلك في دعائه لهم: «... **اغْفِرْ لِي وَلِإِخْوَانِي وَزُوَّارِ قَبْرِ أَبِي الحُسَيْنِ الَّذِينَ أَنْفَقُوا أَمْوَالَهُمْ وَأَشْخَصُوا أَبْدَانَهُمْ رَغْبَةً فِي بِرِّنَا وَرَجَاءً لِمَا عِنْدَكَ فِي صِلَتِنَا وَسُرُوراً أَدْخَلُوهُ عَلَى نَبِيِّكَ وَإِجَابَةً مِنْهُمْ لِأَمْرِنَا وَغَيْظاً أَدْخَلُوهُ عَلَى عَدُوِّنَا... وَأَعْطِهِمْ أَفْضَلَ مَا أَمَّلُوا مِنْكَ فِي غُرْبَتِهِمْ عَنْ أَوْطَانِهِمْ وَمَا آثَرُونَا بِهِ عَلَى أَبْنَائِهِمْ وَأَهَالِيهِمْ وَقَرَابَاتِهِم..**»[١]

٥. **العفة:** من الصفات التي ركزت عليها الشريعة صفة العفة في البطن والفرج، بل وصفت العفة بانها من افضل العبادات، وجاءت النصوص مبينة لذلك:

فمن القرآن: قوله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ...**﴾[٢]، وقوله تعالى: ﴿**وَالحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالحَافِظَاتِ...**﴾[٣].

ومن الروايات: ما عَنْ المُفَضَّلِ قَالَ: قَالَ أَبُو عَبْدِ الله عليه السلام: «**إِيَّاكَ وَالسَّفِلَةَ فَإِنَّمَا شِيعَةُ عَلِيٍّ مَنْ عَفَّ بَطْنُهُ وَفَرْجُهُ وَاشْتَدَّ جِهَادُهُ وَعَمِلَ لِخَالِقِهِ وَرَجَا ثَوَابَهُ وَخَافَ عِقَابَهُ فَإِذَا رَأَيْتَ أُولَئِكَ فَأُولَئِكَ شِيعَةُ جَعْفَرٍ**»[٤].

---

(١) المصدر ج ٤ ص ٥٨٢.

(٢) المؤمنون: ٥.

(٣) الاحزاب: ٣٥.

(٤) الكافي: ج ٢ ص ٢٣٣.

فان الزيارة فيها نحو من انحاء الاختلاط وهو وجود الزائرات والزائرين في مكان واحد، وهنا تبرز العفة في التعامل مع الجنس الاخر من خلال غض البصر وحفظ اللسان وحفظ اليد والفرج عن التعدي، ومنع النظرات المحرمة والتزام الحجاب الشرعي والتعامل مع الاخر بانه من المحارم كما ورد في الروايات: صحيح صَفْوَانَ الجَمَّالِ قَالَ قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ الله عليه السلام قَدْ عَرَفْتَنِي بِعَمَلِي تَأْتِينِي المَرْأَةُ أَعْرِفُهَا بِإِسْلَامِهَا وَحُبِّهَا إِيَّاكُمْ وَوَلَايَتِهَا لَكُمْ لَيْسَ لَهَا مَحْرَمٌ قَالَ: «**إِذَا جَاءَتِ المَرْأَةُ المُسْلِمَةُ فَاحْمِلْهَا فَإِنَّ المُؤْمِنَ مَحْرَمُ المُؤْمِنَةِ ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الآيَةَ وَالمُؤْمِنُونَ وَالمُؤْمِناتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِياءُ بَعْضٍ**»[1].

لذا ذهب الفقهاء إلى عدم اشتراط المحرم في الحج والزيارة ما دامت المرأة مأمونة على نفسها كما بينت ذلك في بحث مستقل بعنوان (مشي النساء إلى كربلاء)[2].

٦. **الشجاعة:** فان الزيارة تعلم الانسان الشجاعة في اتخاذ الموقف والصبر على الخوف وقوة الاقدام خصوصا مع المنع للزيارة كما كان يحصل ايام الطاغية.

ففيها توطين للنفس على المواجهة والتعدي للموت والقتل والسجن والتعذيب وما هذا الا صور رائعة من صور الشجاعة والاقدام في سبيل المبادئ والقيم الدينية.

لذا وردت الروايات في الحث على الزيارة حتى في مثل هكذا محن وشدائد.

منها:

١. اجر من حبس في طريق الحسين عليه السلام: في الوسائل عن هشام بن سالم قال: قُلْتُ للإمام الصادق عليه السلام: «**فَمَا لِمَنْ حُبِسَ فِي إِتْيَانِهِ قَالَ لَهُ بِكُلِّ يَوْمٍ يُحْبَسُ وَيَغْتَمُّ فَرْحَةُ يَوْمِ القِيَامَةِ**»[3].

---

(١) من لا يحضره الفقيه: ج٢ ص ٤٣٩.

(٢) مشي النساء الى كربلاء مجلة الاصلاح الحسيني العدد ٥.

(٣) ج ١٤ ص ٤٤٢.

٢. أجر من ضرب بطريق الحسين عليه السلام: في مستدرك الوسائل في حديث طويل لهشام عن الصادق قُلْتُ: «فَإِنْ ضُرِبَ بَعْدَ الحَبْسِ فِي إِتْيَانِهِ قَالَ لَهُ بِكُلِّ ضَرْبَةٍ حَوْرَاءُ وَبِكُلِّ وَجَعٍ يَدْخُلُ عَلَيْهِ الفُ الفِ حَسَنَةٍ وَيُمْحَى بِهَا عَنْهُ الفُ الفِ سَيِّئَةٍ»[١].

٣. أجر من مات في طريق الحسين عليه السلام: في بحار الأنوار: «... فَإِنْ هَلَكَ فِي سَفَرِهِ نَزَلَتِ المَلَائِكَةُ فَغَسَّلَتْهُ وَفُتِحَ لَهُ بَابٌ إِلَى الجَنَّةِ يَدْخُلُ عَلَيْهِ رَوْحُهَا حَتَّى يُنْشَرَ وَإِنْ سَلِمَ فُتِحَ البَابُ الَّذِي يَنْزِلُ مِنْهُ رِزْقُهُ فَجُعِلَ لَهُ بِكُلِّ دِرْهَمٍ أَنْفَقَهُ عَشَرَةُ آلَافِ دِرْهَمٍ وَذُخِرَ ذَلِكَ لَهُ فَإِذَا حُشِرَ قِيلَ لَهُ لَكَ بِكُلِّ دِرْهَمٍ عَشَرَةُ آلَافِ دِرْهَمٍ وَإِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى نَظَرَ لَكَ وَذَخَرَهَا لَكَ عِنْدَهُ»[٢].

٤. أجر من قتل في طريق الحسين عليه السلام: حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ سَالِمٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ عليه السلام فِي حَدِيثٍ لَهُ طَوِيلٍ قَالَ: «أَتَاهُ رَجُلٌ فَقَالَ لَهُ يَا ابْنَ رَسُولِ اللهِ هَلْ يُزَارُ وَالِدُكَ قَالَ فَقَالَ نَعَمْ إِلَى أَنْ قَالَ قُلْتُ فَمَا لِمَنْ قُتِلَ عِنْدَهُ جَارَ عَلَيْهِ سُلْطَانٌ فَقَتَلَهُ قَالَ أَوَّلُ قَطْرَةٍ مِنْ دَمِهِ يُغْفَرُ لَهُ بِهَا كُلُّ خَطِيئَةٍ وَتُغْسَلُ طِينَتُهُ الَّتِي مِنْهَا خُلِقَ المَلَائِكَةُ حَتَّى تَخْلُصَ كَمَا خَلَصَتْ لِلْأَنْبِيَاءِ المُخْلَصِينَ وَيَذْهَبُ عَنْهَا مَا كَانَ خَالَطَهَا مِنْ أَجْنَاسِ طِينِ أَهْلِ الكُفْرِ وَيُغْسَلُ قَلْبُهُ وَيُشْرَحُ صَدْرُهُ وَيُمْلَأُ إِيمَاناً فَيَلْقَى اللهَ وَهُوَ مُخْلَصٌ مِنْ كُلِّ مَا تُخَالِطُهُ الأَبْدَانُ وَالقُلُوبُ»[٣].

فان هذه مراكز تدريب ميدانية على الشجاعة والاقدام وعدم التهيب من الاعداء والطغاة فتكون من أهم وسائل الاعداد الجهادي لأنصار الامام الحجة عجل الله فرجه.

٧. **الموالاة والبراءة:** من المفاهيم العقائدية التي ركزها آل البيت عليهم السلام في نفوس اتباعهم مفهوم الولاء لأولياء الله تعالى والبراءة من أعداء الله تعالى، وهو أن تجعل حبك

---

(١) ج ١٠ ص ٢٧٩.

(٢) ج ٤٥ ص ١٧٢.

(٣) كامل الزيارات ص ١٢٣

ومودتك وطاعتك لأولياء الله تعالى وبغضك وعصيانك لأعداء الله تعالى، وهذان المفهومان لهما تأثير على المستوي العقدي فلا إيمان حقيقي إلَّا بهما، وعلى المستوى العملي فلا قبول بل لا صحة للعمل ـ على خلاف ـ إلَّا بهما، وهذا ما اشارت له الكثير من الآيات والروايات.

فمن الآيات: وقوله تعالى: ﴿لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوادُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كانُوا آباءَهُمْ أَوْ أَبْناءَهُمْ أَوْ إِخْوانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ...﴾[1].

وقوله تعالى: ﴿لا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الكافِرِينَ أَوْلِياءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللهِ فِي شَيْءٍ إِلاَّ أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقاةً...﴾[2].

ومن الروايات:

عَنْ سَعِيدٍ الأَعْرَجِ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ عليه السلام قَالَ: «مِنْ أَوْثَقِ عُرَى الإِيمَانِ أَنْ تُحِبَّ فِي اللهِ وَتُبْغِضَ فِي اللهِ وَتُعْطِيَ فِي اللهِ وَتَمْنَعَ فِي اللهِ»[3].

وعَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عَمَّارٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ عليه السلام قَالَ: «كُلُّ مَنْ لَمْ يُحِبَّ عَلَى الدِّينِ وَلَمْ يُبْغِضْ عَلَى الدِّينِ فَلَا دِينَ لَهُ»[4].

وعن أَبِي مُحَمَّدٍ العَسْكَرِيِّ عَنْ آبَائِهِ عليهم السلام قَالَ: «قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله لِبَعْضِ أَصْحَابِهِ ذَاتَ يَوْمٍ يَا عَبْدَ اللهِ أَحْبِبْ فِي اللهِ وَأَبْغِضْ فِي اللهِ وَوَالِ فِي اللهِ وَعَادِ فِي اللهِ فَإِنَّهُ لَا تَنَالُ وَلَايَةَ اللهِ إِلَّا بِذَلِكَ وَلَا يَجِدُ رَجُلٌ طَعْمَ الإِيمَانِ وَإِنْ كَثُرَتْ صَلَاتُهُ وَصِيَامُهُ حَتَّى يَكُونَ كَذَلِكَ وَقَدْ صَارَتْ مُوَاخَاةُ النَّاسِ يَوْمَكُمْ هَذَا أَكْثَرَهَا فِي الدُّنْيَا عَلَيْهَا يَتَوَادُّونَ وَعَلَيْهَا يَتَبَاغَضُونَ وَذَلِكَ

---

(١) المجادلة ٢٢.

(٢) ال عمران ٢٨

(٣) الكافي ج ٢ ص١٢٥

(٤) المصدر ص ١٢٧

لَا يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللهِ شَيْئاً فَقَالَ لَهُ وَكَيْفَ لِي أَنْ أَعْلَمَ أَنِّي قَدْ وَالَيْتُ وَعَادَيْتُ فِي اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَمَنْ وَلِيُّ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ حَتَّى أُوَالِيَهُ وَمَنْ عَدُوُّهُ حَتَّى أُعَادِيَهُ فَأَشَارَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى عَلِيٍّ عليه السلام فَقَالَ أَتَرَى هَذَا فَقَالَ بَلَى قَالَ وَلِيُّ هَذَا وَلِيُّ اللهِ فَوَالِهِ وَعَدُوُّ هَذَا عَدُوُّ اللهِ فَعَادِهِ وَالِ وَلِيَّ هَذَا وَلَوْ أَنَّهُ قَاتِلُ أَبِيكَ وَوَلَدِكَ وَعَادِ عَدُوَّ هَذَا وَلَوْ أَنَّهُ أَبُوكَ وَوَلَدُكَ»[١].

وزيارة الاربعين مصداق واضح لتقوية الولاء لآل البيت عليهم السلام والبراءة من اعدائهم وخصوصا اذا اكتنفها الشعارات الدالة على ذلك مما يعزز العنصرين المهمين في عقيدة الانسان الحقة وعمله المقبول، وهذا التولي والتبري يفعله زوار الحسين عليه السلام من خلال احياء الشعائر التي يمارسوها في شعيرة الاربعين استجابة لأمر آل البيت عليهم السلام وغاضة لأعدائهم، الروايات تشير لذلك، منها: عن معاوية بن وهب عن الصادق عليه السلام: «... اغْفِرْ لِي وَلِإِخْوَانِي وَزُوَّارِ قَبْرِ أَبِيَ الْحُسَيْنِ الَّذِينَ أَنْفَقُوا أَمْوَالَهُمْ وَأَشْخَصُوا أَبْدَانَهُمْ رَغْبَةً فِي بِرِّنَا وَرَجَاءً لِمَا عِنْدَكَ فِي صِلَتِنَا وَسُرُوراً أَدْخَلُوهُ عَلَى نَبِيِّكَ وَإِجَابَةً مِنْهُمْ لِأَمْرِنَا وَغَيْظاً أَدْخَلُوهُ عَلَى عَدُوِّنَا...»[٢].

وفي هذه الصور الولائية البرائية عدَّة أمور:

١. ايصال رسالة الى العالم اجمع باننا سائرون على هذا النهج الذي رسمه آل البيت عليهم السلام وخصوصا الإمام الحسين عليه السلام في رفض الظلم والدفاع عن عقيدة الامة واصلاحها ولو كلف ذلك الحياة.

٢. ايصال رسالة باننا رافضون للنهج التكفيري والاموي المستبيح للنفوس والاعراض والاموال لاغراض سلطوية ودنيوية وان هذا النهج لابد ان يحار كي لا يتكرر في التاريخ.

٣. ايصال رسالة للعالم بان مذهب آل البيت عليهم السلام هو مذهب الاعتدال والانسانية

---

(١) بحار الأنوار ج٦٦ ص ٢٣٦.

(٢) المصدر ج ٤ ص ٥٨٢

والاصلاح وان معيار موالاة اهل طاعة الله تعالى وبغض اهل معصية الله تعالى وسيلة لاصلاح العباد والبلاد وردع للظالمين وتقوية للمومنين، وان الناس لا تقاس على اساس العرق او اللون او القرابة وانما على اساس الايمان والتقوى والولاء لله تعالى واولياءه والبراءة من الشيطان واتباعه من الجن والانس.

وغيرها.

٨. **التدرب على التعايش السلمي مع الاخر:** من اهم الاشكاليات التي تواجه الامم والديانات هو التدرب على التعايش السلمي مع الاخرين، وكيفية التعامل معهم وعدم الغائهم فكريا او معنويا او حتى ماديا، وهذا ما تسعى لتحقيقه المنظمات الدولية وخصوصا الامم المتحدة، وتجعل برامجا لذلك، وتعمل على نفي الصراعات ونشوء حركات وتوجهات تدعوا للقتل والتقاتل كالحركات النازية او الشعوبية او الوهابية او ما تمخض عن ذلك كداعش والقاعدة والنصرة واخواتهن.

وهذا ما جاء به الدين الحنيف من رسم علاقتك مع الاخر وان اختلف معك في المذهب او العرق او الدين على اسس لا تكفير فيه ولا قتل فيها الا اذا بادرك للحرب والحرابة او تعدى على مقدساتك ومعتقداتك، بل الاسلام رسم لنا نمطا في التعاطي مع الاعداء فضلا عن غيرهم[1].

فأمير المؤمنين عليه السلام حدد مجمل علاقتك بالناس من خلال العهد المبارك ـ عهد مالك الاشتر ـ والذي هو برنامج اساسي للعلاقات الداخلية والخارجية، والذي منه: «**وأشعر قلبك الرحمة للرعيّة، والمحبّة لهم، واللطف بهم، ولا تكوننّ عليهم سبعا ضاريا تغتنم أكلهم، فإنّهم صنفان: إمّا أخ لك في الدين، أو نظير لك في الخلق، يفرط منهم الزلل، وتعرض لهم العلل، ويؤتى على أيديهم في العمد والخطأ، فأعطهم من عفوك وصفحك**

(١) راجع بحث (نمط التعاطي مع الاعداء) بحث نشرته في مجلة المنهج العدد ٢.

مثل الذي تحبّ وترضى أن يعطيك الله من عفوه وصفحه، فإنّك فوقهم، ووالي الأمر عليك فوقك، والله فوق من ولّاك...»[١].

والزيارة بهذه السعة المليونية تعتبر موسما للانفتاح على حضارات ولغات وثقافات من كل العالم وذلك يجعلنا نكتسب خبرة عالية مع التعامل مع الاخر حتى مع اختلافنا معه في اللون او القومية او الثقافة او البلد او المذهب او حتى الدين.

٩. **إلغاء الطبقية والتعالي والتكبير:** فان من اهم الامراض التي تنسف بالمجتمعات هو بروز الطبقية بين افراده مما ينتج التعالي والتكبر واستعباد الاخرين بسبب السلطة او المال او الجاه، فيحتاج الانسان ما يكسر جموح النفس ويضعف هذه الصفات، ولعل اهم ما يعمل على ذلك هو التعاطي العملي والسيرة العملية مع افراد المجتمع، وموسم الاربعين انما هو درس عملي لإلغاء التكبر والتعالي، خصوصا ما يمارسه اصحاب المواكب من الغاء الذات والتواضع وتقديم الخدمات بتفاني لكل الناس، فترى الكبير يخدم الصغير والغني يخدم الفقير بل ورب العمل يخدم عماله كما اشرنا في ما مر من نقطتي التواضع والايثار.

١٠. **الشعور بالمسؤولية:** ان تحمل المسؤوليات من اهم المقومات لصناعة الانسان وكلما كانت المسؤوليات اكبر كانت الصناعة اقوى لأنها سوف تدخل في كبرى ان الابتلاء مدرسة لصناعة العظماء.

فتبرز امامنا مسؤولية عظمى نسأل عنها يوم القيامة وهي نعيم آل البيت عليهم السلام الذي يجب علينا أداء حقه وابراز الصورة الحقيقية لما هم عليه من اخلاق وقيم ومعارف.

ففي رواية المحاسن: (... ذَكَرْتُ الآيَةَ الَّتِي فِي كِتَابِ الله ﴿لَتُسْئَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ فَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام لَا إِنَّمَا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَنْتُمْ عَلَيْهِ مِنَ الحَقِّ)[٢].

---

(١) نهج البلاغة عهد مالك الاشتر.

(٢) المحاسن: ج ٢ ص ٤٠٠.

في المحاسن عن أَبِي حَمْزَةَ قَالَ كُنَّا عِنْدَ أَبِي عَبْدِ الله عليه السلام جَمَاعَةً فَدَعَا بِطَعَامٍ مَا لَنَا عَهْدٌ بِمِثْلِهِ لَذَاذَةً وَطِيباً حَتَّى تَمَلَّيْنَا وَأُتِينَا بِتَمْرٍ يَنْظُرُ فِيهِ إِلَى وُجُوهِنَا مِنْ صَفَائِهِ وَحُسْنِهِ فَقَالَ رَجُلٌ لَتُسْئَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ عَنْ هَذَا النَّعِيمِ الَّذِي نُعِّمْتُمْ عِنْدَ ابْنِ رَسُولِ الله صلى الله عليه وآله فَقَالَ أَبُو عَبْدِ الله عليه السلام: «الله أَكْرَمُ وَأَجَلُّ مِنْ أَنْ يُطْعِمَكُمْ طَعَاماً فَيُسَوِّغَكُمُوهُ ثُمَّ يَسْأَلَكُمْ عَنْهُ وَلَكِنَّهُ أَنْعَمَ عَلَيْكُمْ بِمُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله»[1].

فان هذه الزيارة تدعونا الى تحمل المسؤولية الدينية في ايصال رسالة عامة لكل العالم باننا مجتمع يملك من الصفات والمقومات الحضارية والاجتماعية والتربوية والادارية العالية.

فهي فرصة لبيان الاسلام المحمدي العلوي الناصع من خلال عكس الصورة الحقيقية للمذهب، لا كما ينقل بعض عن تخلف الاسلام والمسلمين من خلال عكس صورة لأناس يدعون انتحالهم للإسلام والاسلام براء منهم كبعض الحركات السلفية والوهابية وبعض الدول المتخلفة دينيا وقيميا والمتحللة اخلاقيا وتربويا، وان تلك الفئات لا تمثل الاسلام.

والخلاصة:

ان هذه الصفات والمميزات هي تدريب عملي وتمهيد حقيقي لخلق انسان الظهور وما بعد الظهور، فالزيارة مدرسة اخلاقية كبيرة لشخصية الظهور المهدوي المبارك.

خصوصا وان هذا البناء ليس بناء تنظيريا فحسب بل هو بناء عملي كبير يخلق روحا سامية مؤهلة لمرحلة الظهور وما بعده.

---

(١) ج ٢ ص ٤٠٠

المحور الثامن: المحور العسكري

ان المؤسسة العسكرية لا تقاس بقوة تسليحها فقط وانما الاهم فيها هو وجود الموارد البشرية فيها، خصوصا الموارد البشرية الشابة والتي لها استعداد عالي للتضحية والفداء والاباء.

وزيارة الاربعين لهي من اهم موارد بناء الشباب المهدوي العسكري المقاوم والمضحي، ولعل تجربة مقاومة الاحتلال الامريكي للعراق وتجربة الحشد الشعبي في العراق من اكبر الشواهد على ذلك فان من اهم ما بنى هذه الشخصيات الشابة والمضحية التي تتحدى الصعاب وتواجه اشرس الاعداء مع قلة العدة والعدد هو حضور شخصية الحسين عليه السلام بين ظهرانينا والتي تبرز في مواسم منها موسم الزيارة، فتكون الشخصية الحسينية صانعة لشخصية مهدوية.

فما سطره الابطال في ساحات القتال من تضحيات لم يكن وليد اللحظة بل هو صناعة حسينية بمستقبل مهدوي، لذا كانت شعاراتهم في المعركة هي شعارات الحسين والعباس والاكبر و... وتحركاتهم وتطلعاتهم تطلعات مهدوية ثائرة تعد لعصر الظهور.

فالتضحية ـ بالنفس بالمال بالراحة ـ لأجل الغير ولأجل المبدأ ولأجل الدين ولأجل الاسلام ولأجل المقدسات ولأجل العزة انما هي دروس تعلمناها من مدرسة الحسين ومن شعائر الحسين، ربطت بالموعود ومستقبل العالم الذي يقوده الامام المهدي.

فهناك جيش عالمي قد تم اعداده سابقا وخاض التجارب في عدة دول ونجح نجاحات باهرة قد يكون هو نواة من جيش المهدي المنتظر عجل الله فرجه، وزيارة الاربعين هي الرافد الاساسي لهذا الجيش القادم الذي يقوده صاحب الامر عجل الله فرجه نحو تحقيق العدل والقسط والسلام.

المحور التاسع: المحور الاعلامي

من العادات الجارية لدى القوى السياسية او غيرها استعراض جماهيرها من خلال مظاهرات او تجمعات او احتفالات او مناورات او غيرها، وذلك لإيصال رسالة الى الاخر بان لنا جماهير ونحن اقوياء من باب ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾[1] كل بحسب موقعه وعمله وقدرته.

والمؤمنون بالقضية المهدوية لابد لهم من ذلك ايضا، وما يحصل من تجمع مليوني ليس له نظير وبشكل عفوي وبتنظيم ذاتي وبتمويل شخصي لهو اعظم صور الاستعراض الاعلامي للجمهور المومن، فالشعيرة الاربعينية ليست عبادة فردية فحسب بل اصبحت ذات طابع يحوي عبادة جماعية كشعائر الحج وصلاة الجمعة، وهذا يعطي اهمية كبرى وثراء معنويا وانفجارا اعلاميا يوصل رسالة واضحة للجميع (... باننا حسينيون... باننا ممهدون... باننا مؤمنون... باننا اقوياء... باننا منظمون... باننا متكافلون... باننا مصلحون... وهكذا).

خصوصا اذا عكسنا الصورة التي اراد لنا ال البيت عكسها للإنسانية وان الدين الاسلامي هو الخاتم وان المهدي هو المخلص وانه لا نجاة الا به.

فيبرز لنا أمور:

١. تحقيق منجز عددي وان جماهيرنا مليونية وبتزايد كل عام بحيث لا يسع المكان الجمهور.

٢. تحقيق منجز نوعي بان جماهيرنا مؤمنة وقوية ومخلصة ومطيعة لله ورسوله واله.

٣. تحقيق منجز دولي بان زيارتنا دولية وليست اقليمية او قطرية اذ يأتيها الناس من كل فج عميق.

---

(١) الانفال: ٦٠.

٤. تحقيق منجز حضاري باننا منظمون ولا يتعدى بعضنا على بعض طوال ايام الزيارة.

٥. تحقيق منجز تعارفي بين لغات مختلفة وثقافات متعددة وقوميات متنوعة لتبادل الخبرات والهموم والمشكلات ومعالجة الاوضاع والشعور بالأخر.

وهكذا منجزات جعلت الغرب يقول على لسان احد العلماء الغربيين: (لو قدر لقائد ان ينهض بهكذا جماهير لاحتل العالم كله).

المحور العاشر: المحور التمريني والتدريبي

ان الانسان بطبعة يميل الى الدعة والراحة وعدم الدخول بالصعاب، فاذا مر بصعوبات قد يودي به الى الضعف او الانهيار او ترك المبادي او التخلي عن بعضها، لذا يحتاج الى دورة تدريبية لرفع ذلك.

وموسم الزيارة مع طول المسافات وكثرة الصعوبات وشدة الابتلاءات ــ خصوصا مع البرد القارص او الحر الشديد او الخوف من الظالم كما في عهد النظام المقبور ــ لهو مركز تدريبي عام وشامل لتحمل انواع الصعاب والمحن والثبات على المبدأ الذي رسمه ال البيت عليهم السلام.

فالزيارة تمثل مركزا لتدريب المومن للاستعداد والاعداد لعصر الظهور فيدخل ذلك في الاعداد للمهدي والنهوض معه في ثورته العالمية وتحمل الصعاب، فلا يتفاجئ اذا ما بلي بصعوبة او شدة بل يواجهها بعزم حسيني ومستقبل مهدوي.

فهذه الصعوبات والزلازل والمحن التي يمر بها المومن ما هي الا تقوية لصلبه وتمرينا له لمواجهة العدو.

فالزيارة الاربعينية ورشة عمل معمقة لصناعة الشخصية المهدوية للظهور وما بعده.

المحور الحادي عشر: المحور التكافلي

من العناصر المهمة في الشخصية الممهدة للظهور وجود روح التكافل والايثار في تلك الشخصية، ومن اهم سبل تحقيق هذا البناء هو التدرب على التكافل ومساعدة الاخرين وايثار راحة الاخرين على راحة النفس حتى مع التعب والخصاصة، والمشي في زيارة الاربعين هو موسم تكافلي عظيم حيث ان الخدمات تقدم مجانا بلا منة ولا ضجر بل بفرحة وبهجة، ولعل التكافل الذي يقدمه اصحاب المواكب من اعظم صور التكافل والخدمة، وهذا واضح بالوجدان لكل من مشى للزيارة، وكذلك روح الايثار والمساعدة بين الزائرين وعطف الكبير على الصغير وتوقير الصغير للكبير ومساعدة الرجل للمرأة والعكس وهكذا.

والتكافل والايثار له صور:

منها:

التكافل والايثار بالطعام ولو بقيت جائعا.

التكافل والايثار بالمبيت ولو بقيت سهرانا.

التكافل والايثار بالفراش والغطاء.

التكافل والايثار حال الرجوع من خلال اعطاء مقعدك لغيرك والبقاء واقفا.

التكافل والايثار بتفضيل راحة الاخرين على راحة النفس.

وهكذا غيرها من الصور.

المحور الثاني عشر: البناء السياسي

ان زيارة الحسين عليه السلام موسم مهم لاستذكار مبادئ ثورته ومنها المبدأ السياسي وهو البراءة من الظالمين والثورة عليهم وخلق ارادة سياسية صادقة لدى المؤمن للتغيير والخروج

على الظالمين والاستعداد لذلك تحت قيادة الامام الحجة ﷺ كي يعز الاولياء ويذل الاعداء ويملئها قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا، كما انها رفض للاتجاه السياسي المستبد وان تلبس بلبوس الدين وادعى النيابة عن المسلمين، وكذلك رفض للسياسة الداعية الى الخضوع والتذلل للقوى العالمية المستبدة تحت ذريعة سياسة الامر الواقع ومداهنة الاعداء مما يضيع معالم الدين والعباد والبلاد.

فاستذكار شعارات الحسين ﷺ في الثورة كخطابه: «**أَيُّهَا النَّاسُ ! إِنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: مَنْ رَأى سُلْطَانَاً جَائِراً مُسْتَحِلًّا لِحُرُمِ الله نَاكِثاً لِعَهْدِ الله مُخَالِفاً لِسُنَّةِ رَسُولِ الله ﷺ، يَعْمَلُ فِي عِبَادِ الله بِالإِثْمِ وَالعُدْوَانِ، فَلَمْ يُغَيِّرْ عَلَيْهِ بِفِعْلٍ وَلَا قَوْلٍ، كَانَ حَقّاً عَلَى الله أَنْ يُدْخِلَهُ مَدْخَلَه**»[١]- يكون حافزا كبيرا للاستعداد السياسي والتمهيد السياسي للإمام الحجة ﷺ من خلال نشر الافكار الدالة على ان الامام هو المخلص السياسي من ظلم الدول الجائرة.

وبذلك تنخلق ارادة سياسية لدى الامة المؤمنة تحفز المومن للالتحاق بالشخصية المنقذة والبراءة من الامة الظالمة والقاتلة والراضية بذلك كما ورد في الزيارة: «**لَعَنَ الله أُمَّةً قَتَلَتْكَ وَلَعَنَ الله أُمَّةً ظَلَمَتْكَ وَلَعَنَ الله أُمَّةً خَذَلَتْكَ وَلَعَنَ الله أُمَّةً خَدَعَتْكَ**»[٢].

خصوصا اذا كانت الزيارة مقترنة ببعض النصوص التي تشير الى نصرة ال البيت وخاتمهم الامام الحجة ﷺ كما في الزيارة: «**اللهمَّ أَنْتَ مَنَنْتَ عَلَيَّ بِزِيَارَةِ مَوْلَايَ وَوَلَايَتِهِ وَمَعْرِفَتِهِ فَاجْعَلْنِي مِمَّنْ تَنْصُرُهُ وَتَنْصُرُ بِهِ [يُنْتَصَرُ بِهِ وَيَنْصُرُهُ] وَمُنَّ عَلَيَّ بِنَصْرِكَ لِدِينِكَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ**»[٣].

---

(١) بحار الانوار: ج٧٨ ص١٢٨.

(٢) كامل الزيارت: ص٤٣.

(٣) المصدر ص٤٥.

وبالأخص الاستعداد للنصرة الوارد في زيارة عاشوراء: «**فَأَسْأَلُ اللهَ الَّذِي أَكْرَمَ مَقَامَكَ أَنْ يُكْرِمَنِي بِكَ وَيَرْزُقَنِي طَلَبَ ثَارِكَ مَعَ إِمَامٍ مَنْصُورٍ مِنْ آلِ محمد**»[1].

فزيارة الاربعين كفيلة بهكذا بناء سياسي للمجتمع المهدوي الذي يأبى الظلم والظ ـيم ويثور على الظالمين والمعتدين ولا يداهن المنحرفين والمستبدين وان علوا وتغطرسوا.

هذا ما اردنا ذكره من محاور وهناك محاور اخرى قد تظهر للمتتبع لم نذكرها دفعا للإطالة.

النتيجة:

ان زيارة الاربعين فيها عظيم البركات في كل المستويات المادية والمعنوية، ومن اعظم البركات دور واهمية هذه الزيارة المليونية في الاعداد العملي للظهور وصناعة شخصيات الظهور ومجتمعه، فحري بنا ان نجعل تلك الزيارة منارا لنا للتمهيد وانطلاقة للانتظار الحقيقي الخالص للإمام عليه السلام فنكون من اسهم في تعجيل الظهور المهدوي المقدس ببركة الزيارة الحسينية المقدسة فنحظى بالنصر الالهي التام على اعداء الله تعالى ورسوله واله ويأخذ المهدي عجل الله فرجه بثأر جده الحسين عليه السلام ممن قتلوه وسلبوه وسبوا عياله، ويعز الاولياء ويذل الاعداء ويظهر الدين ولو كره الكافرون، انهم يرونه بعيدا ونراه قريبا.

---

(١) المصدر.

البحث الثامن :

اشكالية اخذ الثأر من ذراري قتلة الحسين

من أشدِّ الظلامات التي وقعت علىٰ أهل البيت عليهم السلام والتي بكت لها كلُّ الكائنات الأرضية والسماوية واقعة الطفّ الأليمة التي استشهد فيها الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته وصحبه بعد أن قُتلوا صبراً في رمضاء كربلاء علىٰ يد الدولة الأُموية الظالمة وأنصارها واتباعها.

وهذه المقتلة العظيمة كانت وما زالت الواقعة الأكثر إيلاماً علىٰ قلوب محمّد وآل محمّد (صلّىٰ الله عليه وآله وسلم) وشيعتهم ومحبّيهم حتَّىٰ أصبحت القضيَّة الأساسية في الثقافة الإسلاميَّة العامَّة والأكثر إحياءً من باقي القضايا بالرغم من كبر حجم تلك القضايا الأُخرىٰ كقضيَّة مظلومية النبيِّ الأعظم صلى الله عليه وآله ومظلومية السيِّدة الزهراء عليها السلام ومظلومية أمير المؤمنين عليه السلام وباقي مظلوميات أهل البيت عليهم السلام.

ومن الشؤون العامَّة لهذه القضيَّة أنَّ لها ارتباطاً بالثورات وحركات الإصلاح والتغيير في العالم الإسلامي، بل وفي غيره، فكانت تُلهِم القادة والثوّار دروساً في التضحية والإباء والصبر والتقدّم، فلذا أخذت هذه الثورات علىٰ عاتقها إبراز القضيَّة الحسينية في يومياتها وأدبياتها وانتصاراتها، فلا نجد انفكاكاً في شعارات تلك الثورات عن القضيَّة الحسينية، وبسبب هذه الحماسة الحسينية كُتِبَ لتلك الثورات النجاح في أكثر من مستوىٰ.

ومن أكبر الحركات الإصلاحية الشاملة كمّاً ونوعاً - كما دلَّت النصوص القرآنية

والروائية - هي حركة صاحب العصر والزمان الإمام الحجّة المنتظر عليه السلام الذي سيملؤ الأرض قسطاً وعدلاً بعدما مُلِئَت ظلماً وجوراً، فكان من الضروري أن نعرف علاقة الثورة المهدوية بالثورة الحسينية، وما هو نحو الارتباط بين القضيَّة المهدوية والقضيَّة الحسينية.

لا شكَّ أنَّ الارتباط بينهما له حيثيات عديدة وكثيرة، ولكنَّنا - دفعاً للإطالة - ركَّزنا في المقام على مفردة من تلك العلاقة، وهي مفردة أخذ الإمام المهدي عليه السلام بثأر سيِّد الشهداء عليه السلام ودفع الاشكال عنها.

فلسائل أن يسأل: يا ترىٰ هل لثأر الحسين عليه السلام مساحة في حركة حفيده عليه السلام ؟ وما مقدار هذه المساحة؟ وكيف تكون طريقة أخذ الثأر؟

الجواب: نعم هناك مجال واسع ومساحة عريضة في عصر الظهور للأخذ بثارات الإمام الحسين عليه السلام من قِبَل الإمام المهدي عليه السلام، وهذا سيتَّضح جليّاً في البحث.

وقبل بيان ذلك نُبيِّن الأسباب التي تجعل الإمام المهدي عليه السلام هو الأخذ بالثأر دون غيره.

أسباب أخذ الثأر من المهدي عليه السلام دون غيره:

في الحقيقية أنَّ الأسباب عديدة، منها ما هو فقهي، ومنها ما هو عقدي، ومنها ما هو نسبي، وهكذا.

ومن أبرز تلك الأسباب ولو بنحو الاحتمال والأُطروحة:

السبب الأوّل: ولاية الدم:

إنَّ الإمام الحجَّة عليه السلام هو وليُّ دم الإمام الحسين عليه السلام، إذ هو الأقرب نسباً للحسين عليه السلام من كلِّ الأحياء في زمانه، فيكون الأولىٰ بأخذ الثأر، لأنَّه وليُّ دمه الشرعي،

وهذا من الجانب الفقهي واضح كما عبَّرت الآية الشريفة: ﴿وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنا لِوَلِيِّهِ سُلْطاناً فَلا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كانَ مَنْصُوراً﴾ (الإسراء: ٣٣).

فالإمام الحجَّة عليه السلام يأخذ بدم الحسين عليه السلام من عصابة بني أُميَّة ومن ناصرهم في قتله وقتل أهل بيته عليهم السلام من باب أنَّه وليُّ دم جدِّه المظلوم الشهيد عليه السلام.

ولذا علَّلت بعض الروايات تسميته بالمنصور لهذا السبب واستشهدت بهذه الآية الكريمة، ففي تفسير فرات بن إبراهيم عن جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْفَزَارِيُّ مُعَنْعَناً، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: «وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنا لِوَلِيِّهِ سُلْطاناً»، قَالَ: الْحُسَيْنُ ﴿فَلا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كانَ مَنْصُوراً﴾»، قَالَ: «سَمَّىٰ اللهُ الْمَهْدِيَّ الْمَنْصُورَ كَمَا سُمِيَّ أَحْمَدُ وَمُحَمَّدٌ ومحمود [مَحْمُوداً] وَكَمَا سُمِّيَ عِيسَىٰ الْمَسِيحَ عليه السلام»[1].

السبب الثاني: حاكميته الشرعية:

إنَّ الإمام الحجَّة عليه السلام هو الحاكم الشرعي الأعلىٰ في الأرض، فله إقامة القصاص الفردي والجماعي علىٰ المعتدين والظالمين لآل البيت عليهم السلام، وهذا واضح فقهياً كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصاصِ حَياةٌ...﴾ (البقرة: ١٧٩).

ومن صور القصاص التي يقوم بها الإمام عليه السلام أن يأخذ بثأر الحسين عليه السلام وأصحابه ويأخذ بثأر الأنبياء والأولياء، كما يأخذ بثأر الصدّيقة الزهراء عليها السلام كما نصَّت الروايات.

السبب الثالث: محقّق العدل العامّ:

إنَّ الإمام الحجَّة عليه السلام هو محقِّق للعدل الإلهي الشامل التامّ، وشعار دولته نشر العدل في مشارق الأرض ومغاربها، ومن العدل هو الأخذ بثأر المظلومين وقصم رقاب المعتدين

---

(١) بحار الأنوار ٥١: ٣٠/ ط بيروت.

الظالمين: «أين معزُّ الأولياء ومذلُّ الأعداء»[١].

ولا شكَّ أنَّ النبيَّ ﷺ وأهل البيت عليهم السلام ومنهم الإمام الحسين عليه السلام أشدُّ الناس مظلومية على مدى التاريخ.

فهدف من أهداف القيام المهدوي هو الأخذ بثأر الأئمَّة الأطهار والأنبياء الأبرار كما جاء في دعاء الندبة المبارك: «أَيْنَ الطَّالِبُ بِذُحُولِ[٢] الْأَنْبِيَاءِ وَأَبْنَاءِ الْأَنْبِيَاء»، ثمّ أعقب ذلك بالدم الأشرف والثأر الأكبر: «أَيْنَ الطَّالِبُ بِدَمِ الْمَقْتُولِ بِكَرْبَلَاءَ»[٣].

وفي زيارة الإمام الحجَّة عليه السلام: «السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا طَالِبَ ثَارِ الْأَنْبِيَاءِ وَأَبْنَاءِ الْأَنْبِيَاءِ وَالثَّائِرَ بِدَمِ الْمَقْتُولِ بِكَرْبَلَاءَ»[٤].

السبب الرابع: محقّق أهداف الثورة:

إنَّ الإمام المهدي عليه السلام محقِّق لأهداف الحسين عليه السلام، وهذه الأهداف إنَّما تتحقَّق من خلال القضاء على الاتِّجاهات التي منعت إقامة تلك الأهداف في الأرض من خلال قتلهم للمشروع الحسيني الإلهي، فيأتي الإمام عليه السلام ليُحقِّق تلك الأهداف من خلال القضاء على أتباع الخطِّ الأُموي الظالم وإن اختلفت مسمّياتهم وعناوينهم.

والإصلاح بكلِّ مستوياته هو من أهمِّ تلك الأهداف وأعظمها كما أشار إليه الإمام الحسين عليه السلام في خطبته: «أَنِّي لَمْ أَخْرُجْ أَشِراً وَلَا بَطِراً وَلَا مُفْسِداً وَلَا ظَالِماً وَإِنَّمَا خَرَجْتُ

---

(١) المزار الكبير لابن المشهدي: ٥٧٩.

(٢) الذَّحل: الثَّأر.

(٣) المزار الكبير لابن المشهدي: ٥٧٩.

(٤) بحار الأنوار ٩٩: ٨٦/ ط بيروت.

لِطَلَبِ الْإِصْلَاحِ فِي أُمَّةِ جَدِّي عليه السلام أُرِيدُ أَنْ آمُرَ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهَىٰ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَسِيرَ بِسِيرَةِ جَدِّي وَأَبِي عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام...»[1].

فالإصلاح المهدوي هو تحقيق للإصلاح الحسيني وتتميم له، ومن جملة الإصلاح القضاء علىٰ الفاسدين والمفسدين والظالمين تحقيقاً للعدل الإلهي من جهة، ولخلق أجواء خالية من الأوبئة المعنوية من جهة أُخرىٰ.

السبب الخامس: رفع مظلومية ال البيت عليهم السلام:

إنَّ الأخذ بثأر الحسين عليه السلام من قتلته هو مطلب من مطالب أهل البيت عليهم السلام وخصوصاً السيِّدة الزهراء عليها السلام باعتباره رفعاً لمظلومية ولدها الحسين عليه السلام، والإمام الحجَّة عليه السلام هو أولَىٰ الناس بتحقيق مطلبها ورفع الأسىٰ والجوىٰ الذي ألمَّ بها لقتل ولدها الشهيد عليه السلام.

السبب السادس: أنَّه وفاء للحسين عليه السلام:

إنَّ الحسين عليه السلام في الرجعة هو الذي يُصلّي علىٰ الإمام المهدي عليه السلام بعد قتله، إذ إنَّ آخر عصر الظهور هو مقتل الإمام المهدي عليه السلام وتبدأ بعده الرجعة برجوع الحسين عليه السلام كما ذكر ذلك صاحب البحار[2].

وهذا يجعل الرابط كبير بينهما، فهو عليه السلام ينتقم من أعدائه والإمام يُصلّي عليه عليه السلام بعد مقتله. فكما أنَّ الإمام المهدي عليه السلام اقتصَّ من قتلة الحسين عليه السلام فكذلك الحسين في الرجعة يقتصُّ من قتلة الإمام المهدي عليه السلام.

هذه بعض الأسباب التي تشير إلىٰ أنَّ الإمام المهدي عليه السلام هو طالب الثأر الأعظم

---

(١) مناقب آل أبي طالب ٤: ٨٩.

(٢) بحار الأنوار ٥٣: ١١٥.

للإمام الحسين عليه السلام تحقيقاً للعدل الإلهي ودفعاً للباطل الشيطاني.

أمَّا ما أُخِذَ من ثارات للحسين عليه السلام من قِبَل بعض الموالين الذين قاموا بالثورات كثورة المختار والتوّابين وغيرهما، فلم تكن كافية، ولم تكن محقِّقه لأخذ الثأر بتمامه، وإنَّما الذي يأخذ بالثأر التامّ هو الحجَّة بن الحسن عليه السلام كما نصَّت الروايات الخاصَّة التي سنذكرها لاحقاً في تقريب الرواية السادسة من الروايات الآتية.

عرض صلب الموضوع:

الروايات الخاصَّة الدالَّة علىٰ أنَّ الإمام الحجَّة عليه السلام يأخذ الثأر:

نصَّت الكثير من الروايات - ولعلَّها بلغت حدَّ الاستفاضة - علىٰ أنَّ الإمام الحجَّة أرواحنا لمقدمه الفداء هو الذي يأخذ بثأر سيِّد الشهداء عليه السلام حال خروجه من غيبته، وقد ذكرها أصحاب المجاميع الروائية كما في البحار وغيره.

وإليك جملة من هذه الروايات:

الرواية الأولىٰ:

في بحار الأنوار عن علل الشرائع وعيون أخبار الرضا عليه السلام: الْهَمْدَانِيُّ، عَنْ عَلِيٍّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ الْهَرَوِيِّ، قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي الْحَسَنِ الرِّضَا عليه السلام: يَا ابْنَ رَسُولِ اللهِ مَا تَقُولُ فِي حَدِيثٍ رُوِيَ عَنِ الصَّادِقِ عليه السلام أَنَّهُ قَالَ: «**إِذَا خَرَجَ الْقَائِمُ قَتَلَ ذَرَارِيَّ قَتَلَةِ الْحُسَيْنِ عليه السلام بِفِعَالِ آبَائِهَا**»؟ فَقَالَ عليه السلام: «**هُوَ كَذَلِكَ**»، فَقُلْتُ: وَقَوْلُ اللهِ (عَزَّ وَجَلَّ): ﴿وَلا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرىٰ﴾ [الأنعام: ١٦٤]، مَا مَعْنَاهُ؟ قَالَ: «**صَدَقَ اللهُ فِي جَمِيعِ أَقْوَالِهِ، وَلَكِنْ ذَرَارِيُّ قَتَلَةِ الْحُسَيْنِ يَرْضَوْنَ بِفِعَالِ آبَائِهِمْ وَيَفْتَخِرُونَ بِهَا، وَمَنْ رَضِيَ شَيْئاً كَانَ كَمَنْ أَتَاهُ، وَلَوْ أَنَّ رَجُلًا قُتِلَ بِالْمَشْرِقِ فَرَضِيَ بِقَتْلِهِ رَجُلٌ بِالْمَغْرِبِ لَكَانَ الرَّاضِي عِنْدَ اللهِ (عَزَّ وَجَلَّ) شَرِيكَ الْقَاتِلِ، وَإِنَّمَا**

يَقْتُلُهُمُ الْقَائِمُ عليه السلام **إِذَا خَرَجَ لِرِضَاهُمْ بِفِعْلِ آبَائِهِمْ»**، قَالَ: قُلْتُ لَهُ: بِأَيِّ شَيْءٍ يَبْدَأُ الْقَائِمُ مِنْكُمْ إِذَا قَامَ؟ قَالَ: «**يَبْدَأُ بِبَنِي شَيْبَةَ فَيَقْطَعُ أَيْدِيَهُمْ، لِأَنَّهُمْ سُرَّاقُ بَيْتِ اللهِ (عَزَّ وَجَلَّ)**»[1].

تقريب الدلالة: الرواية واضحة الدلالة على أنَّ الإمام الحجَّة عليه السلام يأخذ بثأر سيِّد الشهداء عليه السلام حال خروجه، ويكون أخذ الثأر من أتباع الخطِّ الأُموي، سواء كانوا من بني أُميَّة أو من أنصارهم، والجامع المشترك بينهم أنَّهم شاركوا في قتل الإمام الحسين عليه السلام وصحبه الميامين، وهذا القتل للذراري لأنَّهم ساروا على هذا النهج الشيطاني في القتل والتنكيل بأتباع آل البيت عليهم السلام من جهة، ولأنَّهم رضوا وافتخروا بذلك الفعل الشنيع.

فالإمام المهدي عليه السلام هو الآخذ بالثأر الأكبر كما هو واضح من الرواية.

إشكال ودفعه:

قد يقال: لماذا يقتل الإمام الحجَّة عليه السلام ذراري قتلة الإمام الحسين عليه السلام وهم لم يرتكبوا القتل ولم يشهدوا تلك الجريمة؟

فإنَّه يقال: إنَّ الجواب على ذلك له عدَّة مستويات، وبعضها بنحو الاحتمال والأُطروحة، وكلُّ مستوىً يصحُّ أن يكون جواباً مستقلّاً:

المستوىٰ الأوَّل: الرضا بالأفعال ـ مجرَّد الرضا ـ:

ما ذكره الإمام الصادق عليه السلام في الرواية أعلاه من تعليل قتلهم: «يَرْضَوْنَ بِفِعَالِ آبَائِهِمْ وَيَفْتَخِرُونَ بِهَا، وَمَنْ رَضِيَ شَيْئاً كَانَ كَمَنْ أَتَاهُ».

فهم ساروا على هذا النهج العدائي للنهج النبوي الحسيني، ورضوا وأيَّدوا هذه الجرائم، ولو أنَّهم تمكَّنوا من قتل الحسين عليه السلام ثانيةً لقتلوه، فاستحقّوا بذلك القتل.

---

(١) بحار الأنوار ٤٥: ٢٩٥/ ط بيروت؛ العيون ١: ٢٧٣؛ علل الشرائع ١: ٢١٩.

وهذا ما حصل ويحصل من النهج العدائي لآل البيت عليهم السلام وللحسين عليه السلام، وما يُفعَل الآن من قتل شيعة آل البيت عليهم السلام نكايةً وتشفّياً منهم لأنّهم اتّبعوا هذا الخطّ النبوي العلوي.

وما يُمارَس اليوم من جرائم في حقّ أتباع آل البيت عليهم السلام ما هو إلّا امتداد للنهج الأُموي والعبّاسي الذي قتل آل البيت عليهم السلام وأتباعهم في سالف الدهر.

فإنّ هؤلاء هم أبناء أُولئك تشابهت قلوبهم وأفعالهم ولم تتغيّر إلّا أسماؤهم، فما تمارسه اليوم المنظّمات الإرهابية كداعش وجبهة النصرة وبوكوحرام وغيرها وبعض الأنظمة والدول الأُموية إنّما هي تكملة لمسلسل القتل والذبح والحرق الذي مارسه أسلافهم باسم الدين والسلطة والخلافة الدنيوية.

فيأتي الإمام المنقذ عليه السلام ليُطهِّر الأرض من هذه الزُّمَر والمسمّيات ثأراً لآل البيت عليهم السلام وشيعتهم على مرِّ التاريخ، بل ثائراً لكلِّ المظلومين والمستضعفين في المعمورة.

المستوى الثاني: العلم الإلهي بالسير العملي للذراري:

قد يقال: إنّه في علم الله وتقديره أنّ جميع ذراري قتلة الحسين عليه السلام أو غالبهم يسيرون على نهج آبائهم في القتل لآل البيت عليهم السلام وأتباعهم والإفساد في البلاد والعباد، وبذلك استحقّوا القتل، كما في الدعاء على لسان النبيِّ نوح عليه السلام عندما دعا الله باستئصال جميع الظالمين: ﴿رَبِّ لا تَذَرْ عَلَى الْأَرضِ مِنَ الْكافِرِينَ دَيَّاراً ٢٦ إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبادَكَ وَلا يَلِدُوا إِلَّا فاجِراً كَفَّاراً﴾ (النوح: ٢٦ و٢٧).

المستوى الثالث: المداهنة:

إنّه من باب الأمر بالمعروف والنهي عن النمكر كما دلّت الروايات، منها: ما عن الإمام الباقر عليه السلام: «**أَوْحَى اللهُ (عَزَّ وَجَلَّ) إِلَى شُعَيْبٍ النَّبِيِّ عليه السلام: أَنِّي مُعَذِّبٌ مِنْ قَوْمِكَ مِائَةَ أَلْفٍ**

أَرْبَعِينَ أَلْفاً مِنْ شِرَارِهِمْ وَسِتِّينَ أَلْفاً مِنْ خِيَارِهِمْ، فَقَالَ عليه السلام: يَا رَبِّ هَؤُلَاءِ الْأَشْرَارُ، فَمَا بَالُ الْأَخْيَارِ؟ فَأَوْحَىٰ اللهُ (عَزَّ وَجَلَّ) إِلَيْهِ: دَاهَنُوا أَهْلَ الْمَعَاصِي[1] وَلَمْ يَغْضَبُوا لِغَضَبِي»[2].

المستوىٰ الرابع: القصاص الاجتماعي ـ الجماعي:

إنَّه من باب القصاص الجماعي كما فعل النبيُّ الأعظم صلى الله عليه وآله ببني قريظة وبني النظير حيث عاقب الجميع (جميع الرجال البالغين دون الأطفال والنساء) بعقوبة القتل والإجلاء، لخيانتهم للمعسكر الإسلامي وتواطئهم مع معسكر الشرك.

المستوىٰ الخامس: خاصٌّ بالإمام عليه السلام:

إنَّه حكم خاصٌّ بالإمام المهدي عليه السلام أو بعصر الظهور، ككثير من الأحكام الخاصَّة به عليه السلام من خلال حكمه علىٰ البواطن والضمائر لا بالظواهر فقط، فيكون قتله لذراري قتلة الحسين عليه السلام من الأحكام الخاصَّة.

المستوىٰ السادس: خاصٌّ بقتلة الإمام الحسين عليه السلام:

إنَّه حكم خاصٌّ بقتلة الإمام الحسين عليه السلام بأن تُقتَل كلُّ ذراريهم قصاصاً خاصّاً بهم لعظيم ما وقع علىٰ الحسين عليه السلام وعياله وأصحابه من قتل وتنكيل وتمثيل، فكان جزاء من يرضىٰ بهذا الفعل ويسير بهذا النهج أن يُستَأصل من الأرض.

المستوىٰ السابع: قضيَّة غيبية:

إنَّ قتلهم وإن كان ظاهره تعدّياً أو ظلماً إلَّا أنَّه في الواقع لعلَّه عدل وحقٌّ كما فعل

---

(١) أي تركوا نصيحتهم ولم يتعرَّضوا لهم ولم يمنعوهم من قبائحهم.

(٢) الكافي ٥: ٥٦/ باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر/ ح ١.

الخضر عليه السلام في قصّة قتل الغلام، فكان من الصالح للأبوين أن يقتل الخضر ابنهما حتّىٰ يُبدِلهما الله خيراً منه، ومن صالح الابن أن يُقتَل لكي لا يكبر ويعقّهما فيصبح من الظالمين فلا يتعذّبان بوجوده، وبرَّر ذلك الفعل لموسىٰ عليه السلام كما ذكرت الآيات وتفسيرها.

ففي (**مكاتيب الأئمّة عليهم السلام**)[1] كتابه عليه السلام إلىٰ يونس وهشام في قصّة موسىٰ عليه السلام حين لقي الخضر عليه السلام: روىٰ محمّد بن عليٍّ بن بلال، عن يونس، قال: اختلف يونس وهشام بن إبراهيم في العالم الذي أتاه موسىٰ عليه السلام أيّهما كان أعلم، وهل يجوز أن يكون علىٰ موسىٰ عليه السلام حجَّة في وقته وهو حجَّة الله علىٰ خلقه؟ فقال قاسم الصيقل: فكتبوا ذلك إلىٰ أبي الحسن الرضا عليه السلام يسألونه عن ذلك. فكتب في الجواب:

«... **فَنَظَرَ الخَضِرُ إِلىٰ غُلامٍ يَلعَبُ بَينَ الصِّبيانِ، حَسَنِ الوَجهِ كَأَنَّهُ قِطعَةُ قَمَرٍ، فِي أُذُنَيهِ دُرَّتانِ، فَتَأَمَّلَهُ الخَضِرُ ثُمَّ أَخَذَهُ فَقَتَلَهُ، فَوَثَبَ موسىٰ عَلَى الخَضِرِ وَجَلَدَ بِهِ الأَرضَ فَقالَ: ﴿أَقَتَلْتَ نَفْساً زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً نُكْراً﴾. فَقالَ الخَضِرُ: ﴿أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً...﴾ [الكهف: ٧٤ و٧٥]، ﴿وَأَمَّا الْغُلامُ فَكانَ أَبَواهُ مُؤْمِنَيْنِ﴾، وَطُبِعَ كافِراً ـ كَذا نَزَلَت ـ فَنَظَرتُ إِلىٰ جَبينِهِ وَعَلَيهِ مَكتوبٌ: طُبِعَ كافِراً، ﴿فَخَشِينا أَنْ يُرْهِقَهُما طُغْياناً وَكُفْراً ٨٠ فَأَرَدْنا أَنْ يُبْدِلَهُما رَبُّهُما خَيْراً مِنْهُ زَكاةً وَأَقْرَبَ رُحْماً﴾ [الكهف: ٨٠ و٨١]، فَأَبدَلَ اللهُ لِوالِدَيهِ بِنتاً، وَوَلَدَت سَبعينَ نَبيّاً...**».

فكذلك الإمام الحجَّة عليه السلام يعلم بواطن هؤلاء الذراري ويقتلهم ويُبيِّن وجه ذلك كما فعل الخضر لموسىٰ عليهما السلام.

النتيجة: لو صحَّت أحد هذه الاحتمالات كما هو الصحيح فهو، وإلَّا رددنا علم الرواية إلىٰ أهلها.

---

(١) مكاتيب الأئمّة (عليهم السلام) ٥: ٢٩٩.

الرواية الثانية:

روىٰ ابْنُ الْوَلِيدِ، عَنِ الصَّفَّارِ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِنَانٍ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ جَابِرٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ عليه السلام، قَالَ: سَمِعْتُهُ يَقُولُ: «**الْقَائِمُ وَاللهِ يَقْتُلُ ذَرَارِيَّ قَتَلَةِ الْحُسَيْنِ بِفِعَالِ آبَائِهَا**»[1].

تقريب الدلالة: في هذه الرواية تعليل لقتل ذراري قتلة الحسين عليه السلام بسبب فعل آبائهم ممَّا فعلوا بواقعة كربلاء، والكلام فيها ما مرَّ في التعليق علىٰ الرواية الأُولىٰ ودفع إشكال قتل الذراري.

الرواية الثالثة:

روىٰ مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ الرَّزَّازُ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ، عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عِيسَىٰ، عَنْ سَمَاعَةَ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ عليه السلام فِي قَوْلِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿**فَلا عُدْوانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ**﴾ [البقرة: ١٩٣]، قَالَ: «**أَوْلَادُ قَتَلَةِ الْحُسَيْنِ** عليه السلام»[2].

تقريب الدلالة: في هذه الرواية تعليل لقتل ذراري قتلة الحسين عليه السلام من خلال تفسير الآية المباركة من كونهم ظالمين، فيكون العدوان والقصاص واقعاً عليهم تحقيقاً للعدل الواقعي وإن سُمّي عدواناً ظاهري كما احتمل ذلك صاحب البحار، قال رحمه الله معلِّقاً علىٰ الرواية: (لعلَّ المراد بالعدوان ما يُسمّىٰ ظاهراً عدواناً وإن كان في الواقع موافقاً للعدل)[3].

أقول: أو ـ لعلَّه والله العالم ـ لأنَّ العدوان لا بمعنىٰ الاعتداء الابتدائي وإنَّما من باب

---

(١) بحار الأنوار ٤٥: ٢٩٦/ ح ٣.

(٢) بحار الأنوار ٤٥: ٢٩٦ و٢٩٧/ ح ٤.

(٣) المصدر السابق.

ردٌّ الاعتداء الواقع منهم ومن آبائهم، وهو حقٌّ مشروع كما بيَّنت الآية: ﴿ فَمَنِ اعْتَدىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدىٰ عَلَيْكُمْ﴾ (البقرة: ١٩٤).

فيكون الاعتداء عليهم مشروعاً تحقيقاً للعدل والقصاص كما بيَّنّا في بعض مستويات دفع إشكال قتل الذراري المتقدِّم.

الرواية الرابعة:

عن كامل الزيارات: ابْنُ الْوَلِيدِ، عَنِ الصَّفَّارِ، عَنِ ابْنِ مَعْرُوفٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِنَانٍ، عَنْ رَجُلٍ، قَالَ: سَأَلْتُ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ عليه السلام فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنا لِوَلِيِّهِ سُلْطاناً فَلا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ﴾ [الإسراء: ٣٣]، قَالَ: «ذَلِكَ قَائِمُ آلِ مُحَمَّدٍ يَخْرُجُ فَيَقْتُلُ بِدَمِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ، فَلَوْ قَتَلَ أَهْلَ الْأَرْضِ لَمْ يَكُنْ سَرَفاً، وَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿فَلا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ﴾ لَمْ يَكُنْ لِيَصْنَعَ شَيْئاً يَكُونُ سَرَفاً»، ثُمَّ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ عليه السلام: «يَقْتُلُ وَاللهِ ذَرَارِيَّ قَتَلَةِ الْحُسَيْنِ بِفِعَالِ آبَائِهَا»[1].

تقريب الاستدلال: في هذه الرواية يُبيِّن الإمام عليه السلام حجم المصيبة والفاجعة والجريمة التي ارتكبها قتلة الإمام الحسين عليه السلام، فإنَّهم بقتله قتلوا النبيَّ الأعظم صلى الله عليه وآله وآله عليهم السلام، وقتلوا شريعة الله، وقتلوا القرآن، وقتلوا العدل...، إلىٰ غيرها من مظاهر الخير والصلاح، فلو قام الإمام الحجَّة عليه السلام بالثأر له بقتل كلِّ المعتدين والظالمين علىٰ وجه الأرض لما وفىٰ بقتل الحسين عليه السلام، لعظيم شأنه في السماء والأرض كما دلَّت الروايات، منها ما **قاله في (مصباح الشريعة)**[2]: قَالَ الصَّادِقُ عليه السلام: «رُوِيَ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ عَنْ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ، قَالَ: دَخَلْتُ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ عليه السلام، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيَّ فَقَالَ صلى الله عليه وآله: يَا سَلْمَانُ، إِنَّ اللهَ (عَزَّ وَجَلَّ) لَنْ يَبْعَثَ نَبِيّاً وَلَا

(١) بحار الأنوار ٤٥: ٢٩٨/ ح ٧.

(٢) مصباح الشريعة: ٦٣.

رَسُولًا إِلَّا وَلَهُ اثْنَا عَشَرَ نَقِيباً، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، عَرَفْتُ هَذَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابَيْنِ، قَالَ: يَا سَلْمَانُ، هَلْ عَرَفْتَ نُقَبَائِيَ الِاثْنَيْ عَشَرَ الَّذِينَ اخْتَارَهُمُ اللهُ تَعَالَىٰ لِلْإِمَامَةِ مِنْ بَعْدِي؟ فَقُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَقَالَ: يَا سَلْمَانُ، خَلَقَنِيَ اللهُ تَعَالَىٰ مِنْ صَفْوَةِ نُورِهِ، وَدَعَانِي فَأَطَعْتُهُ، فَخَلَقَ مِنْ نُورِي عَلِيّاً، وَدَعَاهُ فَأَطَاعَهُ، فَخَلَقَ مِنْ نُورِي وَنُورِ عَلِيٍّ فَاطِمَةَ، وَدَعَاهَا فَأَطَاعَتْهُ، فَخَلَقَ مِنِّي وَمِنْ عَلِيٍّ وَفَاطِمَةَ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ، فَدَعَاهُمَا فَأَطَاعَاهُ، فَسَمَّانَا اللهُ تَعَالَىٰ بِخَمْسَةِ أَسْمَاءٍ مِنْ أَسْمَائِهِ فَاللهُ تَعَالَىٰ الْمَحْمُودُ وَأَنَا مُحَمَّدٌ، وَاللهُ الْعَلِيُّ وَهَذَا عَلِيٌّ، وَاللهُ الْفَاطِرُ وَهَذِهِ فَاطِمَةُ، وَاللهُ ذُو الْإِحْسَانِ وَهَذَا الْحَسَنُ، وَاللهُ الْمُحْسِنُ وَهَذَا الْحُسَيْنُ، وَخَلَقَ مِنْ نُورِ الْحُسَيْنِ تِسْعَةَ أَئِمَّةٍ، فَدَعَاهُمْ فَأَطَاعُوهُ، مِنْ قَبْلِ أَنْ يَخْلُقَ اللهُ تَعَالَىٰ سَمَاءً مَبْنِيَّةً، وَأَرْضاً مَدْحِيَّةً، أَوْ هَوَاءً، أَوْ مَلَكاً، أَوْ بَشَراً، وَكُنَّا أَنْوَاراً نُسَبِّحُهُ وَنَسْمَعُ لَهُ وَنُطِيعُ، قَالَ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي مَا لِمَنْ عَرَفَ هَؤُلَاءِ حَقَّ مَعْرِفَتِهِمْ؟ فَقَالَ: يَا سَلْمَانُ، مَنْ عَرَفَهُمْ حَقَّ مَعْرِفَتِهِمْ، وَاقْتَدَىٰ بِهِمْ فَوَالاهُمْ، وَتَبَرَّأَ مِنْ عَدُوِّهِمْ، كَانَ وَالله مِنَّا يَرِدُ حَيْثُ نَرِدُ وَيَكُنْ حَيْثُ نَكُن...».

ثمّ بيّن الإمام أنَّ الإمام الحجَّة عليه السلام يقتل ذراري قتله الإمام الحسين عليه السلام كما ذكرت الروايات السابقة.

الرواية الخامسة:

تفسير العيّاشي: عَنِ الْحَسَنِ بَيَّاعِ الْهَرَوِيِّ، يَرْفَعُهُ عَنْ أَحَدِهِمَا عليهما السلام فِي قَوْلِهِ: ﴿فَلا عُدْوانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ١٩٣]، قَالَ: «إِلَّا عَلَىٰ ذُرِّيَّةِ قَتَلَةِ الْحُسَيْنِ عليه السلام»[1].

تقريب الاستدلال: هذه الرواية كأخواتها السابقات تدلُّ علىٰ أنَّ ذراري قتلة الحسين عليه السلام مصداق للآية الشريفة، وتبرير قتلهم ما مرَّ من توجيهات، فراجع.

---

(١) تفسير العيّاشيّ ١: ٨٦؛ بحار الأنوار ٤٥: ٢٩٨/ ح ٨.

الرواية السادسة:

المناقب لابن شهرآشوب: (تَارِيخُ بَغْدَادَ وَخُرَاسَانَ وَالْإِبَانَةُ وَالْفِرْدَوْسُ): قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: «**أَوْحَىٰ اللهُ تَعَالَىٰ إِلَىٰ مُحَمَّدٍ** عليه السلام: **إِنِّي قَتَلْتُ بِيَحْيَىٰ بْنِ زَكَرِيَّا** عليه السلام **سَبْعِينَ أَلْفاً، وَأَقْتُلُ بِابْنِ بِنْتِكَ سَبْعِينَ أَلْفاً وَسَبْعِينَ أَلْفاً**»[1].

تقريب الاستدلال: أنَّ الله (عزَّ وجلَّ) سيقتل - بيد أوليائه ووليِّه الحجَّة - أكثر ممَّا قتل بقتل النبيِّ يحيىٰ عليه السلام، فإن كان قتل بقتل النبيِّ يحيىٰ عليه السلام سبعين ألفاً فإنَّه يقتل بقتل الحسين عليه السلام مضاعفاً، وهذا يدلُّ علىٰ أنَّ شأن الحسين عليه السلام أعظم من شأن جميع الأنبياء إلَّا النبيَّ الأعظم عليه السلام.

ولا شكَّ أن قتلة الحسين عليه السلام علىٰ أكثر الروايات ليسوا بهذا العدد، فلذا القتل يشمل ما هو أوسع من القتلة المباشرين، كقتل الذراري والراضين والفرحين بقتله عليه السلام.

وروىٰ أيضاً عن الصَّادِقُ عليه السلام: «**قُتِلَ بِالْحُسَيْنِ مِائَةُ أَلْفٍ، وَمَا طُلِبَ بِثَأْرِهِ، وَسَيُطْلَبُ بِثَأْرِهِ**»[2].

هذه الرواية تُبيِّن أنَّ هناك مقتلة حصلت بقتلة الحسين عليه السلام إلىٰ زمن الإمام الصادق عليه السلام ولم يتمّ الثأر، وسيأتي من يطلب بثأره ويأخذ بحقِّه، وهذا ما يتمُّ علىٰ يد الطالب بدم المقتول بكربلاء.

ثمّ روىٰ رواية بيَّن بها قصَّة مقتل يحيىٰ عليه السلام وأنَّ دمه لم يبرد إلَّا بعد أن أُخِذَ بثأره، وكذلك دم الإمام الحسين عليه السلام لا يبرد إلَّا بالأخذ بثأره علىٰ يد الإمام الحجَّة عليه السلام.

فَفِي حَدِيثِ مُقَاتِلٍ، عَنْ زَيْنِ الْعَابِدِينَ عليه السلام، عَنْ أَبِيهِ عليه السلام: «**أَنَّ امْرَأَةَ مَلِكِ بَنِي إِسْرَائِيلَ**

---

(١) مناقب آل أبي طالب ٣: ٢٣٤؛ بحار الأنوار ٤٥: ٢٩٨/ ح ١٠.

(٢) مناقب آل أبي طالب ٤: ٨١.

كَبِرَتْ وَأَرَادَتْ أَنْ تُزَوِّجَ بِنْتَهَا مِنْهُ لِلْمَلِكِ، فَاسْتَشَارَ الْمَلِكُ يَحْيَىٰ بْنَ زَكَرِيَّا، فَنَهَاهُ عَنْ ذَلِكَ، فَعَرَفَتِ الْمَرْأَةُ ذَلِكَ، وَزَيَّنَتْ بِنْتَهَا وَبَعَثَتْهَا إِلَىٰ الْمَلِكِ، فَذَهَبَتْ وَلَعِبَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَقَالَ لَهَا الْمَلِكُ: مَا حَاجَتُكِ؟ قَالَتْ: رَأْسُ يَحْيَىٰ بْنِ زَكَرِيَّا عليه السلام، فَقَالَ الْمَلِكُ: يَا بُنَيَّةِ، حَاجَةٌ غَيْرُ هَذَا. قَالَتْ: مَا أُرِيدُ غَيْرَهُ، وَكَانَ الْمَلِكُ إِذَا كَذَبَ فِيهِمْ عُزِلَ عَنْ مُلْكِهِ، فَخُيِّرَ بَيْنَ مُلْكِهِ وَبَيْنَ قَتْلِ يَحْيَىٰ عليه السلام، فَقَتَلَهُ، ثُمَّ بَعَثَ بِرَأْسِهِ إِلَيْهَا فِي طَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ، فَأُمِرَتِ الْأَرْضُ فَأَخَذَتْهَا، وَسَلَّطَ اللهُ عَلَيْهِمْ بُخْتَنَصَّرَ، فَجَعَلَ يَرْمِي عَلَيْهِمْ بِالْمَنَاجِيقِ وَلَا تَعْمَلُ شَيْئاً، فَخَرَجَتْ إِلَيْهِ عَجُوزٌ مِنَ الْمَدِينَةِ، فَقَالَتْ: أَيُّهَا الْمَلِكُ، إِنَّ هَذِهِ مَدِينَةُ الْأَنْبِيَاءِ لَا تَنْفَتِحُ إِلَّا بِمَا أَدُلُّكَ عَلَيْهِ، قَالَ: لَكِ مَا سَأَلْتِ، قَالَتْ: ارْمِهَا بِالْخُبَثِ وَالْعَذِرَةِ، فَفَعَلَ، فَتَقَطَّعَتْ، فَدَخَلَهَا، فَقَالَ: عَلَيَّ بِالْعَجُوزِ، فَقَالَ لَهَا: مَا حَاجَتُكِ؟ قَالَتْ: فِي الْمَدِينَةِ دَمٌ يَغْلِي، فَاقْتُلْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَسْكُنَ، فَقَتَلَ عَلَيْهِ سَبْعِينَ أَلْفاً حَتَّىٰ سَكَنَ. يَا وَلَدِي، يَا عَلِيُّ، وَاللهِ لَا يَسْكُنُ دَمِي حَتَّىٰ يَبْعَثَ اللهُ الْمَهْدِيَّ عليه السلام، فَيَقْتُلَ عَلَىٰ دَمِي مِنَ الْمُنَافِقِينَ الْكَفَرَةِ الْفَسَقَةِ سَبْعِينَ أَلْفاً»[1].

الرواية السابعة:

في علل الشرائع: الدَّقَّاقُ وَابْنُ عِصَامٍ مَعاً، عَنِ الْكُلَيْنِيِّ، عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ الْعَلَاءِ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ الْفَزَارِيِّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جُمْهُورٍ الْعَمِّيِّ، عَنِ ابْنِ أَبِي نَجْرَانَ، عَمَّنْ ذَكَرَهُ، عَنِ الثُّمَالِيِّ، قَالَ: سَأَلْتُ الْبَاقِرَ عليه السلام: يَا ابْنَ رَسُولِ اللهِ، أَلَسْتُمْ كُلُّكُمْ قَائِمِينَ بِالْحَقِّ؟ قَالَ: «بَلَىٰ»، قُلْتُ: فَلِمَ سُمِّيَ الْقَائِمُ قَائِماً؟ قَالَ: «لَمَّا قُتِلَ جَدِّيَ الْحُسَيْنُ عليه السلام ضَجَّتِ الْمَلَائِكَةُ إِلَىٰ اللهِ (عَزَّ وَجَلَّ) بِالْبُكَاءِ وَالنَّحِيبِ، وَقَالُوا: إِلَهَنَا وَسَيِّدَنَا، أَتَغْفُلُ عَمَّنْ قَتَلَ صَفْوَتَكَ وَابْنَ صَفْوَتِكَ وَخِيَرَتَكَ مِنْ خَلْقِكَ؟ فَأَوْحَى اللهُ (عَزَّ وَجَلَّ) إِلَيْهِمْ: قَرُّوا مَلَائِكَتِي، فَوَعِزَّتِي وَجَلَالِي لَأَنْتَقِمَنَّ مِنْهُمْ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ، ثُمَّ كَشَفَ اللهُ (عَزَّ وَجَلَّ) عَنِ الْأَئِمَّةِ مِنْ وُلْدِ الْحُسَيْنِ عليه السلام

---

(١) مناقب آل أبي طالب ٤: ٨٥.

لِلْمَلَائِكَةِ، فَسَرَّتِ الْمَلَائِكَةُ بِذَلِكَ، فَإِذَا أَحَدُهُمْ قَائِمٌ يُصَلِّي، فَقَالَ اللهُ (عَزَّ وَجَلَّ): بِذَلِكَ الْقَائِمِ أَنْتَقِمُ مِنْهُمْ»[١].

تقريب الاستدلال: في هذه الرواية يُبيِّن الإمام عليه السلام وجه تسمية الإمام الحجّة بالقائم، وهو لأنَّه يقوم بالانتقام من قتلة الإمام الحسين عليه السلام ويأخذ بثأره، وأنَّ ذلك يُشفي صدر الملائكة عليهم السلام.

ولا ينافي ذلك ما ورد من روايات أُخرىٰ أنَّه سُمّي القائم لأنَّه يقوم بالحقِّ كما في رواية الإرشاد: رَوَىٰ مُحَمَّدُ بْنُ عَجْلَانَ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ عليه السلام، قَالَ: **«إِذَا قَامَ الْقَائِمُ عليه السلام دَعَا النَّاسَ إِلَىٰ الْإِسْلَامِ جَدِيداً، وَهَدَاهُمْ إِلَىٰ أَمْرٍ قَدْ دَثَرَ وَضَلَّ عَنْهُ الْجُمْهُورُ، وَإِنَّمَا سُمِّيَ الْقَائِمُ مَهْدِيّاً لِأَنَّهُ يَهْدِي إِلَىٰ أَمْرٍ مَضْلُولٍ عَنْهُ، وَسُمِّيَ الْقَائِمَ لِقِيَامِهِ بِالْحَقِّ»**[٢].

أو لأنَّه يقوم بعد موت ذكره كما في رواية (معاني الأخبار): **«سُمِّيَ الْقَائِمُ عليه السلام قَائِماً لِأَنَّهُ يَقُومُ بَعْدَ موته [مَوْتِ] ذِكْرِهِ»**[٣].

لأنَّ ذلك من باب تعدُّد علل التسمية، كما أنَّ الأخذ بثأر الحسين عليه السلام من مصاديق القيام بالحقِّ، فلا منافاة بالتعبير بين الروايات.

فمن جدول أعمال القيام للإمام الحجَّة عليه السلام أن يُطهِّر الأرض من الظالمين ومن قتلة الإمام الحسين وذراريهم السائرين علىٰ نهجهم والراضين بأفعالهم.

وذلك يأخذ بالثأر التامّ ـ كما تقدَّم ـ الذي يشفي صدر النبيِّ الكريم وعموم المؤمنين الصالحين والملائكة الضاجّين.

وبذلك يتحقَّق العدل الإلهي التامّ، فيمنُّ الله علىٰ المستضعفين بالفتح، ويقضي علىٰ

---

(١) بحار الأنوار ٤٥: ٢٢١/ ح ٤.

(٢) بحار الأنوار ٥١: ٣٠/ ح ٧.

(٣) بحار الأنوار ٥١: ٣٠/ ح ٣.

المستضعِفين ـ بالكسر ـ كما عبَّرت الآية الكريمة: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ﴾ (القصص: ٥).

فقد جاء في (تفسير القمي)[١]: «أَنَّ اللهَ أَخْبَرَ رَسُولَ الله عليه السلام وَبَشَّرَهُ بِالْحُسَيْنِ عليه السلام قَبْلَ حَمْلِهِ، وَأَنَّ الْإِمَامَةَ تَكُونُ فِي وُلْدِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ أَخْبَرَهُ بِمَا يُصِيبُهُ مِنَ الْقَتْلِ وَالْمُصِيبَةِ فِي نَفْسِهِ وَوُلْدِهِ، ثُمَّ عَوَّضَهُ بِأَنْ جَعَلَ الْإِمَامَةَ فِي عَقِبِهِ، وَأَعْلَمَهُ أَنَّهُ يُقْتَلُ، ثُمَّ يَرُدُّهُ إِلَى الدُّنْيَا وَيَنْصُرُهُ حَتَّى يَقْتُلَ أَعْدَاءَهُ، وَيَمْلِكَهُ الْأَرْضَ، وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ...﴾ الْآيَةَ، قَوْلُهُ: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُها عِبادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٥]، فَبَشَّرَ اللهُ نَبِيَّهُ عليه السلام أَنَّ أَهْلَ بَيْتِكَ يَمْلِكُونَ الْأَرْضَ وَيَرْجِعُونَ إِلَى الدُّنْيَا وَيَقْتُلُونَ أَعْدَاءَهُم...».

وروى الحصيني ـ قد طبَّق الإمام العسكري عليه السلام الآية المباركة على الإمام الحجَّة عليه السلام ـ: قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ عليه السلام: «يَا عَمَّةُ، اذْهَبِي بِهِ إِلَى أُمِّهِ لِتُسَلِّمَ عَلَيْهِ، وَأْتِينِي بِهِ»، فَمَضَتْ بِهِ إِلَيْهَا، فَسَلَّمَتْ عَلَيْهِ، وَرَدَّتْهُ إِلَيْهِ، ثُمَّ وَقَعَ بَيْنِي وَبَيْنَ أَبِي مُحَمَّدٍ عليه السلام كَالْحِجَابِ، فَلَمْ أَرَ سَيِّدِي، فَقُلْتُ لِأَبِي مُحَمَّدٍ عليه السلام: يَا سَيِّدِي، أَيْنَ مَوْلَايَ؟ فَقَالَ: «أَخَذَهُ مَنْ هُوَ أَحَقُّ بِهِ مِنْكِ، فَإِذَا كَانَ فِي الْيَوْمِ السَّابِعِ فَأْتِنَا»، فَلَمَّا جَاءَ الْيَوْمُ السَّابِعُ أَتَيْتُ وَسَلَّمْتُ وَجَلَسْتُ، فَقَالَ لِي عليه السلام: «هَلُمِّي ابْنِي»، فَجِئْتُ سَيِّدِي وَهُوَ فِي ثِيَابِ صُفْرٍ، فَفَعَلَ بِهِ كَفِعْلِهِ الْأَوَّلِ، وَجَعَلَ لِسَانَهُ فِي فِيهِ، ثُمَّ قَالَ: «تَكَلَّمْ يَا بُنَيَّ»، فَقَالَ: «أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله»، وَأَثْنَى بِالصَّلَاةِ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْأَئِمَّةِ حَتَّى وَقَفَ عَلَى أَبِيهِ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوارِثِينَ ٥ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهامانَ وَجُنُودَهُما مِنْهُمْ ما كانُوا يَحْذَرُونَ﴾ [القصص: ٥ و٦]»[٢].

---

(١) تفسير القمّي ٢: ٢٩٧.

(٢) الهداية الكبرى: ٣٥٦.

وفي (بحار الأنوار)[1]: عن الغيبة للشيخ الطوسي: مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ، عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْقِطَعِيِّ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ حَاتِمٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مَرْوَانَ، عَنْ عُبَيْدِ بْنِ يَحْيَىٰ الثَّوْرِيِّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، عَنْ عَلِيٍّ عليه السلام فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾، قَالَ عليه السلام: «هُمْ آلُ مُحَمَّدٍ، يَبْعَثُ اللهُ مَهْدِيَّهُمْ بَعْدَ جَهْدِهِمْ، فَيُعِزُّهُمْ، وَيُذِلُّ عَدُوَّهُمْ».

هذا ما اردنا بيانه في رفع اشكالية قتل ذراري قتلة الامام الحسين عليه السلام من قبل ولي دمه الامام الحجة عجل الله فرجه.

(١) بحار الأنوار ٥١: ٥٤/ ح ٣٥، عن الغيبة للطوسي: ١٨٤ و١٨٥/ ح ١٤٣.

البحث التاسع :

حضور السيدة الزهراء
في مجالس سيد الشهداء

توطئة:

من المسائل التي شاعت وانتشرت في العرف الموالي لال البيت عليهم السلام حتى اصبحت من المسلمات بين المؤمنين هو حضور السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام في مجالس العزاء الحسيني ، فاضاف هذا الحضور اجلال الى اجلال لتلك المجالس المقدسة التي اصبحت اليوم منبرا داعيا لله ورسوله وبيانا للمعالم الدينية على المستوى العقدي والعملي.

وهذا الامر وان سلم عند اكثر المؤمنين بل حتى في اكثر الاوساط العلمية والعلمائية الا اني وجدت من ينفيه اخيرا بشكل قطعي ويراه صورة من صور الغلو بهذه المجالس المقدسة وبمقامات ال بيت النبي صلوات الله عليهم اجمعين فجاء هذا البحث المختصر كدفاع عن هذا الاعتقاد.

ومن الغريب ان يجزم المنكر بالنفي لان هذا الامر هو اقرب للامر الغيبي والمعنوي الذي لا ينفى بمجرد عدم امكان الوجود المادي او الحسي للسيدة الزهراء عليها السلام او بمجرد عدم امكان تصور ذلك عقلا ، وهذا السبب الاخير هو الذي دعى للانكار ، وهو ان الزهراء عليها السلام امراة واحدة فكيف لها ان تحضر لمئات او آلاف المجالس الحسينية في آن واحد ، مما دعى بعض لانكار هكذا حضور او اشكالهم بانها ميتة فما معنى حضورها تلك المجالس ؟.

ولا يخفى ان هذه النظرة من المنكرين نظرة مادية بحته وخالية من البعد الميتافيزيقي الذي تؤمن به كل الشرائع بما فيها شريعة الاسلام بل هو جزء من الدين وصفة من صفات المتقين كما قال تعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ...﴾[1].

فلا يجوز بحال من الاحوال قياس الامور الماورائية بالامور المادية لان هذا خلاف نظرة الدين ، وانكارها لمجرد انها غير محسوسة او لايمكن تخريجها وفق الاطر المادية ، فلا اقل من السكوت عنها وعدم الرجم بالغيب والجزم بانكارها او القول بمغالات من يومن بها ، خصوصا وان النبي واله والسيدة الزهراء لهم من الخصوصية ما ليس لغيرهم كما نصت الايات والروايات كما ثبت فى محله من كتب الحديث والعقائد.

وفي هذا البحث المختصر حاولنا ابراز ادلة وشواهد شرعية معتبرة تدفع اشكال الامتناع لهكذا حضور بل داعمة لوقوع ذلك في مواطن عديدة لال البيت عليهم السلام او لخصوص السيدة الزهراء عليها السلام.

فاذا ثبتت تلك الشواهد فمن باب وحدة المناط وإلغاء الخصوصية يمكن التعميم لمسالتنا والقول بامكان حضور السيدة الزهراء عليها السلام بل ووقوعه لما تكرر من نظائر ذلك من حضور النبي وال البيت والسيدة الزهراء صلوات الله عليهم في مواطن عديدة مشابهة كما سنشير فى طيات البحث.

وبهذا يكون الحضور امرا ممكنا لا غلو فيه ، غاية الامر يبحث عن سنخ هذا الحضور ، وهل هو حضور مادي او معنوي او اشرافي ؟ وهذا ما سياتي بيانه لاحقا ، اما اصل الانكار فلا مجال له ابدا.

---

(١) البقرة الاية ٢ و٣.

مقدمة: نبذة من مقام السيدة الزهراء عليها السلام:

لاشك ان السيدة الزهراء عليها السلام لها مقامات كثيرة لم تثبت لاحد غيرها الا لأبيها وبعلها، وهنا نذكر بعجالة اشارات لبعض تلك المقامات:

المقام الاول: انها سيدة نساء العالمين من الاولين والاخرين.

ورد ذلك في روايات مستفيضة منها ما في معانى الاخبار باسناد عن الْمُفَضَّلِ بْنِ عُمَرَ قَالَ قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام أَخْبِرْنِي عَنْ قَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ' فِي فَاطِمَةَ أَنَّهَا سَيِّدَةُ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ أَهِيَ سَيِّدَةُ نِسَاءِ عَالَمِهَا فَقَالَ «ذَاكَ لِمَرْيَمَ كَانَتْ سَيِّدَةَ نِسَاءِ عَالَمِهَا وَفَاطِمَةُ سَيِّدَةُ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ» [١].

ودلالة الرواية واضحة في تقدها على جميع نساء العالمين من الاولين والاخرين منذ خلق النبي ادم عليه السلام الى قيام يوم الدين وانها افضل من مريم واسيا وخديجة عليهن السلام ونساء الانبياء جميعا فضلا عن غيرهن.

المقام الثاني: انها سيدة نساء اهل الجنة:

ورد ذلك في عدة روايات وزيارات منها ما فى زيارة الامام الرضا عليه السلام: (اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى فَاطِمَةَ بِنْتِ نَبِيِّكَ وَزَوْجَةِ وَلِيِّكَ وَأُمِّ السِّبْطَيْنِ الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ سَيِّدَيْ شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ الطُّهْرَةِ الطَّاهِرَةِ الْمُطَهَّرَةِ النَّقِيَّةِ [التَّقِيَّةِ] الرَّضِيَّةِ الزَّكِيَّةِ سَيِّدَةِ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ وَسَيِّدَةِ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ مِنَ الْخَلْقِ أَجْمَعِينَ) [٢]

دلالة الرواية واضحة بانها كما كانت سيدة نساء اهل الارض اجمعين فهي سيدة نساء اهل الجنة اجمعين فلا تساويها في مقامها كل النساء.

---

(١)فى معاني الأخبار؛ ص: ١٠٧

(٢)كامل الزيارات؛ ص: ٣١٠

المقام الثالث: مقامها في الاخرة (انها تأمر وتنهى في يوم القيامة):

روى فرات الكوفي في تفسره باسناده عن النبي الاعظم: «يَا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ أَ مَا تُخَيَّرِينَ أَنْ تَأْمُرِينَ غَداً [بِأَمْرٍ] فَتُطَاعِينَ فِي هَذَا الْخُلْقِ عِنْدَ الْحِسَابِ... أَ مَا تَرْضَيْنَ أَنْ تَنْظُرِينَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ عَلَى أَرْجَاءِ السَّمَاءِ يَنْظُرُونَ إِلَيْكِ وَإِلَى مَا تَأْمُرِينَ بِهِ »[١]

في الرواية جمل تدل على عظيم ولايتها ، وانها تكون آمرة ناهية يوم القيامة من خلال سلطة تعطى لها من قبل الله تعالى ، وظاهر الرواية ان هذا المقام غير مقام الشفاعة وهو اعلى منه اذ ان الشفيع وسيط ، اما الآمر والناهي فهو قاضي وحاكم.

المقام الرابع: صلتها المباشرة بالسماء:

مَا رَوَاهُ الشَّيْخُ أَبُو جَعْفَرٍ الطُّوسِيُّ ﷺ عَنْ رِجَالِهِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَجْلَانَ السَّكُونِيِّ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا جَعْفَرٍ ﷺ يَقُولُ «بَيْتُ عَلِيٍّ وَفَاطِمَةَ مِنْ حُجْرَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَسَقْفُ بَيْتِهِمْ عَرْشُ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَفِي قَعْرِ بُيُوتِهِمْ فُرْجَةٌ مَكْشُوطَةٌ إِلَى الْعَرْشِ مِعْرَاجُ الْوَحْيِ وَالْمَلَائِكَةُ تَنْزِلُ عَلَيْهِمْ بِالْوَحْيِ صَبَاحاً وَمَسَاءً وَفِي كُلِّ سَاعَةٍ وَطَرْفَةِ عَيْنٍ وَالْمَلَائِكَةُ لَا يَنْقَطِعَ فَوْجُهُم فَوْجٌ يَنْزِلُ وَفَوْجٌ يَصْعَدُ وَإِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى كَشَطَ لِإِبْرَاهِيمَ ﷺ عَنْ السَّمَاوَاتِ حَتَّى أَبْصَرَ الْعَرْشَ وَزَادَ اللهُ فِي قُوَّةِ نَاظِرِهِ وَإِنَّ اللهَ زَادَ فِي قُوَّةِ نَاظِرِ مُحَمَّدٍ وَعَلِيٍّ وَفَاطِمَةَ وَالْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ ﷺ وَكَانُوا يُبْصِرُونَ الْعَرْشَ وَلَا يَجِدُونَ لِبُيُوتِهِمْ سَقْفاً غَيْرَ الْعَرْشِ فَبُيُوتُهُمْ مُسَقَّفَةٌ بِعَرْشِ الرَّحْمَنِ وَمَعَارِجُ مِعْرَاجِ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ فَوْجٌ بَعْدَ فَوْجٍ بِلَا انْقِطَاعٍ لَهُمْ وَمَا مِنْ بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ الْأَئِمَّةِ مِنَّا إِلَّا وَفِيهِ مِعْرَاجُ الْمَلَائِكَةِ لِقَوْلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ بِكُلِّ أَمْرٍ سَلَامٍ قَالَ قُلْتُ ﴿مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾ قَالَ بِكُلِّ أَمْرٍ قُلْتُ هَذَا التَّنْزِيلُ قَالَ نَعَمْ ».[٢]

---

(١) في تفسير فرات الكوفي ؛ ص١٧٢

(٢) تأويل الآيات الظاهرة في فضائل العترة الطاهرة ؛ ص٧٩٢

فهناك ارتباط روحي مباشر بين الوحي وبين هذا البيت النبوي العلوي الفاطمي ، وان هذا الارتباط بقى متواصلا بعد النبي لا من باب النبوة وانما من باب انها محدثة كما ورد في الروايات.

ففى **بصائر الدرجات** حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ وَمُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ عَنِ الْحَسَنِ بْنِ مَحْبُوبٍ عَنْ عَلِيِّ بْنِ رِئَابٍ عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ قَالَ: «سَأَلَ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام بَعْضُ أَصْحَابِنَا قَالَ لَهُ فَمُصْحَفُ فَاطِمَةَ فَسَكَتَ طَوِيلًا ثُمَّ قَالَ إِنَّكُمْ لَتَبْحَثُونَ عَمَّا تُرِيدُونَ وَعَمَّا لَا تُرِيدُونَ إِنَّ فَاطِمَةَ مَكَثَتْ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله خَمْسَةً وَسَبْعِينَ يَوْماً وَقَدْ كَانَ دَخَلَهَا حُزْنٌ شَدِيدٌ عَلَى أَبِيهَا وَكَانَ جَبْرَئِيلُ يَأْتِيهَا فَيُحْسِنُ عَزَاهَا عَلَى أَبِيهَا وَيُطَيِّبُ نَفْسَهَا وَيُخْبِرُهَا عَنْ أَبِيهَا وَمَكَانِهِ وَيُخْبِرُهَا بِمَا يَكُونُ بَعْدَهَا فِي ذُرِّيَّتِهَا وَكَانَ عَلِيٌّ يَكْتُبُ ذَلِكَ فَهَذَا مُصْحَفُ فَاطِمَةَ». (١)

المقام الخامس: مقام الكفؤية:

عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ سَمِعْتُهُ يَقُولُ «لَوْ لَا أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى خَلَقَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام لِفَاطِمَةَ مَا كَانَ لَهَا كُفْوٌ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ مِنْ آدَمَ وَمَنْ دُونَهُ». (٢)

وهذا يوكد علو مقامها على جميع الخلق الا ابيها وبعلها اذ لا مكافئ لها في الخلق من النبي ادم عليه السلام فما دون الا الامام علي ابن ابي طالب عليه السلام.

المقام السادس: مقام الغضب لغضبها والرضا لرضاها

وردت بهذا المضمون روايات مستفيضة منها ما في الإحتجاج عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ زَيْدٍ عَنْ جَعْفَرٍ الصَّادِقِ عليه السلام «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله قَالَ لِفَاطِمَةَ يَا فَاطِمَةُ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَغْضَبُ

---

(١) بصائر الدرجات في فضائل آل محمد صلى الله عليهم ؛ ج١ ؛ ص١٥٣

(٢) الكافي (ط ـ الإسلامية)؛ ج١، ص: ٤٦١

لِغَضَبِكِ وَيَرْضَى لِرِضَاكِ قَالَ فَقَالَ الْمُحَدِّثُونَ بِهَا قَالَ فَأَتَاهُ ابْنُ جَرِيحٍ فَقَالَ يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ حُدِّثْنَا الْيَوْمَ حَدِيثاً اسْتَشْهَرَهُ النَّاسُ قَالَ وَمَا هُوَ قَالَ حُدِّثْتُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ لِفَاطِمَةَ إِنَّ اللهَ لَيَغْضَبُ لِغَضَبِكِ وَيَرْضَى لِرِضَاكِ قَالَ فَقَالَ عليه السلام نَعَمْ إِنَّ اللهَ لَيَغْضَبُ فِيمَا تَرَوْنَ لِعَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ وَيَرْضَى لِرِضَاهُ فَقَالَ نَعَمْ فَقَالَ عليه السلام فَمَا تُنْكِرُونَ أَنْ تَكُونَ ابْنَةُ رَسُولِ اللهِ ﷺ مُؤْمِنَةً يَرْضَى اللهُ لِرِضَاهَا وَيَغْضَبُ لِغَضَبِهَا قَالَ صَدَقْتَ ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾».[1]

وغيرها من المقامات العظيمة التي اختصت بها كما اشارت كتب الحديث والعقائد [2]

شواهد وادلة الحضور:

الشاهد الاول:

ما روي في **كامل الزيارات** باسناده عن دَاوُدَ بْنِ كَثِيرٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ قَالَ «**إِنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ ﷺ تَحْضُرُ لِزُوَّارِ قَبْرِ ابْنِهَا الْحُسَيْنِ عليه السلام فَتَسْتَغْفِرُ لَهُمْ ذُنُوبَهُمْ**».[3]

تقريب الاستدلال: فهذه الرواية وان كانت ضعيفة السند الا متلقاة بالقبول والاخذ كما انها موافقة لقواعد واصول المذهب ، وقد رواها المحدث الكبير ابن قولويه في كتابة الجليل كامل الزيارات الذي هو محل قبول من الاصحاب كاستاذ الفقهاء السيد الخوئي قدس سره ، ويمكن الاعتماد عليها ممن يقول بمبنى الوثوق بالصدور.

وهى دالة على حضورها عند زوار قبر ولدها الحسين عليه السلام بالرغم من كثرة عدد الزائرين والزائرات واختلاف أماكنهم وان زاروا في وقت واحد كما هو الحال في الزيارات العامة

---

(١) بحار الأنوار (ط - بيروت) ؛ ج٤٣ ؛ ص٢٠

(٢) يراجع فيها على سبيل المثال كتاب استاذنا السند دامت افاداته مقامات الزهراء عليها السلام

(٣) ص ١١٨.

وأوضح في الزيارات المخصوصة كزيارة الأربعين وزيارة الخامس عشر من شعبان وزيارة يوم عاشوراء.

والحضور في اللغة هو التواجد اعم من التواجد المادي والمعنوي كما في حضور البدن او حضور النفس او الروح وهي مستعملة في القران الكريم كثيرا [١].

فهي سلام الله عليها تحضر شعيرة الزيارة الحسينية وتستغفر لزوار ولدها الشهيد المظلوم ، فما المانع من انها تحضر شعيرة أخرى من الشعائر الحسينية لا تقل أهمية من شعيرة الزيارة الا وهي حضور مجالس العزاء الحسيني التي فيها ذكر لمصيبة الحسين وما جرى عليه وعلى اله واصحابه .

فبوحدة المناط وهو الحضور عند ذكر الحسين عليه السلام وما جرى عليه من مظلومية تحضر في الزيارة والمجالس على حد سواء ولا خصوصية لحضورها في الزيارة فقط .

الشاهد الثاني:

ما رواه البحار بإسناده عَنْ زُرَارَةَ عَنْ أَحَدِهِمَا عليهما السلام أَنَّهُ قَالَ: «يَا زُرَارَةُ مَا فِي الْأَرْضِ مُؤْمِنَةٌ إِلَّا وَقَدْ وَجَبَ عَلَيْهَا أَنْ تُسْعِدَ فَاطِمَةَ عليها السلام فِي زِيَارَةِ الْحُسَيْنِ» [٢].

تقريب ذلك: ان الاسعاد للسيدة الزهراء عليها السلام يتم من خلال توجه المؤمنات الصالحات الى زيارة ابي الاحرار عليه السلام ضمن الضوابط الشرعية التي طرحتها في بحث سابق (مشي النساء).

فان هذا العمل يدخل السعادة والسرور على السيدة الزهراء عليها السلام ، وعادة الاسعاد والسرور ان يكون ملازما للمشاهدة والحضور منها عليها السلام لزائرات ابنها.

---

(١) مفردات الفاظ القران ص ٢٤١ حضر

(٢)بحار الأنوار؛ ج٩٨، ص: ٧٥.

ولا خصوصية للإسعاد الحال لها من شعيرة زيارة الامام الحسين عليه السلام بل يعم لكل شعائر الحسين عليه السلام مع انطباق عنوان الشعيرية كما في المجالس الحسينية فانها من مظاهر اسعادها وفرحها وحضورها واشرافها بروحها.

الشاهد الثالث:

ما روي في كامل الزيارات ايضا وهي معتبرة الْحَرْثِ بْنِ الْمُغِيرَةِ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ «إِنَّ للهَ مَلَائِكَةً مُوَكَّلِينَ بِقَبْرِ الْحُسَيْنِ عليه السلام فَإِذَا هَمَّ بِزِيَارَتِهِ الرَّجُلُ أَعْطَاهُمُ اللهُ ذُنُوبَهُ فَإِذَا خَطَا مَحَوْهَا ثُمَّ إِذَا خَطَا ضَاعَفُوا لَهُ حَسَنَاتِهِ فَمَا تَزَالُ حَسَنَاتُهُ تَضَاعَفُ حَتَّى تُوجِبَ لَهُ الْجَنَّةَ ثُمَّ اكْتَنَفُوهُ وَقَدَّسُوهُ وَيُنَادُونَ مَلَائِكَةَ السَّمَاءِ أَنْ قَدِّسُوا زُوَّارَ حَبِيبِ اللهَ فَإِذَا اغْتَسَلُوا نَادَاهُمْ مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وآله يَا وَفْدَ اللهَ أَبْشِرُوا بِمُرَافَقَتِي فِي الْجَنَّةِ ثُمَّ نَادَاهُمْ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام أَنَا ضَامِنٌ لِقَضَاءِ حَوَائِجِكُمْ وَدَفْعِ الْبَلَاءِ عَنْكُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ثُمَّ الْتَقَاهُمْ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله عَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ حَتَّى يَنْصَرِفُوا إِلَى أَهَالِيهِمْ». (١)

تقريب الاستدلال: فالنداء من النبي الاكرم لهم مشعر بانه حاضر بين الزائرين حضورا فعليا ومبشرا لهم بانهم رفقائه في الجنة، وكذلك نداء امير المؤمنين عليه السلام لهم وضمانه لقضاء حوائجهم في الدارين، وبعد هذا النداء يكتنفهم النبي ويلتقي بهم عن يمينهم وشمالهم وهذا اشعار بل ظهور بانه حاضر معهم في ميدان الزيارة حتى ينصرفوا الى أهلهم غاية الامر انه حضور روحاني او اشرافي لا مادي.

ورواها ايضا العلامة المجلسي في **بحار الأنوار**. (٢)

فهذا اللقاء من النبي والأمير ـ صلوات الله ليهما ـ بالزوار لزف البشارة لهم يثبت امكان

---

(١) ص ١٣٢

(٢) ج٩٨، ص: ٦٤.

الحضور هكذا اماكن مقدسة من قبل هكذا ذوات مقدسة ،فبعد سلب خصوصية الحضور عن النبي والأمير عليهما السلام وسلب الخصوصية عن أماكن الزيارة ، فنوسع المناط الى السيدة الزهراء لأنها تحضر معهم كما دلت الأدلة في مواطن عديده ـ يأتي بعضها ـ وللمجالس الحسينية لما مر في الشاهد الاول.

الشاهد الرابع:

ما رواه المحدث العاملي في **وسائل الشيعة**؛ وهي مصححة عَبْدِ الْعَظِيمِ الْحَسَنِيِّ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ الثَّانِي عليه السلام فِي حَدِيثٍ قَالَ: «**مَنْ زَارَ الْحُسَيْنَ عليه السلام لَيْلَةَ ثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ ـ وَهِيَ اللَّيْلَةُ الَّتِي يُرْجَى أَنْ تَكُونَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ ـ وَفِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ـ صَافَحَهُ أَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ أَلْفَ مَلَكٍ وَنَبِيٍّ ـ كُلُّهُمْ يَسْتَأْذِنُ اللهَ فِي زِيَارَةِ الْحُسَيْنِ عليه السلام فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ**».[1]

تقريب الاستدلال: فهذه الرواية تثبت خصوصية عظيمة لزوار الحسين عليه السلام في وقت مخصوص وهو ليلة الثالث والعشرين من شهر رمضان المبارك التي تشير الروايات انها ليلة القدر على اقرب الاحتمالات وهو مصافحة أربعة وعشرين الف ملك ونبي من الأنبياء عليهم السلام ، وهذه المصافحة سواء كانت معنوية ام غير ذلك فهي تدل على حصولها لكل الزائرين مع كل هذا العدد من الأنبياء والملائكة واحدا واحدا ، ومع الاعداد الهائلة من الزوار فالمصافحة حاصلة لهم.

وهذا المضمون من المصافحة مستفيض في الروايات ولا يسع احد انكاره ، فاذا صح لهم هذا الامر يصح للزهراء عليها السلام وهو حضورها الى زوار الحسين وبوحدة المناط نوسع المقام لحضور الزهراء لمجالس النساء مع تعدد المجالس.

---

(١) ج١٤، ص: ٤٧٤.

الشاهد الخامس:

ما رواه ابن قولوية في كامل الزيارات وهو موثق أَبِي بَصِيرٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام وَالْحَسَنِ بْنِ مَحْبُوبٍ عَنْ أَبِي حَمْزَةَ عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ عليه السلام قَالا «**مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُصَافِحَهُ مِائَةُ أَلْفِ نَبِيٍّ وَأَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ أَلْفَ نَبِيٍّ فَلْيَزُرْ قَبْرَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ عليهما السلام فِي النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ فَإِنَّ أَرْوَاحَ النَّبِيِّنَ عليهم السلام يَسْتَأْذِنُونَ اللَّهَ فِي زِيَارَتِهِ فَيُؤْذَنُ لَهُمْ مِنْهُمْ خَمْسَةٌ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ قُلْنَا مَنْ هُمْ قَالَ نُوحٌ وَإِبْرَاهِيمُ وَمُوسَى وَعِيسَى وَمُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ قُلْنَا لَهُ مَا مَعْنَى أُولِي الْعَزْمِ قَالَ بُعِثُوا إِلَى شَرْقِ الْأَرْضِ وَغَرْبِهَا جِنِّهَا وَإِنْسِهَا**».[1]

تقريب الاستدلال: مر تقريب الاستدلال في الشاهد السابق على هذه الرواية ، غاية الامر ان هذه الخصوصية بالمصافحة تثبت لمن زار الامام الحسين عليه السلام في النصف من شعبان يوم مولد الاخذ بالثأر الذي من يملا الأرض قسطا وعدلا.

كما تبين الرواية ان أرواح الأنبياء تحضر هناك وهذا الحضور هو حضور روحاني لهم ومصافحة روحانية منهم مع الزائرين.

فكذلك حضور الزهراء عليها السلام يكون حضورا روحانيا على اقل التقادير لعظيم مقامها كما مر بيانه في المقدمة.

الشاهد السادس:

ما رواه الحر العاملي في **وسائل الشيعة**؛ عن الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ الطُّوسِيُّ فِي أَمَالِيهِ عَنْ أَبِيهِ عَنِ الْمُفِيدِ (بسند معتبر) مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ جَعْفَرَ بْنَ مُحَمَّدٍ عليهما السلام يَقُولُ «**إِنَّ الْحُسَيْنَ بْنَ عَلِيٍّ عليه السلام عِنْدَ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ - يَنْظُرُ إِلَى مَوْضِعِ مُعَسْكَرِهِ وَمَنْ حَلَّهُ مِنَ الشُّهَدَاءِ مَعَهُ - وَيَنْظُرُ إِلَى زُوَّارِهِ وَهُوَ أَعْرَفُ بِهِمْ وَبِأَسْمَائِهِمْ - وَأَسْمَاءِ آبَائِهِمْ وَدَرَجَاتِهِمْ -**

---

(١)؛ ص: ١٧٩

وَمَنْزِلَتِهِمْ عِنْدَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ أَحَدِكُمْ بِوَلَدِهِ وَإِنَّهُ لَيَرَى مَنْ سَكَنَهُ فَيَسْتَغْفِرُ لَهُ ـ وَيَسْأَلُ آبَاءَهُ عليهم السلام أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لَهُ ـ وَيَقُولُ لَوْ يَعْلَمُ زَائِرِي مَا أَعَدَّ اللهُ لَهُ ـ لَكَانَ فَرَحُهُ أَكْثَرَ مِنْ غَمِّهِ ـ وَإِنَّ زَائِرَهُ لَيَنْقَلِبُ وَمَا عَلَيْهِ مِنْ ذَنْبٍ». [1]

وقريب من هذه الرواية رواية مدينة المعاجز [2] عن كامل الزيارات بسناده عن عبد الله بن بكير عن الصادق عليه السلام: قَالَ حَجَجْتُ مَعَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام فِي حَدِيثٍ طَوِيلٍ فَقُلْتُ يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ لَوْ نُبِشَ قَبْرُ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ عليه السلام هَلْ كَانَ يُصَابُ فِي قَبْرِهِ شَيْءٌ فَقَالَ «يَا ابْنَ بُكَيْرٍ مَا أَعْظَمَ مَسَائِلَكَ إِنَّ الْحُسَيْنَ عليه السلام مَعَ أَبِيهِ وَأُمِّهِ وَأَخِيهِ فِي مَنْزِلِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وَمَعَهُ يُرْزَقُونَ وَيُخْبَرُونَ وَإِنَّهُ لَعَنْ يَمِينِ الْعَرْشِ مُتَعَلِّقٌ بِهِ يَقُولُ ـ يَا رَبِّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي وَإِنَّهُ لَيَنْظُرُ إِلَى زُوَّارِهِ وَإِنَّهُ أَعْرَفُ بِهِمْ وَبِأَسْمَائِهِمْ وَأَسْمَاءِ آبَائِهِمْ وَمَا فِي رِحَالِهِمْ مِنْ أَحَدِهِمْ بِوُلْدِهِ وَإِنَّهُ لَيَنْظُرُ إِلَى مَنْ يَبْكِيهِ فَيَسْتَغْفِرُ لَهُ وَيَسْأَلُ أَبَاهُ الِاسْتِغْفَارَ لَهُ وَيَقُولُ أَيُّهَا الْبَاكِي لَوْ عَلِمْتَ مَا أَعَدَّ اللهُ لَكَ لَفَرِحْتَ أَكْثَرَ مِمَّا حَزِنْتَ وَإِنَّهُ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ وَخَطِيئَةٍ»

تقريب الاستدلال: فان الامام الحسين عليه السلام ـ مع سعة أعداد الزائرين ـ يشرف عليهم وينظر لهم وهو اعرف بصفاتهم واسمائهم ودرجاتهم ومنازلهم ومن يحضر عنده ، ولا خصوصية للحسين عليه السلام بهذا الحضور والمعرفة فهذا ثابت للزهراء عليها السلام لما مر بيانه في تقريبات ماضية ولعظيم مقامها على مقامه.

الشاهد السابع:

الآيات والروايات الدالة على ان ال البيت عليهم السلام يطلعون ويرون سائر اعمال العباد في اليوم والليلة ، فان العديد من الروايات المستفيضة قد دلت على ان النبي والائمة صلوات الله

(١) ج١٤، ص: ٤٢٢

(٢) ج٤ ص ٢١٧

عليهم ومن ضمنهم الزهراء عليها السلام يطلعون على اعمال الناس خيرها وشرها كما اشارت الروايات في تفسير الاية الشريفة: ﴿وَ قُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ..﴾[1].

تقريب الاستدلال: فالنبي والائمة عليهم السلام يطلعون على كل هذا الكم الهائل مع كثرته وهذا يشعر بسعة ارواح الائمة الوجودية التي تمكنهم من الاطلاع على ذلك الكم في كل يوم ، فلا يبعد حضورهم عند الزوار او المجالس الحسينية حتى مع سعتها وكمية حاضريها والاطلاع على اعمالهم.

ومن هذه الروايات:

١ ـ موثقة أَبِي بَصِيرٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: «**تُعْرَضُ الْأَعْمَالُ عَلَى رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله أَعْمَالُ الْعِبَادِ كُلَّ صَبَاحٍ أَبْرَارُهَا وَفُجَّارُهَا فَاحْذَرُوهَا وَهُوَ قَوْلُ اللهِ تَعَالَى ـ ﴿اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ﴾ وَسَكَتَ**».[2]

٢ ـ معتبرة يَعْقُوبَ بْنِ شُعَيْبٍ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ﴿**اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ**» قَالَ «**هُمُ الْأَئِمَّةُ**».[3]

٣ ـ معتبرة مُعَلَّى بْنِ خُنَيْسٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام «فِي قَوْلِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ﴿**اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ**﴾ قَالَ هُوَ رَسُولُ اللَّهِ ' وَالْأَئِمَّةُ تُعْرَضُ عَلَيْهِمْ أَعْمَالُ الْعِبَادِ كُلَّ خَمِيسٍ».[4]

---

(١) التوبة ١٠٥

(٢)الكافي (ط ـ الإسلامية)؛ ج١، ص: ٢١٩

(٣)الكافي (ط ـ الإسلامية)؛ ج١، ص: ٢١٩

(٤)بصائر الدرجات في فضائل آل محمد صلى الله عليهم ؛ ج١ ؛ ص٤٢٧

وغيرها من الروايات المستفيضة مضمونا.

قال المولى المازندراني في شرحه الكافي: (ظاهر أحاديث هذا الباب أنّ أعمال كلّ أحد تعرض على رسول اللّه ' مفصّله في كلّ يوم وهذا يحتمل وجهين أحدهما أن تعرض عليه أعمال اليوم واللّيلة معا وقت الصبح ويشعر به هذا الخبر، وثانيهما أن تعرض أعمال اللّيل في الصباح وأعمال النهار في المساء لأنّهما وقتان لرفع الأعمال). (١)

الشاهد الثامن:

الروايات المستفيضة الدالة على حضور النبي والائمة عليهم السلام الى المؤمن قبيل موته وساعة احتضاره وعند النزع.

تقريب الاستدلال: ومع كثرة موتى المؤمنين في نفس الان ولعل هناك مئات يموتون في ان واحد وبالرغم من ذلك يحضر النبي واله عندهم وهذا امر متسالم عليه ، فلماذا نستغرب من حضور الزهراء لمجالس العزاء في أماكن متعددة في ان واحد.

فهذه الروايات دلالتها واضحة على امكان حضور النبي واله في أماكن متعددة في ان واحد فلا فرق بين المشهدين من حيث الإمكان.

قال العلامة المجلسي: (باب ٧ ما يعاين المؤمن والكافر عند الموت وحضور الأئمة عليهم السلام عند ذلك وعند الدفن وعرض الأعمال عليهم صلوات الله عليهم). (٢)

ثم روى مجموعة من الروايات في ذلك منها:

الرواية الأولى:

ما فى تفسير الإمام عليه السلام: «**إِنَّ الْمُؤْمِنَ الْمُوَالِيَ لِمُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّيِّبِينَ الْمُتَّخِذَ لِعَلِيٍّ بَعْدَ مُحَمَّدٍ**

(١)شرح الكافي ـ الأصول و الروضة ج٥ ؛ ص٣٣٩

(٢)بحار الأنوار (ط ـ بيروت) ؛ ج٦ ؛ ص١٧٣ وما بعدها.

إِمَامَهُ الَّذِي يَحْتَذِي مِثَالَهُ وَسَيِّدَهُ الَّذِي يُصَدِّقُ أَقْوَالَهُ وَيُصَوِّبُ أَفْعَالَهُ وَيُطِيعُهُ بِطَاعَةِ مَنْ يَنْدُبُهُ مِنْ أَطَايِبِ ذُرِّيَّتِهِ لِأُمُورِ الدِّينِ وَسِيَاسَتِهِ إِذَا حَضَرَهُ مِنْ أَمْرِ اللهِ تَعَالَى مَا لَا يُرَدُّ وَنَزَلَ بِهِ مِنْ قَضَائِهِ مَا لَا يُصَدُّ وَحَضَرَهُ مَلَكُ الْمَوْتِ وَأَعْوَانُهُ وَجَدَ عِنْدَ رَأْسِهِ مُحَمَّداً رَسُولَ اللهِ وَمِنْ جَانِبٍ آخَرَ عَلِيّاً سَيِّدَ الْوَصِيِّينَ وَعِنْدَ رِجْلَيْهِ مِنْ جَانِبِ الْحَسَنَ سِبْطَ سَيِّدِ النَّبِيِّينَ وَمِنْ جَانِبٍ آخَرَ الْحُسَيْنَ سَيِّدَ الشُّهَدَاءِ أَجْمَعِينَ وَحَوَالَيْهِ بَعْدَهُمْ خِيَارَ خَوَاصِّهِمْ وَمُحِبِّيهِمْ الَّذِينَ هُمْ سَادَةُ هَذِهِ الْأُمَّةِ بَعْدَ سَادَاتِهِمْ مِنْ آلِ مُحَمَّدٍ يَنْظُرُ الْعَلِيلُ الْمُؤْمِنُ إِلَيْهِمْ فَيُخَاطِبُهُمْ بِحَيْثُ يَحْجُبُ اللهُ صَوْتَهُ عَنْ آذَانِ حَاضِرِيهِ كَمَا يَحْجُبُ رُؤْيَتَنَا أَهْلَ الْبَيْتِ وَرُؤْيَةَ خَوَاصِّنَا عَنْ أَعْيُنِهِمْ لِيَكُونَ إِيمَانُهُمْ بِذَلِكَ أَعْظَمَ ثَوَاباً لِشِدَّةِ الْمِحْنَةِ عَلَيْهِمْ فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ رَبِّ الْعِزَّةِ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا وَصِيَّ رَسُولِ رَبِّ الرَّحْمَةِ بِأَبِي أَنْتُمَا وَأُمِّي يَا شِبْلَيْ مُحَمَّدٍ وَضِرْغَامَيْهِ يَا وَلَدَيْهِ وَسِبْطَيْهِ يَا سَيِّدَيْ شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ الْمُقَرَّبِينَ مِنَ الرَّحْمَةِ وَالرِّضْوَانِ مَرْحَباً بِكُمْ مَعَاشِرَ خِيَارِ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ وَعَلِيٍّ وَوَلَدَيْهِمَا مَا كَانَ أَعْظَمَ شَوْقِي إِلَيْكُمْ وَمَا أَشَدَّ سُرُورِي».

الرواية الثانية:

ما فى كِتَابُ حُسَيْنِ بْنِ سَعِيدٍ وَالنَّوَادِرُ الْقَاسِمُ عَنْ كُلَيْبٍ الْأَسَدِيِ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام جَعَلَنِيَ اللَّهُ فِدَاكَ بَلَغَنَا عَنْكَ حَدِيثٌ قَالَ «وَ مَا هُوَ» قُلْتُ قَوْلُكَ إِنَّمَا يَغْتَبِطُ صَاحِبُ هَذَا الْأَمْرِ إِذَا كَانَ فِي هَذِهِ وَأَوْمَأْتَ بِيَدِكَ إِلَى حَلْقِكَ فَقَالَ «نَعَمْ إِنَّمَا يَغْتَبِطُ أَهْلُ هَذَا الْأَمْرِ إِذَا بَلَغَتْ هَذِهِ وَأَوْمَأَ بِيَدِهِ إِلَى حَلْقِهِ أَمَّا مَا كَانَ يَتَخَوَّفُ مِنَ الدُّنْيَا فَقَدْ وَلَّى عَنْهُ وَأَمَامَهُ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وَعَلِيٌّ وَالْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِمْ».

الرواية الثالثة:

ما فى تفسير القمي أَبِي عَنِ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ عَنِ ابْنِ سِنَانٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ:

«مَا يَمُوتُ مُوَالٍ لَنَا مُبْغِضٌ لِأَعْدَائِنَا إِلَّا وَيَحْضُرُهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ فَيَرَوْنَهُ وَيُبَشِّرُونَهُ وَإِنْ كَانَ غَيْرَ مُوَالٍ لَنَا يَرَاهُمْ بِحَيْثُ يَسُوؤُهُ وَالدَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام لِحَارِثٍ الْهَمْدَانِي

يَا حَارِ هَمْدَانَ مَنْ يَمُتْ يَرَنِي ... مِنْ مُؤْمِنٍ أَوْ مُنَافِقٍ قُبُلَا

الرواية الرابعة:

ما فى المحاسن ابْنُ فَضَّالٍ عَنْ حَمَّادِ بْنِ عُثْمَانَ عَنْ عَبْدِ الْحَمِيدِ بْنِ عَوَّاضٍ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام يَقُولُ «إِذَا بَلَغَتْ نَفْسُ أَحَدِكُمْ هَذِهِ قِيلَ لَهُ أَمَّا مَا كُنْتَ تَحْزَنُ مِنْ هَمِّ الدُّنْيَا وَحُزْنِهَا فَقَدْ أَمِنْتَ مِنْهُ وَيُقَالُ لَهُ أَمَامَكَ رَسُولُ اللَّهِ وَعَلِيٌّ وَفَاطِمَةُ عليهم السلام».

الرواية الخامسة:

ما فى كتاب حسين بن سعيد والنوادر حَمَّادُ بْنُ عِيسَى عَنْ حُسَيْنِ بْنِ الْمُخْتَارِ عَنْ أَبِي بَصِيرٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا مَاتَ رَأَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَعَلِيّاً بِحَضْرَتِهِ».

ثم قال: أقول قد مر كثير من أخبار هذا الباب في الأبواب السابقة وسيأتي كثير منها في باب البرزخ وغيرها [١].

الرواية السادسة:

قَالَ الْبُرْسِيُّ فِي مَشَارِقِ الْأَنْوَارِ، رَوَى الْمُفِيدُ بِإِسْنَادِهِ عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ' لِعَلِيٍّ عليه السلام «يَا عَلِيُّ إِنَّ مُحِبِّيكَ يَفْرَحُونَ فِي ثَلَاثَةِ مَوَاطِنَ عِنْدَ خُرُوجِ

(١) بحار الانوار ج٦ ص ٢٠٠

أَنفُسِهِمْ وَأَنْتَ هُنَاكَ تَشْهَدُهُمْ وَعِنْدَ الْمُسَاءَلَةِ فِي الْقُبُورِ وَأَنْتَ هُنَاكَ تُلَقِّنُهُمْ وَعِنْدَ الْعَرْضِ عَلَى اللهِ وَأَنْتَ هُنَاكَ تَعْرِفُهُمْ». [١]

فهذه الروايات تدل على حضورهم وحضور الزهراء عند المؤمنين فى ساعة الاحتضار مع كثرتهم ، فلماذا نشكك بإمكان حضور المجالس مع كثرتها.

الشاهد التاسع :

وهذا اقرب للدليل منه الى الشاهد فيما اذا تمت الرواية سندا ، ولكننا عبرنا عنها شاهدا لصعوبة اعتبار سندها وان تمت دلالتها بنحو المطابقة على حضور الزهراء عليها السلام لمجالس العزاء بشهادة الامام الصادق عليه السلام.

وقد روى هذه الرواية السيد علي الهاشمي في كتابه ثمرات الاعواد : (ان فضيل صنع مأتما للحسين عليه السلام ولم يخبر به امامنا الصادق عليه السلام فلما كان اليوم الثاني اقبل الى الامام فقال له يا فضيل اين كنت البارحة ؟ فقال سيدي شغل عاقني فقال «**يا فضيل لا تخفي عليه، اما صنعت مأتما واقمت بدارك عزاء في مصاب جدي الحسين عليه السلام**» فقال بلى سيدي ، فقال عليه السلام «**وانا كنت حاضرا**» ، قال سيدي اذن ما رايتك ؟ اين كنت جالسا ؟ فقال عليه السلام «**لما اردت الخروج من البيت اما عثرت بثوب ابيض**». فقال بلى سيدي ، فقال عليه السلام «**انا كنت جالسا هناك**» ، فقال له سيدي لم جلست بباب البيت ولم تصدرت بالمجلس ؟ فقال الصادق عليه السلام «**كانت جدتي فاطمة بصدر المجلس جالسة لذا ما تصدرت اجلالا لها**» [٢].

ودلالتها واضحة في المراد المطابقي للبحث وهو حضور السيدة الزهراء عليها الا ان سندها مشكل الا ان يقبل متنها لموافقته لما مر من شواهد ، والله العالم.

---

(١) المصدر والصفحة.

(٢) ثمرات الاعواد ج١ ص ٣١

تتمتان:

لإكمال الفائدة في البحث نتممه بتتمتين:

الأولى: تحقيق ذكره العلامة الكبير المجلسي في بحار الانوار ، صور فيه حضور النبي والائمة عند المؤمنين حال الوفاة ، وقدم مجموعة أجوبة في ماهية الحضور المقدس لهذه الذوات ، وهذه الأجوبة التي اعتمدها يمكن ان تجري في مسالتنا وهي حضور الزهراء للمجالس وان كانت المجالس كثيرة كما هو حالها.

الثانية: بيان فتاوى جمع من المراجع المعاصرين ، كمؤيد لفهم الروايات وما نبني عليه من حضورها في المجالس حضورا فعليا وان كان الخلاف في حضورها كنور او روح او اشراف ، وان كان الاصح ان لها جسما مثاليا او روحا هي التي تحضر وليس حضورا اشرافا فقط كما هو ظاهر الروايات ووفاقا لكلام بعض الاعلام.

التتمة الأولى:

تحقيق ذكره العلامة المجلسي مفيد في المقام:

قال المجلسي قدس سره: (تذييل: اعلم أن حضور النبي ' والأئمة صلوات الله عليهم عند الموت مما قد ورد به الأخبار المستفيضة وقد اشتهر بين الشيعة غاية الاشتهار وإنكار مثل ذلك لمحض استبعاد الأوهام ليس من طريقة الأخيار وأما نحو حضورهم وكيفيته فلا يلزم الفحص عنه بل يكفي فيه وفي أمثاله الإيمان به مجملا على ما صدر عنهم عليهم السلام وما يقال من أن هذا خلاف الحس والعقل أما الأول فلأنا نحضر الموتى إلى قبض روحهم ولا نرى عندهم أحدا وأما الثاني فلأنه يمكن أن يتفق في آن واحد قبض أرواح آلاف من الناس في مشارق الأرض ومغاربها ولا يمكن حضور الجسم في زمان واحد في أمكنة متعددة فيمكن الجواب عن الأول بوجوه.

الأول: أن الله تعالى قادر على أن يحجبهم عن أبصارنا لضرب من المصلحة كما ورد في أخبار الخاصة والعامة في تفسير قوله تعالى ﴿جَعَلْنا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجاباً مَسْتُوراً﴾ إن الله تعالى أخفى شخص النبي ' عن أعدائه مع أن أولياءه كانوا يرونه وإنكار أمثال ذلك يفضي إلى إنكار أكثر معجزات الأنبياء والأوصياء عليهم السلام وقد مر فيما نقلنا من تفسير العسكري عليه السلام التصريح بهذا الوجه.

الثاني: أنه يمكن أن يكون حضورهم بجسد مثالي لطيف لا يراه غير المحتضر كحضور ملك الموت وأعوانه وسيأتي الأخبار في سائر الموتى أن أرواحهم في البرزخ تتعلق بأجساد مثالية وأما الحيّ من الأئمة عليهم السلام فلا يبعد تصرف روحه لقوّته في جسد مثالي أيضا.

الثالث: أنه يمكن أن يخلق الله تعالى لكل منهم مثالا بصورته وهذه الأمثلة يكلمون الموتى ويبشرونهم من قبلهم عليهم السلام كما ورد في بعض الأخبار بلفظ التمثيل.

الرابع: أنه يمكن أن يرتسم صورهم في الحس المشترك بحيث يشاهدهم المحتضر ويتكلم معهم كما في المبرسم.

الخامس: ما ذكره السيد المرتضى رضي الله عنه وهو أن المعنى أنه يعلم في تلك الحال ثمرة ولايتهم وانحرافه عنهم لأن المحبّ لهم يرى في تلك الحال ما يدله على أنه من أهل الجنة وكذا المبغض لهم يرى ما يدله على أنه من أهل النار فيكون حضورهم وتكلمهم استعارة تمثيلية.

و لا يخفى أن الوجهين الأخيرين بعيدان عن سياق الأخبار بل مثل هذه التأويلات ردّ للأخبار وطعن في الآثار وأما الجواب عن الوجه الثاني فبأنه إنما يتمّ الشبهة إذا ثبت وقوع هذا الاتفاق ومحض الإمكان لا يكفي في ذلك مع أنه إذا قلنا بأن حضورهم في الأجساد المثالية يمكن أن يكون لهم أجساد مثالية كثيرة لما جعل الله لهم من القدرة الكاملة التي بها

امتازوا عن سائر البشر وفي الوجوه الثلاثة الأخيرة على تقدير صحتها اندفاع هذا الإيراد ظاهر والأحوط والأولى في أمثال تلك المتشابهات الإيمان بها وعدم التعرض لخصوصياتها وتفاصيلها وإحالة علمها إلى العالم كما مر في الأخبار التي أوردناها في باب التسليم ﴿وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشاءُ إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾.

انتهى كلامه ﷺ.

وسياتي بيان المختار في كيفية الحضور بعد الايمان باصل ثبوته.

التتمة الثانية:

مجموعة من كلمات الاعلام المعاصرين حول حضور الزهراء للمجالس الحسينية:

الكلمة الأولى: راي السيد الخوئي.

ما قاله أستاذ اساتذتنا المحقق السيد الخوئي في جواب على استفتاء موجه له [١]: في صراط النجاة: (ترشد بعض الروايات الى أن رسول الله ' والزهراء عليها السلام يحضرون مآتم عزاء الامام الحسين عليه السلام فما رأي مولانا الكريم، وعلى فرض الورود فهل يشمل حضور بقيّة الأئمة عليهم السلام؟

الخوئي: (هذا أمر ممكن، وبعض الروايات دلّت عليه، والله العالم).

الكلمة الثانية: راي الميرزا التبريزي:

ما افتى به الفقيه الكبير الشيخ جواد التبريزي في كتابه صراط النجاة [٢] ؛ ج٣، ص: ٤٣٩ س ١٢٦٣: (هل يجوز الاعتقاد بأن الصدّيقة الطاهرة السيّدة الزهراء عليها السلام تحضر

---

(١) صراط النجاة (المحشى للخوئي)؛ ج٣، ص: ٣١٩س ١٠٠٠.

(٢) صراط النجاة ؛ ج٣، ص: ٤٣٩س ١٢٦٣

بنفسها في مجالس النساء في آن واحد، في مجالس متعدّدة بنفسها ودمها ولحمها؟

الجواب: الحضور بصورتها النوريّة في أمكنة متعدّدة في زمان واحد، لا مانع منه، فان صورتها النوريّة خارجة عن الزمان والمكان، وليست جسما عنصريا ليحتاج الى الزمان والمكان، و الله العالم.

الفتوى الثالثة: السيد السيستاني (دام ظله)

نقلت بعض المواقع الالكترونية وكتاب الاستفتاءات ، من جواب السيد السيستاني على سؤال وجه له: (ترشد بعض الروايات الى أن رسول الله ' والزهراء عليها السلام يحضرون مآتم عزاء الامام الحسين عليه السلام فما رأي مولانا الكريم، و على فرض الورود فهل يشمل حضور بقيّة الأئمة عليهم السلام؟

الجواب: الحضور بمعنى الاشراف والعناية الخاصة وهذا شامل للائمة عليهم السلام.[1]

النتيجة:

قد تبين مما مر انه لا اشكال في حضور السيدة الزهراء لمجالس العزاء الحسيني من حيث الأصل وان تكثرت تلك المجالس وانتشرت في بقاع المعمورة ، اما ماهية الحضور وانه بجسد مثالي او بحضور معنوي روحي او اشرافي فهو موطن خلاف ، والاصح انه حضور فعلي حقيقي لا تخيلي اما بنحو جسدي مثالي لا يرى من الحاضرين او بنحو روحي معنوي نوري من خلال صور متعددة لها او قد يكون الحضور يختلف من مقام الى اخر بحسب ايمان المحضور عندهم اما الحضور الاشرافي او الحضور بالاحتمال الثالث والرابع والخامس الذي نقله العلامة المجلسي فهو بعيد عن ظاهر الروايات والله العالم.

---

(١) الاستفتاءات ج ١ ص ٣٩٤ سؤال ١٥٥١

خاتمة الكتاب:

ان هذه البحوث قد كتبتها كباكورة في (فقه الشعائر المعاصرة) وهي ردود سريعة على بعض الشبهات والانتقادات والاستفهامات التي تصدر من داخل الوسط الشيعي وخارجه، وايمانا مني بضرورة عرض الراي والراي الاخر وصولا للحقيقة التي ينشدها الجميع بدأت بنشرها.

ولا تمثل تلك البحوث كما وكيفا الا قطرة من بحر متلاطم من بحوث يتحتم كتابتها في هذا المجال الواسع وهي بحوث معاصرة في الشعائر على مستوى الفقه والعقيدة والتاريخ والفكر وغيرها من المجالات.

وهذا يتحمله اهل العلم والفكر والبحث لإثراء المكتبة الاسلامية بل والعالمية بأفكار النهضة الحسينية وتأثيرها على الماضي والحاضر والمستقبل.

واملي بالله كبير ان اكمل بعض ما يسد هذه المسيرة الحافلة خدمة للدين الحنيف وولاء وحبا بالحسين وثورته التي عشنا ونعيش ببركاتها.

والحمد لله رب العالمين.

محمد رضا الساعدي / النجف الاشرف

نهاية محرم الحرام ١٤٣٩

فهرس المحتويات

المقدمة ٥

البحث الأول: موازين التعامل مع روايات الشعائر الحسينية ٩

موازين التعامل مع روايات الشعائر الحسينية ١١

مدخل ١١

موازين ومناهج القبول والردّ في العلوم ١٣

الخلط بين المناهج في التعامل مع أحداث عاشوراء ١٣

الأول: المنهج المتشدِّد ١٤

الثاني: المنهج المتساهل ١٤

موازين العلوم والرواية العاشورائية ١٤

أولاً: المنهج أو الميزان في البحث العقدي (الكلامي) ١٤

ثانياً: المنهج أو الميزان في البحث الفقهي ١٩

الأول: مبنى الوثاقة ٢١

الثاني: مبنى الوثوق بالصدور ٢١

ثالثاً: المنهج أو الميزان في البحث التاريخي..... ٢٦
النتيجة ٢٧
النقل التاريخي بأُسلوب أدبي..... ٢٧
البحث الثاني: مشروعية التعبير بلسان الحال... ..... ٢٩
مقدمة ٣١
معنى لسان الحال ٣٢
لسان الحال في النصوص الشرعيّة..... ٣٥
المحور الأول: لسان الحال في القرآن الكريم..... ٣٥
المحور الثاني: لسان الحال في الروايات ٤١
النحو الأول: الروايات المصرّحة بلسان الحال ٤١
النحو الثاني: الروايات المحمولة على لسان الحال ٤٢
المحور الثالث: لسان الحال في أشعار آل البيت ٤٤
لسان الحال في الميزان الفقهي ٤٧
أقوال الفقهاء في لسان الحال..... ٤٧
القول الأول: (المنع) ٤٧
أدلة المانعين..... ٤٨
القول الثاني: الجواز ٥١
تحليل فتوى السيّد الخوئي ٥١
فتوى السيّد السيستاني ٥٢
تحليل فتوى السيد السيستاني ٥٣

أدلة المجوّزين ٥٣
الرأي المختار في المسألة ٥٤
مثالان تطبيقيان ٥٦
المثال الأول ٥٦
المثال الثاني ٥٧
البحث الثالث: مشروعة توسعة الحرم الحسيني ٥٩
مدخل ٦١
مبررات توسعة الحرم الحسيني ٦١
مبررات الخوض في بحث التوسعة ٦٢
ضرورة إبراز دليلية التوسعة ٦٢
استعراض الأدلة والمؤيدات لجواز التوسعة ٦٢
الدليل الأول: أن الأرض ملك للإمام عليه السلام ٦٣
الدليل الثاني: ان الإمام الحسين اشترى أرض كربلاء ٦٦
المحور الأول: متن الرواية ٦٧
تقريب الاستدلال ٦٨
دفع إشكال ٦٩
المحور الثاني: سند الرواية ٦٩
الدليل الثالث: أن أرض كربلاء مِلْكٌ لعامة المسلمين ٧٠
تنقيح الصغرى: أن أرض العراق مفتوحة عنوة ٧٢
الدليل الرابع: تعميم علة توسعة مكة المعظمة الى حرم الحسين عليه السلام ٧٣

تقريب الاستدلال ٧٥
الدليل الخامس: الروايات المحددة لحرم الإمام الحسين عليه السلام ٧٥
الدليل السادس: تقديم المصالح العامة على المصالح الخاصة ٧٦
الدليل السابع: حقوق ال البيت ٧٧
الدليل الثامن: حاكمية العناوين الثانوية على الاولية ٧٨
الدليل التاسع: ولاية الفقيه ٧٨
تتمة: توسيع للحكم لكل المراقد ٧٩
البحث الرابع: حق الولاء في مشي النساء إلى كربلاء ٨١
حق الولاء في مشي النساء الى كربلاء ٨٣
لماذا هذا البحث ٨٣
توطئة ٨٥
تنويع البحث ٨٧
المشي لغة مع الاستفادة من بعض الآيات ٨٧
الحكم الشرعي واستحقاق الثواب عند بذل الجهد ٨٩
حرص المسلمين على أحز الأعمال ٩٠
المشي في النصوص الشرعية ٩١
أولاً: المشي في النصوص القرآنية ٩١
ثانياً: المشي في الروايات ٩٢
المشي إلى الحج ٩٤
الروايات الحاثة على المشي ٩٤

الروايات الحاثة على الركوب ٩٥
الجمع بين روايات المشي والركوب ٩٦
تاريخية مشي النساء ٩٧
نموذج من مشي النساء ٩٨
السيدة مريم العذراء ٩٨
نموذج مستقبلي: النساء في زمن الحجة عليه السلام ١٠٠
أدلة مشي النساء إلى كربلاء ١٠٠
الدليل الأول: قاعدة الاشتراك ١٠١
الدليل الثاني: اطلاق الروايات ١٠١
الدليل الثالث: الروايات التي تخص النساء ١٠٤
الأولى: روايات حاثة على الزيارة ١٠٤
الثانية: روايات ممضية لزيارة النساء ١٠٧
الدليل الرابع: سيرة الزهراء ١٠٨
الدليل الخامس: قاعدة الشعائر العامة ١١٠
الدليل السادس: ما ورد من الحث على المشي إلى بعض المواطن مع اشتمالها على الاختلاط ... ١١٠
أولاً: خروج المرأة إلى الحج لوحدها ١١٠
ثانياً: تعاليم النبي صلى الله عليه وآله لكيفية مشي النساء ١١٣
ثالثاً: الخروج لأجل طلب العلم ١١٤
رابعاً: الخروج لأداء الفرائض والواجبات الكفائية ١١٤
خامساً: ممارسة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ١١٤

الدليل السابع: اجماع الفقهاء..... ١١٦
أدلة المانعين لخروج النساء مشياً للزيارة ١١٧
الدليل الأول: ممنوعية خروج النساء مطلقاً..... ١١٧
تقريب الاستدلال ١١٧
مناقشة الدليل الأول ١١٨
الدليل الثاني: المنع من الاختلاط..... ١٢٠
تقريب الاستدلال ١٢٠
مناقشة الدليل الثاني..... ١٢١
١ـ السيد أبو القاسم الخوئي ١٢٢
٢ـ السيد روح الله الخميني ١٢٢
فائدتان: قاعدة فقهية وفائدة رجالية. ١٢٣
١ـ قاعدة فقهية ١٢٣
مفاد القاعدة ١٢٤
مدرك القاعدة ١٢٤
بعض تطبيقاتها..... ١٢٥
٢ ـ فائدة رجالية ١٢٥
ادلة توثيقه ١٢٦
الدليل الثالث: الضرر على الزوج أو الأطفال بخروجها ١٢٧
مناقشة الدليل الثالث ١٢٧
تتمة ١٢٨

النتيجة ١٢٩
البحث الخامس: دور الزيارة الاربعينة في الاصلاح ١٣١
المقدمة ١٣٣
توطئة ١٣٥
المحور الأول: الاصلاح المعنوي والروحي ١٣٦
بعض روايات المشي واجرها ١٣٧
المحور الثاني: الاصلاح الاقتصادي ١٣٨
المحور الثالث: الاصلاح التعبوي ١٣٩
المحور الرابع: الاصلاح الاجتماعي ١٤٠
المحور الخامس: البناء الفكري والعلمي ١٤٣
المحور السادس: الاصلاح الامني ١٤٤
المحور السابع: الاصلاح الاخلاقي ١٤٦
المحور الثامن: الاصلاح العسكري ١٥٨
المحور التاسع: الاصلاح الاعلامي ١٥٩
المحور العاشر: المحور التكافلي ١٦١
المحور الحادي عشر: البناء السياسي ١٦١
المحور الثاني عشر: الاصلاح التمريني والتدريبي ١٦٣
البحث السادس: الإمام العباس مدرسة الإيثار ١٦٥
مُقَدمَة ١٦٧
المبحث الأول: الإيثار في اللغة ١٦٩

المبحث الثاني: الإيثار في القرآن والسنة ١٧٣
أوّلاً: الآيات الكريمة منها..... ١٧٣
ثانياً: الإيثار في السُنَّة ١٧٤
المبحث الثالث: أثر الإيثار في منظومة الأخلاق ١٨١
المبحث الرابع: العباس عليه السلام مدرسة الإيثار في واقعة الطف ١٨٤
تتمة ١٨٩
إيثار العباس في بعض الأشعار ١٨٩
النموذج الأوّل..... ١٨٩
النموذج الثاني ١٩٠
النموذج الثالث..... ١٩٠
النموذج الرابع..... ١٩٠
والنتيجة ١٩١
البحث السابع: دور زيارة الاربعين في صناعة الشخصية المهدوية ١٩٣
دور الاربعين في صناعة الشخصية المهدوية ١٩٥
مقدمة ١٩٥
المحور الأول: البناء المعنوي والروحي..... ١٩٩
بعض روايات المشي وأجرها ٢٠١
المحور الثاني: البناء الاقتصادي ٢٠٢
المحور الثالث: البناء التعبوي..... ٢٠٣
المحور الرابع: البناء الاجتماعي ٢٠٥

المحور الخامس: البناء الفكري والعلمي ٢٠٧
المحور السادس: البناء الامني ٢١٠
المحور السابع: البناء الاخلاقي ٢١١
والخلاصة ٢٢٣
المحور الثامن: المحور العسكري ٢٢٤
المحور التاسع: المحور الاعلامي ٢٢٥
المحور العاشر: المحور التمريني والتدريبي ٢٢٦
المحور الحادي عشر: المحور التكافلي ٢٢٧
المحور الثاني عشر: البناء السياسي ٢٢٧
النتيجة ٢٢٩
البحث الثامن: اشكالية اخذ الثأر من ذراري قتلة الحسين ٢٣١
أسباب أخذ الثأر من المهدي عليه السلام دون غيره ٢٣٤
السبب الأوَّل: ولاية الدم ٢٣٤
السبب الثاني: حاكميته الشرعية ٢٣٥
السبب الثالث: محقِّق العدل العامّ ٢٣٥
السبب الرابع: محقِّق أهداف الثورة ٢٣٦
السبب الخامس: رفع مظلومية ال البيت عليهم السلام ٢٣٧
السبب السادس: أنَّه وفاء للحسين عليه السلام ٢٣٧
عرض صلب الموضوع ٢٣٨
الرواية الأُولىٰ ٢٣٨

المستوىٰ الأوَّل: الرضا بالأفعال ـ مجرَّد الرضا ـ ٢٣٩
المستوىٰ الثاني: العلم الإلهي بالسير العملي للذراري ٢٤٠
المستوىٰ الثالث: المداهنة ٢٤٠
المستوىٰ الرابع: القصاص الاجتماعي ـ الجماعي ٢٤١
المستوىٰ الخامس: خاصٌّ بالإمام عليه السلام ٢٤١
المستوىٰ السادس: خاصٌّ بقتلة الإمام الحسين عليه السلام ٢٤١
المستوىٰ السابع: قضيَّة غيبية ٢٤١
الرواية الثانية ٢٤٣
الرواية الثالثة ٢٤٣
الرواية الرابعة ٢٤٤
الرواية الخامسة ٢٤٥
الرواية السادسة ٢٤٦
الرواية السابعة ٢٤٧
البحث التاسع :حضور السيدة الزهراء في مجالس سيد الشهداء ٢٥١
توطئة ٢٥٣
مقدمة: نبذة من مقام السيدة الزهراء عليها السلام ٢٥٥
المقام الاول: انها سيدة نساء العالمين من الاولين والاخرين ٢٥٥
المقام الثاني: انها سيدة نساء اهل الجنة ٢٥٥
المقام الثالث: مقامها فى الاخرة (انها تأمر وتنهى في يوم القيامة) ٢٥٦
المقام الرابع: صلتها المباشرة بالسماء ٢٥٦

المقام الخامس: مقام الكفؤية ٢٥٧
المقام السادس: مقام الغضب لغضبها والرضا لرضاها ٢٥٧
شواهد وادلة الحضور ٢٥٨
الشاهد الاول ٢٥٨
الشاهد الثاني ٢٥٩
الشاهد الثالث ٢٦٠
الشاهد الرابع ٢٦١
الشاهد الخامس ٢٦٢
الشاهد السادس ٢٦٢
الشاهد السابع ٢٦٣
الشاهد الثامن ٢٦٥
الرواية الأولى ٢٦٥
الرواية الثانية ٢٦٦
الرواية الثالثة ٢٦٦
الرواية الرابعة ٢٦٧
الرواية الخامسة ٢٦٧
الرواية السادسة ٢٦٧
الشاهد التاسع ٢٦٨
تتمتان ٢٦٩
التتمة الأولى ٢٦٩

التتمة الثانية ٢٧١

النتيجة ٢٧٢

خاتمة الكتاب ٢٧٣

فهرس المحتويات ٢٧٥